

تبحث هذه الرسالة في « منشأ الطائفة اليزيدية » وتروي أخبار معتقداتها الدينية ، وتتحدث عن الشيخ عدي بن مسافر الاموي الذي تنتمي إليه ، وعن مرقده ، وصفة هذا المرقد ، وتضم بين دفتيها نصوص كتبها المقدسة لديها ، وتصف شرائعها التعبدية ، وسننها الاجتماعية ، وأعيادها الرسمية ... الخ

الطبعة العاشرة

(موسعة ومزيدة)

بقلم

السيد عبد الرزاق الحسني

١٤٠٤ هج ـــ ١٩٨٤ م

منشورات

المكتب العربي لتوزيع المطبوعات

بغداد

طبعات هذا الكتاب

(وترجماتها)

١ — طبعت هذه الرسالة لأول مرة بمطبعة الفلاح ببغداد سنة ١٣٤٧ هـ ١٩٢٩ م بعنوان

(اليزيدية او عبدة الشيطان)

٢ — وطبعت ثانية بمطبعة العرفان في صيدا سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣١) بإسم :

(عبدة الشيطان في العراق)

٣ — ثم طبعت ثلاث طبعات متوالية بعنوان « اليزيديون في حاضرهم وماضيهم » .

أ — الطبعة الأولى سنة ١٣٧٠ هـ (١٩٥١ م) .

ب — الطبعة الثانية سنة ١٣٧٢ هـ (١٩٥٣ م)

ج — الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٠ هـ (١٩٦١ م) .

وكان ذلك بمطبعة العرفان في صيدا — لبنان .

٤ — وفي عام ١٩٦٤ م صدرت طبعة جديدة ولكن باسم « هاشم البنا » وعنوان

(اليزيديون)

مع تحريف في بعض العبارات ومعظم النصوص (مطبعة الأمة — بغداد)

٥ — وفي عام ١٩٦٨ طبع الكتاب طبعة أخرى موسعة ومزيّدة وذلك في المطبعة العصرية بصيدا .

٦ — وفي عام ١٩٧٤ طبعت طبعة سادسة في بيروت بعد ان أضيفت إليها تدقيقات واضافات خلت منها الطبعات القديمة .

٧ — وطبع في مركز الأبجدية للصف التصويري في بيروت عام ١٩٨٠ .

٨ — وهذه هي طبعة الكتاب الثامنة .

٩ — وقد ترجم الكتاب إلى اللغة الإيرانية الاستاذ « سيد جعفر غضبان » باسم

(يزيديها وشيطان برستها)

در مهرمان ١٣٤١ شمسية (١٩٦٢) به جاب رسيد

آثار الحسني المطبوعة

أولاً – في التاريخ السياسي

	الكتاب	فلس	دينار
١	– تاريخ الوزارات العراقية تم في عشرة مجلدات (الطبعة السادسه)	٠٠٠	٣٠
٢	– تاريخ العراق السياسي الحديث في ثلاثة مجلدات (الطبعة الخامسة)	٥٠٠	٧
٣	– العراق في دوري الاحتلال والإنتداب تم في مجلدين كبيرين نادرين		٤
٤	– الأسرار الخفية في حوادث السنة ١٩٤١ التحررية الطبعة الخامسة		٣
٥	– الثورة العراقية الكبرى – الطبعة الخامسة		٣
٦	– العراق في ظل المعاهدات – الطبعة الخامسة	٥٠٠	٢
٧	– أسرار الانقلاب « صادرته الحكومة العراقية » وثمن النسخة الميسورة		٢
٨	– الأصول الرسمية لتاريخ الوزارات العراقية في العهد الملكي الزائل	٧٥٠	

ثانياً – في العقائد والأديان

	الكتاب	فلس	دينار
٩	– الصابئون في حاضرهم وماضيهم – الطبعة السابعة الموسعة –		١
١٠	– اليزيديون في حاضرهم وماضيهم – الطبعة الثامنة –		١
١١	– البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم – الطبعة الثالثة –	٥٠٠	
١٢	– تعريف الشيعة	١٥٠	
١٣	– الخوارج في الإسلام	٢٥٠	
١٤	– الصابئة قديماً وحديثاً	١٥٠	
١٥	– عبدة الشيطان في العراق	١٥٠	
١٦	– البابيون في التاريخ	١٥٠	

ثالثاً – في التاريخ وغيره

	الكتاب	فلس	دينار
١٧	– العراق قديماً وحديثاً – الطبعة السادسة بالأوفست		٢
١٨	– تاريخ الصحافة العراقية – الطبعة الثالثة الموسعة –	٥٠٠	
١٩	– تاريخ البلدان العراقية – الطبعة الثانية	٢٥٠	
٢٠	– الأغاني الشعبية	٢٥٠	
٢١	– المعلومات المدنية لطلاب المدارس العراقية	١٥٠	
٢٢	– رحلة في العراق أو خاطرات الحسني	٢٥٠	
٢٣	– تحت ظل المشانق : رواية في ثلاثة أجزاء	٢٥٠	
٢٤	– تاريخ الثورة العراقية – الطبعة الثانية –	٥٠٠	
٢٥	– المراقد المقدسة في العراق – مخطوطة في ثلاثة أجزاء –		

	فلس	دينار
٢٦ ــ ثورة النجف بعد مقتل حاكمها الكابتن مارشال الطبعة الرابعة	٥٠٠	
٢٧ ــ تسخير كربلا في حادثة محمد نجيب باشا الطبعة الثالثة	٢٥٠	
٢٨ ــ الجبهة الوطنية الطبعة الثانية	٧٥٠	
٢٩ ــ تاريخ الأحزاب السياسية العراقية		٣

(ملاحظة)

لقد نفدت النسخ المطبوعة من معظم هذه المؤلفات ، وأصبح البحث عنها كالبحث عن الكبريت الأحمر ، لقلة العدد المطبوع وتقادم عهده . وعلى الرغم من ان البعض من هذه المواعين التأريخية قد أعيد طبعه أكثر من مرة فما تزال نسخه نادرة . ونحن نهيب بالذين في حوزتهم بعض هذه الكتب ــ ولا سيما ما صدر منها في العشرينات ــ ان يتكرم علينا به إما بيعاً بالثمن الذي يرضيه وإما مبادلة بغيره .

(ثبت بأهم المراجع)

التي ورد ذكرها في صلب الكتاب وفي هوامشه ، عدا الكتب المخطوطة والمجلات .

أولا ـ المراجع القديمة :

١ ـ القرآن الكريم : خط حافظ عثمان (الاستانة ١٣٣٠ هـ)

٢ ـ ابن الاثير : الكامل في التاريخ (ليدن ١٨٦٦ م)

٣ ـ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة (القاهرة ١٣٢٩ هـ)

٤ ـ ابن خلكان : وفيات الاعيان (القاهرة ١٣١٠ هـ)

٥ ـ ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات (القاهرة ١٣٨٣ هـ)

٦ ـ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة (بغداد ١٣٥١ هـ)

٧ ـ ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي (القاهرة ١٣٨٥ هـ)

٨ ـ أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر (القاهرة ١٣٢٥ هـ)

٩ ـ الذهبي : دول الاسلام (حيدر آباد ١٣٣٧ هـ)

١٠ ـ الزمخشري : الكشاف (القاهرة ١٣٨١ هـ)

١١ ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في اخبار من ذهب (القاهرة ١٣٥٠ هـ)

١٢ ـ الحنبلي : قلائد الجواهر في مناقب عبد القادر (القاهرة ١٣٥٦ هـ)

١٣ ـ السمعاني : الأنساب (ليدن ١٩١٢ هـ)

١٤ ـ الشعراني : الطبقات الكبرى (القاهرة ١٣٠٥ هـ)

١٥ ـ الحموي ياقوت : معجم البلدان (القاهرة ١٩٠٦ م)

١٦ ـ المقريزي : الخطط المقريزية (القاهرة ١٣٢٦ هـ)

١٧ ـ اليافعي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان (حيدر آباد ١٣٣٨ هـ)

ثانياً ـ المراجع الحديثة :

١٨ ـ احمد تيمور : اليزيدية ومنشأ نحلتهم الطبعة الثانية (القاهرة ١٣٥٢ هـ)

١٩ ـ اسماعيل چول : اليزيدية قديماً وحديثاً (بيروت ١٩٣٤ م)

٢٠ ـ داود الجلبي : مخطوطات الموصل (بغداد ١٩٢٧ م)

٢١ ـ سليمان صائغ : تاريخ الموصل القاهرة ١٩٢٣ م و . (بيروت ١٩٢٨ م)

٢٢ ـ صديق الدملوجي : اليزيدية (الموصل ١٩٤٩ م)

٢٣ ـ عباس العزاوي : تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم (بغداد ١٩٣٥ م)

٢٤ ـ عبد الرزاق الحسني : عبدة الشيطان في العراق (صيدا ١٩٣١ م)

٢٥ – مصطفى نوري : عبدة ابليس (الأستانة ١٣٢٨ رومي)
٢٦ – يعقوب سركيس : مباحث عراقية (بغداد ١٩٤٨ م)
٢٧ – سعيد الديوه جي اليزيدية (الموصل ١٩٧٣)
٢٨ – جورج حبيب اليزيدية بقايا دين قديم (بغداد ١٩٧٨)

ثالثاً – المصادر الأجنبية

27 — G. P. Badger, The nestorians and their rituals London 1851
28 — E. S. Drower, Peacock Angel London 1941
29 — R. H. W. Empson, The Gulf of the peacock angel London 1928
30 — O. H. Parry, Six months in a syrian Monastery London 1895
31 — F. Nou, Recueil de textes et de documents sur les yezidis Paris 1918

كلمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنا لا تُزِغ قُلوبَنا بَعْدَ إذ هَدَيْتَنا وهَبْ لنا من لدُنك رَحْمة إنك أنتَ الوهّاب .

سورة آل عمران الآية ـ ٨   صدق الله العظيم

لا ينكر ان للوسط الطبيعي والبيئة الاجتماعية ، تأثيراً على عقلية البشر وتفكيره وشعوره ، فالبشر يستشعر من الوسط الطبيعي بأفكار تدور حول الكون والحياة ، وما يختلف فيه من الأفكار والآراء والمعتقدات ، إنما هو نتيجة الثقافات المختلفة والتوريث القومي . لذا نجد الأمم تختلف في تفهّم الكون وتحديد مبدئه ونهايته اختلافاً يتناسب والبيئة التي تعيش فيها كل قبيل منها ، ومبلغ مداركها في تفسيره .

وبحسب ما يتصوّره البشر ويفهمه من الظواهر الكونية ويعللها به ، يصوّر فكرته في الخالق ونسبته إليه . فاختلاف الأديان إذاً أمر مسبب عن اختلاف مدارك البشر وأذواقهم ، والبيئات التي يعيشون فيها .

ولم تكن الأديان في بدء تكوّنها مختلفة اختلافها الآن ، لأن سلالات البشر الأولى لم تكن في عاداتها وتقاليدها قد اختلفت اختلافاً كبيراً ، ولم تكن اللغة بهذا القدر من السعة والإحاطة ، حتى تتباين العقائد تباينها الحالي ، ذلك لأن اللغة أكبر واسطة في التعبير والإفصاح عما يختلج في ضمير الإنسان لدى تأثره بالمظاهر الكونية ، أما وقد اتسعت اللغات وتشعبت ، وتباينت العادات والتقاليد واختلفت ، فقد اصبحت الأديان ـ وهي مبتنية على هذين الأساسين ـ تختلف اختلافاً عظيماً ، وابتدأت تتشعب إلى مذاهب وطرائق ، تشعُّب البشر إلى قبائل وطوائف .

فالامة التي دخلت معترك الحياة وتنازعت في أسباب الوجود ، دخل دينها بين العوامل الاجتماعية ، وسجله التاريخ، وعرّف شكله وأسسه . أما الأمة التي اعتزلت ميدان الجهاد في الحياة ، وتجنبت طرق التراحم ، فقد أصبحت مجهولة لا يكاد

التاريخ يقف على شيء من عقائدها ، ولا تكاد يد البحث تصل إلى تفهم دينها إلا بأن تختلس بعض أخبارها عنه اختلاساً . وكثيراً ما كان هذا الاختلاس مصدر اختلاف وتباين في بحوث الباحثين .

واليزيدية إحدى الطوائف التي تكتمت في إظهار معتقداتها تكتماً شديداً [1] يُعيي المؤرخ أن يعطي عنها نتيجة قطعية ، أو أن يصوّرها تصويراً نهائياً . فهي تعتقد أن التخفّي في إقامة الشعائر الدينية ، والتستّر في أداء فروضها التعبدية ، والتظاهر بغير المعتقد الأصلي — أحياناً — مجاراة لمجاوريها ، مما تفرضه الديانة اليزيدية . لهذا نرى الباحثين في هذا المذهب يختلفون في نتائج تدقيقاتهم وتتبعاتهم اختلافاً يجعل دارس تاريخ هذه الديانة غير مطمئن إلى ما وصلت إليه تحقيقاته ، ولا مؤمن بما وصلت إليه يد الباحث إيماناً علمياً .

فبينا نرى جماعة من كبار الباحثين المسلمين ينسبون اليزيدية إلى يزيد بن معاوية الأموي ، نجد إلى جانبهم جماعة من كبار المستشرقين الأجانب يرجعونهم إلى دين آري ، ويرون أن كلمة « يزيدية » مشتقة من الكلمة الفارسية أو الكردية — يزدان — التي تعني الله ، وفي الوقت الذي ينهض البعض فيدعي أن هذه الكلمة « اليزيدية » مأخوذة من لفظة « يزد » البلد الفارسي المشهور ، نجد إلى جانبه فريقاً آخر ينسبهم إلى « يزيد بن أنيسة الخارجي » وهكذا نجد كل قسم من الباحثين في « تاريخ المعتقدات والأديان » ينسب هذا القوم إلى بلد ، أو فريق ، أو شهير من مشاهير التاريخ ،

---

(١) جاء في (كتاب الجلوة) أحد كتابي اليزيدية المقدسين عندهم ما نصه :

« احتفظوا بالعلم الذي يلقنوكم إياه — خدامي — ولا تجوا — تأتوا — به قدّام الأجانب ، كاليهود والنصارى والاسلام وغيرهم ، لأنهم لا يدرون ما هو تعليمي ؟ ولا تعطوهم من كتبكم لئلا يغيروها عليكم وأنتم لا تعلمون . احفظوا أكثر الأشياء غيباً لئلا تتغير عليكم » اهـ .

وكتب الينا الشيخ حسين الشيخ ابراهيم أحد شيوخ اليزيدية في (بحزاني) يقول : ان تستّر اليزيدية ناجم عن عاملين :

(١ً) أن تكون العبادة لله دون أن يعلم بها أحد .

(٢ً) خشية تكرر الاضطهادات التي لحقت الطائفة من قبل الحكومة العثمانية ، ومن قبل القبائل المجاورة .

وهذا — في رأينا — تعليل عليل لا يقول به إلا الباطنية الذين يتستّرون بعبادتهم غير المنطقية .

متى وجد بين ألفاظ معتقداتهم ما يصح تلك النسبة ويسوّغها ، ولا ننس تأثير العواطف الدينية والمذهبية في ذلك .

ولقد زرت القضاءين (سنجار) [1] و « الشيخان » [2] بمحافظة نينوى (الموصل) أكثر من مرة حيث مساكن اليزيديين ، ومحال إقامتهم ، ومعابدهم المقدسة ، وحللت بدار (الإمارة اليزيدية) في قرية (باعذرا) غير مرة ، ووفّقت للدخول إلى (مرقد الشيخ عدي بن مسافر الأموي) والتجوال بين ما يحيط به من مواضع العبادة [3]

---

(١) « سنجار » قصبة كبيرة تقع على ربوة مرتفعة في سفح جبل (سنجار) وتقسم إلى قسمين : علوي تقطنه الطائفة اليزيدية ، فتستفيد من مناعة مسالكه وعذوبة هوائه . وسفلي تقطنه الطوائف الأخرى من مسلمين ومسيحيين . يخترقها واد جميل يسمى (پسته) تنحدر عليه سيول الامطار من الجبل المذكور ، فتكوّن نهراً عظيماً في الشتاء يطغى أحياناً ، فيضرّ ببساتينها ، وتتفجر في ضفتيه ينابيع عديدة فتسقى مزارع القصبة وبساتينها المشهورة بتينها الفاخر ، وزيتونها العظيم ، واعنابها المنوعة ، ثم تنساب إلى وادي (پسته) حيث تصب في (الثرثار) وتبعد « سنجار » عن « الموصل » غرباً (١٢٠) كيلومتراً ، وتعد نفوسها زهاء أربعة عشر الف نسمة جلهم من اليزيدية .

(٢) يطلق « اليزيديون » على قرية « باعذرا » وعلى القرى المجاورة لها اسم « الشيخان » ويسمون رئيسهم الزمني مير شيخان « أي أمير الشيخان » وقد سمّت الحكومة القضاء الذي يضم قرى اليزيدية في شمال شرقي الموصل « قضاء الشيخان » وجعلت قرية « عين سفني » مركزاً لهذا القضاء ، وهي قرية كبيرة يقطنها مشايخ اليزيدية ، تبعد عن الموصل شمالاً بشرق مسافة ٥٠ كيلومتراً ، ولا يتجاوز عدد نفوسها ألفي نسمة .

(٣) ولعت بالبحث في المذاهب والمعتقدات منذ أكثر من خمسين سنة ، ووضعت في ذلك رسائل مختلفة — راجع الصفحة الثالثة — وكنت طبعت رسالة عن « اليزيدية أو عبدة الشيطان » في عام ١٩٢٩ م نحوت فيها منحى المستشرقين في ذكر أصل هذه الطائفة ، ولما أعدت طبع هذه الرسالة في عام ١٩٣١ م ، غيرت عقيدتي في هذا الأصل . ذلك لان التحقيقات التاريخية دلتني على أنهم « مسلمون متزهدون » يعتقدون الامامة في يزيد ، وكونه على الحق ، وتوارثوا تقاليد قومية ودينية صوفية ، واعتبارات سياسية ممزوجة بتعصب للامويين ، مما أبعد شقة الخلاف بينهم وبين جمهور المسلمين ، فأدى إلى تقاليد خاصة أفسدت جوهر إسلاميتهم . وكان ممن كشف الستار عن هذه الحقيقة ، الاستاذ محمود الملاح في مجلة « اليقين » البغدادية (٢/٥٥٨) لسنة ١٩٢٣ م ، والعلامة المغفور له أحمد تيمور باشا في رسالته القيمة (اليزيدية ومنشأ نحلتهم) القاهرة ١٣٥٢ هـ (ص ٥٧) والاستاذ المحامي عباس العزاوي في كتابه الجليل (اليزيدية =

ونحوها مراراً . واقتنيت نسخاً مختلفة النصوص ، متباينة العبارة ، من بيهـم كتا المقدسين (كتاب الجلوة) و (كتاب مصحف رش) واطلعت على قسم غير قليل من تقاليدهم ، وطرق عبادتهم ، وأعيادهم ، واجتمعت بالأميرين : الأمير السابق سعيد بك ابن علي بك ، والأمير الحالي تحسين بك ، إبن سعيد بك ، وبالوصية عليه ميان خاتون ، وبالـ (بابا شيخ) وببعض أهل الرأي والاطلاع منهم ، وطالعت جلّ ما كتبه المستشرقون والمؤرخون عنهم ، فعنّ لي أن أكتب هذه الرسالة الوجيزة عن تاريخ اليزيدية ، ومنشأ عقيدتهم ، وعن الشيخ عدي الذي يؤلهونه ، وعن عقائدهم ، ومناسكهم ، وسننهم ، وأعيادهم ، وشيوخهم ، وعما لاقوه في سبيل احتفاظهم بديانتهم ، ونحو ذلك من غريب تقاليدهم وعاداتهم ، والإحاطة بكل أمورهم . ولا أقول انني احطت بكل ما تجب معرفته عنهم ، ولكني أقول انني جمعت أكثر ما يمكن جمعه عنهم ، وحسبي اني أكتب ما كتبته عن مشاهدة وعيان في هذا المقام ، وكم ترك أول الباحثين لآخرهم من مجال .

بغداد ــ الكرادة الشرقية غرة المحرم سنة ١٣٧٠ عبد الرزاق الحسني

= وأصل عقيدتهم ــ بغداد ١٩٣٥ م ص ٧) ثم جاء من بعدهم السيد صديق الدملوجي في كتابه الكبير اليزيدية ــ الموصل ١٩٤٩ » وكان الأخير يجمع مواد كتابه هذا منذ ثلاثين حجة ، بحكم إقامته بين اليزيديين وارتباطه معهم . ولكنه لم يأت بجديد يذكر ، ولا سيما الصور الدينية التي نشرها فقد كانت منقولة عن كتب الاجانب ، فحرم الناس مما كانوا ينتظرونه منه في هذا السبيل ، ولا سيما في تصويره « طاوس ملك » معبود اليزيدية ، وقدس أسرارهم .

وكنت نشرت الفصلين الرابع والخامس من هذا الكتيب في مجلة « العرفان » الصيداوية في العامين ١٩٤٦ و ١٩٤٧ كما نشرت الفصول الثلاثة : السادس والسابع والثامن ، في مجلة العروبة البيروتية في سنة ١٩٤٧ م .

الفصل الأول

منشأ الطائفة اليزيدية

(تمهيد)

جاء الاسلام فقضى على كثير من المعتقدات والنزعات قضاء ظاهرياً ، واختفت تحت سيطرته المذاهب القديمة التي شملها نفوذه . ولم يمر عليه أكثر من قرنين حتى بدأت تلك المعتقدات تظهر بعد اختفائها ، متخذة من نصوص الدين الاسلامي مظهراً لها ومسوّغاً لانتشارها ، فكان القرآن والسنة ، وكان الاجتهاد والقياس من أكبر المصادر التي تستمد منها تلك المذاهب . أضف إلى ذلك الطرائق ومبادىء التصوّف التي كان للخيال فيها مسرح واسع . فلم ينتصف القرن الثاني للهجرة إلا وتشعبت الطرائق إلى أسماء كثيرة مختلفة .

وكان للأقوام التي أسلمت مرغمة ، الدور المهم في هذا التشعب ، إذ كان يكفي لانشاء المذهب أو المعتقد بين كثير من الأقوام غير المتحضرة ، أن يظهر داعية عليه ظاهرة الزهد والتقى ، فيغري الأقوام التي تحفّ به ، وتؤخذ تصريحاته وآراؤه فتتحوّر ، وتتناقلها الألسن والأفواه ، فتصبح معتقداً محاطاً بكثير من خرافات العامة ونزعاتها .

(اليزيديون في التاريخ)

كان يسكن في مواطن اليزيدية ، شمال الموصل ، قبيل يدعى « ترهايا » وكان هذا القبيل ينتحل « دين المجوسية » والمظنون انه من بقايا الأقوام التي نزحت من بلاد إيران المجاورة ، عندما طغى عليها سيل الإسلام الجارف ، وانها اتخذت من (جبال حلوان) مأوى وملجأ منعزلاً ، فكانت بمأمن من كل تجاوز أو اعتداء، إلا أن انتشار الإسلام ، ومجاورة الأقوام العربية لهذه الأماكن والملاجىء ، أوجب أن تختفي تلك المعتقدات ، وأن يعتنق أولئك الأقوام الديانة الجديدة السمحة ، أو أن يتظاهروا أمام العرب الفاتحين بعقائدهم الإسلامية . ولكن استمرار هذا القبيل المنعزل على هذا النوع من الاعتقاد ، أوجب أن يضعف فيه الدين القديم ، وأن

يأتي منه جيل جديد يكون فيه أبناؤه لا يعرفون إلا خليطاً من المعتقد الأول البائد ، ومظاهر من المعتقد الجديد المقتبس ، فكانوا ضعافاً في كلا المعتقدين .

حدث التصوّف ، وحدثت الطرائق ، وانتشر شيوخ الطرق في الأقطار الإسلامية ، وبين الأقوام التي خضعت للمعتقد الجديد . فكان لكل شيخ طريقة واتباع . وكان الشيخ إذا حلّ بين الأقوام البدوية ، وجد فيها المرتع الخصب لآرائه ومعتقداته . وكثيراً ما كان يموت بعض الشيوخ ، بين تلك الأقوام ، فيبقى له مريدون من أبنائها ، فتبقى طريقته تحت تأثير نزعات القوم الذي حلّ فيه ، والقبيل الذي غرس فيه بذور معتقداته .

وهكذا نجد الشيخ عدي بن مسافر الأموي — والعوام يسمونه الشيخ عادي — في التاريخ اليزيدي ، يخرج كرجل زاهد منقطع في الأماكن المنعزلة ، ثم ينزوي بين أقوام بسطاء يعتقدون بصلاحه ، وينقادون لآرائه ومعتقداته ، ويغالون فيه غلواً يتجاوز الحد ، ويؤدي إلى قولهم فيه بما لا يوافق شرعاً ولا عقلاً (١) .

ويسعى هذا الرجل الصالح إلى تهذيب هؤلاء القوم الذي حلّ في وسطه ، فيلقى عليهم الموعظة ، ويبشر فيهم بالحسنة ، فيكون لكلماته أثر في النفوس ،

---

(١) نقل الشيخ محمد الحنبلي في ص ٨٩ من كتابه « قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر » بعض الكرامات التي يتناقلونها عن الشيخ عدي بن مسافر الاموي ، ومن ذلك قول أبي البركات صخر بن صخر بن مسافر :

« دخل يوماً على عمي الشيخ عدي ثلاثون فقيراً فقال عشرة منهم : يا سيدي تكلم لنا في شيء من الحقيقة ، فتكلم لهم فذابوا ، وبقي موضعهم حومة ماء . وتقدم العشرة الثانية فقالوا له : تكلم لنا في شيء من حقيقة المحبة ، فتكلم فماتوا . ثم تقدم الآخرون وقالوا : يا سيدي تكلم لنا في شيء من حقيقة الفقر ، فتكلم لهم ، فنزعوا ما كان عليهم من الثياب وخرجوا عرايا إلى البرية » .

وعن الحافظ الذهبي في ص ٨٩ — ٩٠ من القلائد أن قد كان للشيخ عدي :

« غليلة يزرعها بالقدوم في الجبل ، ويحصدها ويتقوّت منها . وكان يزرع القطن ويكتسي منه ، ولا يأكل من مال أحد شيئاً ، ولا يدخل منزل أحد ، وكان يواصل الايام الكثيرة حتى أن بعض الناس كان يعتقد أنه لا يأكل شيئاً قط . فلما بلغه ذلك ، أخذ شيئاً وأكله بحضرة الناس » .

وفي « قلائد الجواهر » الكثير من الكرامات المنسوبة إلى الشيخ عدي فلتراجع .

وتكون بعد مدة معتقدات راسخة في الأفئدة . ثم يموت هذا الشيخ الجليل والزاهد الورع ، فيخلف من بعده من يرأس طريقته ، ويسير سيره في الوعظ والإرشاد [١] . وتدول الأيام دولها ، فيرأس هذا القوم رجل من آل عدي بن مسافر ، وأحد خلفائه عليهم – ولكن لم يكن على علمه – ، فيدبّ في زمنه الزيغ والفساد ، وتظهر براعم المعتقد القديم ، ويعود القوم إلى معتقدات توارثوها عن اجدادهم وأسلافهم [٢] فاليزيدية « الذين ينتمون إلى الشيخ عدي ، يرجعون إلى أصل مجوسي ، وبعد أن أسلموا أخذوا يعتقدون لا بإمامة يزيد ، بل بألوهيته . وأضافوا إليه آلهة آخرين ، وعكفوا على عبادتهم » [٣] .

ويتضح مما عرضناه أعلاه « أن أجداد اليزيدية كانوا على دين مخالف للتوحيد ، ثم أسلموا في زمن عدي بن مسافر ، وفيهم القوم المسمى ترياها – أي التيراهية – وأنهم من الأكراد ، كانوا مسلمين في زمن شرف الدين أبي المفاخر عدي ، ويداخل اعتقادهم الحلول ، ثم كانوا على جميل الاعتقاد في زمن ابن خلكان لشهادته ... وأخيراً ارتدت ترياها إلى دينهم القديم ، دين الثانوية ذي المبدأين ، أو إلى بدعة منه ، ومزجت بذلك اقوالاً شوّهتها فأبعدتها عن اليهودية والنصرانية والإسلام ، مع تعظيم لعدي بن مسافر وغيره تعظيماً لا يليق بمخلوق ، ويضاف إلى ذلك ما استنبطته قرائحهم من الأوهام والخيالات فتطوّرت ديانتهم طوراً بعد طور » [٤] .

(متى سموا يزيدية ؟)

ربما كان من الصعب أن يتحرّى الإنسان أصل الفرق والأديان من ألفاظ أعلامها أو عناوينها التي تشتهر بها ، لأن هذه الأسماء وهاتيك العناوين قد حدث

---

(١) كان للشيخ عدي بن مسافر أخ يقال له « صخر بن مسافر » ولم نر في كتب السير ما يدل على مجيئه إلى موطن أخيه في « الهكارية » وإنما الذي جاء إليه ، وخلف عدياً في المشيخة ، ولده صخر ابن صخر بن مسافر « أي ابن أخي عدي » الذي قال عدي بحقّه « أبو البركات يخلفني » .

(٢) كان ذلك في زمن الشيخ حسن شمس الدين ، ويلقبه اليزيديون بالبصري ، وسيرد ذكره في الفصل القادم .

(٣) صديق الدملوجي في كتابه « اليزيدية » ص ١٦٣ « الموصل ١٩٤٩ م » .

(٤) يعقوب سركيس في كتابه « مباحث عراقية » ص ٢٢٧ بغداد ١٩٤٧ م .

فيها تحوير وتحريف ، ودخلها كثير من التبدل والتغيير ، فلا يمكن الركون إلى اشتقاق الكلمات في معرفة أصل المعتقد .

والذين حاولوا معرفة هؤلاء القوم من نسبة لفظهم ، لم يتفقوا على الأصل الذي تنسب إليه هذه الكلمة ، أو اشتقت منه . فحاول البعض أن ينسبهم إلى « يزيد بن أنيسه الخارجي » . ورأى انهم فرقة من فرق الخوارج ، فاستراح من تعليل غرائب معتقداتهم ، ما دامت غرائب المعتقدات الإسلامية موجودة في الخوارج . ولكن شتان بين معتقدات الخوارج القائمة أسسها على المعتقد الإسلامي ، وبين معتقد اليزيدية المبتنى على الحلول ، والتناسخ ، وعبادة الشمس ، والنار .

وفي الوقت الذي يتكلف البعض فينسب اليزيديين إلى يزيد بن أنيسه الخارجي ، يحاول البعض الآخر أن يجد في كلمة « يزدان » أصلاً لهذه الفرقة ، ناسياً معتقدهم إلى دين آري . ويحتمل فريق ثالث : ان الكلمة مشتقة من لفظة « يزد » المدينة الايرانية الشهيرة ، بصفة كونها مركز ديانة المجوس .. وهكذا دواليك .

إن أول من نبّه الاذهان إلى أصل هذه الطائفة ، وفطن إلى اسمها الأول هو المغفور له أحمد تيمور باشا في رسالته الخالدة « اليزيدية ومنشأ نحلتهم » إذ قال :

« ولم يكن لهذه الطائفة — اليزيدية — وجود ولا ذكر في التاريخ قبل القرن السادس حتى اشتهر الشيخ عدي بن مسافر بالزهد والورع وكثرة المجاهدة ، وتسامع به الناس فقصدوه من الاطراف للاسترشاد ، ثم انتقل إلى جبال هكار ، موطن الأكراد ، فتبعه منهم خلق كثير اتخذ منهم المريدين ، وأحدث الطريقة العدوية .. فيتضح من هذا ، ومما تقدّمه ، أصل منشأ هذه الطائفة ، وانها كانت تسمى في أول الأمر بالعدوية ، نسبة إلى شيخها . أما تسميتها بعد ذلك باليزيدية فلم نقف على زمنها ، والظاهر أنها حدثت في القرون الأخيرة » اه [1] .

هذا هو رأي العلامة المغفور له أحمد تيمور باشا في أصل منشأ الطائفة اليزيدية ، وفي زمن تسميتها بهذا الاسم ، وقد وصل بنا التحقيق إلى تثبيت هذا الزمن بالنقول التالية :

أحمد تيمور في رسالته (اليزيدية ومنشأ نحلتهم) ص ٥٧ مع الطبعة الثانية .

١ – قال أبو سعيد عبد الكريم بن محمد السمعاني المتوفي سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٦ م) أي بعد وفاة الشيخ عدي بنحو خمس سنوات ، في الورقة الـ (٦٠٠) من كتابه (الانساب) الذي طبعه المستشرق البريطاني ماركليوث في عام ١٩١٢ م ما نصه :

« وجماعة كثيرة لقيتهم بالعراق في جبال حلوان ونواحيها من اليزيدية ، وهم يتزهدون في القرى التي في تلك الجبال ، ويأكلون الحال [١] وقلّما يخالطون الناس ، ويعتقدون الأمانة – يريد الإمامة – في يزيد بن معاوية ، وكونه على الحق ، ورأيت جماعة منهم في جامع المرح [٢] . وسمعت أن الأديب الحسن بن بندار البروجردي ، وكان فاضلاً مسفاراً ، نزل عليهم بسنجار ، ودخل مسجداً لهم فسأله واحد من اليزيدية ما قولك في يزيد ؟ فقال أيش أقول فيمن ذكره الله في كتابه في عدة مواضع حيث قال (يَزِيدُ فِي الخَلَقِ – يُرِيدُ في الخَلْقِ – مَا يَشَاءُ [٣]) و (يَزِيدُ اللهَ الذينَ اهْتَدُوا وهُدَى [٤]) قال فأكرموني وقدموا لي الطعام الكثير ... » انتهى المقصود [٥] .

---

(١) الحال لغة الطين والحماة ، وقد اعتاد اليزيديون أن يأكلوا التراب الناعم من تربة مرقد الشيخ عدي تبركاً ، ويسمونه براتا ، كما يأكل بعض الشيعيين أحياناً الطين المجبول من تربة الحسين ابن علي عليهما السلام . ويسمونه تربة الشفاء للتبرك .
والحال عند الصوفية رقية (وهي أن يرقى الشيخ شيئاً مما يؤكل ويطعمه من أراد أن لا تؤثر فيه لدغة الحية أو لسعة العقرب) .

(٢) يريد جامع المرج ليستقيم المعنى . قال ياقوت الحموي ١٦/٨ .
(مرج القلعة بينه وبين حلوان منزل) وقال في ٣٢٢/٣ .
« حلوان العراق ، وهي في آخر حدود السواد ، مما يلي الجبال من بغداد » .

(٣) سورة فاطر الآية ١ .

(٤) سورة مريم الآية ٧٦ .

(٥) كان الاستاذ هنري فيلد ، رئيس متحف فيلد في شيكاغو بالولايات المتحدة الأميركية ، قد حصل على بعض النصوص اليزيدية القديمة ، ونشرها في (مجلة الجمعية الشرقية الاميركية) ج ٦٦ ص ٣٣ – ٣٦ لسنة ١٩٤٦ – مشروحة ومترجمة إلى الإنكليزية من قبل الاستاذ أنيس فريحة ، الاستاذ في جامعـــة بيروت الاميركية ، ثم نشرها في رسالة خاصة عنوانها New Yezidi Textes From Beled Sinjar وقد ذكر أننا أول من نبّه إلى ورود ذكر اليزيدية في كتاب الانساب للسمعاني ولكنه اتهمنا بتحريف الكلم عن مواضعه ، وترجم كلام السمعاني ، =

٢ — نقل الاستاذ المنقّب الفاضل ، المحامي عباس العزاوي ، كلاماً لابي فراس « عبيد الله بن شبل بن أبي فراس بن جميل » في مخطوطة له عنوانها « الرد على الرافضة واليزيدية » كان فرغ من كتابتها عشية يوم الاحد ١٧ رجب سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٤ م) وكان الاستاذ العزاوي قد وجدها في مكتبة كوپريلي بالاستانة تحت رقم ١٦١٧ ما هذا نصه :

« وبعد فإنه حضر عندي جماعة من صلحاء أهل السنة بنواحي الفرات ، ... وأخبروني أنه قد حدث عندهم بتلك النواحي من البدع المضلة ، والآراء المختلفة ، ما قد استحوذ الشيطان بها على عقولهم ، واستغوى بذلك قلب فاضلهم ومفضولهم ، إلا من عصمه الله تعالى منها ، وباعده بفضله العميم عنها ، فمنهمُ طائفة قد انتموا إلى مذهب الرافضة والزيدية ، وطائفة تمسكوا بآراء الجهال من العدوية واليزيدية ، وكلتا الطائفتين على طرفي نقيض ... هؤلاء اليزيدية قوم قد استحوذ على عقولهم الشيطان ومارسهم ... ووسوس لهم محبة يزيد بن معاوية ... وتمسك هؤلاء الجهال بحب يزيد والاطراء منه جهلاً منهم ، وعدم علم بحقيقة حاله ، حتى انهم يقولون لفرط هواهم وضلالتهم ، من لم يحب يزيد يحلّ لنا دمه وماله ، ولا تجوز الصلاة خلف أئمة الجمهور ، وتأخروا عن حضور الجمعة . وقد كان أضلّ هؤلاء الجهال في الدخول في هذه الصلاة والبدعة ، هو حسن بن عدي ، من سواد الموصل ، استغوى وأضل خلقاً كثيراً ، ووصلت رسله بالضلالة والدعاء إلى مذهبه ... فغلبوا

= الذي نقلناه أعلاه ، وهو (وجماعة كثيرة لقيتهم بالعراق في جبال حلوان ونواحيها من اليزيدية) ترجمه هكذا إلى اللغة الانكليزية :

(... and a Large group of them — i. e. Yaxidiyah — whom I met in, Iraq in the mountains of Hulwan and in the vicinity of al - Yazid.

وهذا معناه (وجماعة كثيرة منهم — اليزيدية — لقيتهم في العراق في جبال حلوان وفي جوار اليزيد) .

ان نسخة الانساب التي اعتمدناها في هذا النقل ، هي النسخة الفوتوغرافية التي طبعها المستشرق البريطاني الاستاذ مار كليوث سنة ١٩١٢ ، ولا يوجد غيرها نسخة مطبوعة ، وقد ذكر الاستاذ عباس العزاوي ان طبعة الانساب كانت على نسخة مغلوط فيها جداً ، وان لهذه المخطوطة عدة نسخ في الاستانة وباريس ، وقد نقل عنها كلام السمعاني بالصيغة المثبتة في كتابنا — راجع اليزيدية وأصل عقيدتهم — ص ١٣ فتأمل في النصين .

على رأي جماعة من جهات تلك النواحي ورعاعهم ، واستحوذ على عقول سخيفة وآراء واهية ضعيفة فأضلوهم ... وقد ناظرت حضورمنهم جماعة ممن اتفق هم عندي في بطلان دعواهم حب يزيد وفي الشكلة والنقطة ... الخ » [١] .

٣ — عرّب الاستاذ البحاثة ، يعقوب سركيس نصاً آرامياً لمخطوطة كتبها الراهب راميشوع في سنة ٨٥٥ هـ (١٤٥١ م) ونقلتها « مجموعة نو » إلى الفرنسية ورد فيها ذكر اليزيدية هذا نصه :

« وكان اسم الوالد الطبيعي لعادي مسافر بن أحمد ، وهو من الأكراد التيراهية [٢] TAIRAHITES الذين كانوا يقضون اعتيادياً فصل الصيف في زوزان ، وينزلون منه شتاء إلى ضواحي الموصل ، وكان في ذلك العهد عشيرة اليزيدية جدوده — جدود عادى — سكنة زوزان تتبع أقارب عادي في ذهابهم إلى جبال زوزان وإيابهم منها ، وكان النظر إليهم كخدمة لهذه الاسرة الكبيرة ، وحينما كان يرجع اليزيدية من زوزان في أول تشرين الثاني ، كانوا في طريقهم يجتازون بعادي ابن أميرهم ومعهم هدايا وعطايا ثمينة ، فكان عادي يكافأهم عنها بالضيافة من مأكول ومشروب مع أفراح على ضروب كثيرة ، وكان هؤلاء يحبون الشرب — أي الخمر — وكان عددهم ٦٥٠ بيتاً . أما رجال عادي الذين كانوا مسلمين ، وهم أكراد تيراهية ، فكان عدد خيامهم يتجاوز الألف » [٣] .

٤ — نقل الشيخ أحمد راغب الطباخ الحلبي في ص ٥٢٥ من الجزء الخامس من كتابه « اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء » الحديث الآتي عن كتاب « درر الحبب » المخطوط للرضي الحنبلي ، أحد رجال القرن العاشر للهجرة .

« عز الدين بن يوسف الكردي العدوي ، أمير لواء حلب في آخر الدولة الجركسية وأوائل الدولة العثمانية ، كان من طائفة ينتسبون إلى الشيخ عدي بن

---

(١) عباس العزاوي في كتابه — اليزيدية وأصل عقيدتهم — ص ٨١ — ٨٣ .
(٢) المذهب التيراهي هو مذهب زرادشت القديم ، وقد ذكر التيراهية ابن الاثير في ص ٨٢ من المجلد الثاني عشر من كامله — الطبعة المصرية — وقال عنهم : انهم كانوا كفاراً — لا دين لهم يرجعون اليه ، ولا مذهب يعتمدون عليه — وكانوا خرجوا إلى حدود سوران للغارة على المسلمين فاوقع بهم نائب تاج الدين ، مملوك شهاب الدين — وكان ذلك في سنة ٦٠٢ هـ ١٢٠٥ م —
(٣) الاستاذ يعقوب سركيس في كتابه — مباحث عراقية — ص ٢١٨ .

مسافر ، رضي الله عنه،ويعرفون ببيت الشيخ مند ... وفي أيامه كان صلب الأمير حبيب بن عربو تحت قلعة حلب ، وذلك أنه كان بين الأمير عز الدين وبين أولاد عربو ... عداوة بينة من جهة الدنيا وكذا من جهة الدين ، لان بيت عربو كانوا من أهل السنة والجماعة ، رضي الله عنهم ، وبيت الشيخ مند كانوا يزيدية ، فكان يغدر بهم حتى سعى في قتل جماعة منهم ... (و) توفي الامير عز الدين سنة ثمان وأربعين — بعد التسعمائة — » ا هـ [1] ١٤٥١ م .

٥ — عدّد الأمير شرف خان ابن شمس الدين البدليسي ، صاحب كتاب الـ « شرفنامه » المطبوع باللغة الفارسية في بطرسبورج سنة ١٢٢٧ هـ (١٨٦٠م) وفي القاهرة سنة ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠م) والذي عربه الاستاذ الملا محمد جميل الروزبياني وطبعه في بغداد سنة ١٩٥٣ م عدّد مذاهب القبائل الكردية في كتابه هذا الذي فرغ من كتابته سنة ١٠٠٥ هـ (١٩٥٦ م) فذكر أن القبيلة الدنيلية من جملة المتمذهبين بالمذهب اليزيدي ، ثم بحث عن هذا المذهب وأصحابه فقال ما تعريبه :

« إن اليزيديين من جملة مريدي الشيخ عدي بن مسافر ، الذي كان أحد أتباع سلالة الخلفاء المروانيين ، وانهم يعتقدون بأن الشيخ عدي الذي دفن في جبل ليلش من أعمال الموصل ، قد تعهد بصومهم وصلاتهم ، وأنه سيقودهم في آخر الزمان إلى الجنة من دون حساب أو عقاب » [2] .

ان رواية السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٦ م) صريحة في تسمية الطائفة اليزيدية باسمها الحالي في النصف الثاني من القرن السادس للهجرة ، وكانت هذه الطائفة تسمي بالعدوية في أيام الشيخ عدي المتوفى سنة ٥٥٧ هـ (١١٦١ م) لانطباق عقائدها على العقيدة العدوية في يزيد بن معاوية الأموي ، ولانطباق أسماء مدنها على أسماء المدن التي لا تزال تقطنها الطائفة اليزيدية .

أما كلام أبي فراس في مخطوطته « الرد على الرافضة واليزيدية » التي فرغ من كتابتها في رجب ٧٢٥ هـ (١٣٢٤ م) فهو أكثر صراحة من رواية السمعاني في « أنسابه » ولعل الناسخ الفاضل لكلام أبي الفراس ، أضاف (واو العطف) إلى كلمة

---

(١) كتاب « أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء » ج ٥ ص ٥٢٥ .

(٢) كتاب « شرفنامه » ص ٢٧ من الطبعة المصرية .

العدوية في عبارة (العدوية واليزيدية) سهواً بينما يجب أن تكون العبارة (العدوية اليزيدية) .

وما يقال عن رواية السمعاني ، وكلام أبي فراس ، يقال كذلك عما جاء في مخطوطة الراهب راميشوع التي كتبت سنة ٨٥٥ هـ (١٤٥١ م) وعما نقله الحلبي عن (درر الحبب) في وفاة عز الدين العدوي سنة ٩٤٨ هـ (١٥٤١ م) .

أما ما جاء في شرفنامه البدليسي التي كتبت عام ١٠٠٥ هـ (١٥٩٦ م) فلا لبس فيه ولا غموض . على أن لليزيدية وجهة نظر خاصة في سبب تسميتهم بهذا الاسم ننقلها كما جاءت في كتابهم المقدس « مصحف رش » :

« ومن الطوفان إلى الآن سبعة آلاف سنة ، وبكل ألف سنة ينزل إلهاً جديداً — كذا — من السبعة آلهة يضع لنا آيات وقوانين وشرائع ثم يصعد إلى مكانه ، نزوله يصير عندنا لأن جميع المكانات المقدسة هي عندنا ، وفي هذا الزمان نزل الله عندنا أكثر من الزمان الماضي ، وثبت لنا الأولياء . وكان يكلمنا بلسان الكردي ، وانحنى على محمد ، نبي الاسماعيليين ، وكان عند محمد خادم اسمه معاوية ، فنظر الله إلى محمد انه لا يسلك مستقيماً أمامه فأوجع رأسه . فقال محمد لمعاوية تعال أحلق رأسي ، لانه كان يعرف يحلق ، فأتى معاوية وحلقه بخفة وصعوبة حتى جرحه وجرى منه دماً — كذا — فلما نظر معاوية ذلك ، لحس الدم بلسانه خوفاً لئلا يقع على الأرض ، فقال له محمد : مادا صنعتَ يا معاوية ؟ أجاب لحسته بلساني خوفي لئلا يقع دمك على الأرض . فقال له محمد : أخطيت بذلك يا معاوية إنك ستجلب أمة واحدة وراك ، وتقلب لامتي ، فقال معاوية لا أدخل العالم وأتزوج أبداً . فبعد زمان سلّط الله على معاوية عقارب فلدغته ، ورشّ سمهم بوجهه ، فجزموا الأطباء أن يتزوج وإلا فيموت . فلما سمع ذلك رضي بالزواج فجابوا له أمرأة عجوز عمرها ثمانين سنة لكي لا تحبل ، فعرفها ، وفي الغد ظهرت ابنة خمس وعشرون — كذا — سنة وذلك بقدرة الإله الكبير ، فحبلت وولدت إلهنا الذي يدعى يزيد .

فهذه الاقصوصة هي إلى الخرافة والخيال ، أقرب منها إلى الحقيقة والواقع ، وان تبرأ منها العقلاء والمهذبون من اليزيدية .

(خلاصة الفصل)

كان اليزيدية في بداية امرهم من المجوس فاعتنقوا الاسلام بعد مجوسيتهم ، كما اعتنقته الطوائف الأخرى . ولما حل الشيخ عدي بن مسافر الأموي بين ظهرانيهم في منتصف القرن السادس للهجرة ، وأسس طريقته العدوية ، كان اليزيديون أول من والاها واعتنقها . وقد غلوا في هذا الشيخ الزاهد غلواً كبيراً ، ونسبوا إليه ما لا يصح نسبته إلى مخلوق مثله ، ولما انتقل هذا الشيخ إلى جوار ربه في عام ٥٥٧ ﻫ (١١٦١ م) ظهر بين خلفائه بعض من أضلّهم ، وأبعدهم عن التعاليم الإسلامية الصحيحة ، فظهرت فيهم براعم الدين القديم ، وعاد القوم إلى معتقدات توارثوها كابراً عن كابر ، ولكنها كانت الآن مزيجاً من عبادات منوعة ، وتعاليم غير ثابتة . وإنما سموا باليزيدية ، لأنهم كانوا يعتقدون بصلاح يزيد بن معاوية اعتقاداً تجاوز الحد حتى قالوا فيه إلهاً .

الشيخ عدي ومرقده

(تمهيد)

أجمع المؤرخون وأصحاب كتب السير على صلاح الشيخ عدي ، الذي تنتمي اليه الطائفة اليزيدية ، وعلى ورعه وزهده وتقاه . ورفع بعضهم نسبه إلى مروان بن الحكم – رابع الخلفاء الأمويين – ، واتفقوا على أمويّته ، فهو شَرَف الدين أبو الفضائل عدي بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان ، وانه كان شيخ طريقة خاصة عرفت بالطريقة العدوية .

ولد في قرية « بيت فار » من أعمال بعلبك « بسورية » [1] دون أن تعرف سنة ولادته بالضبط ، وسكن جبال « الهكارية [2] من أعمال الموصل لارشاد الكرد الجبليين فاشتهر بالهكاري . واختلف المؤرخون في سنة وفاته فكانت عند بعضهم سنة (٥٥٥) وعند اخرين سنة (٥٥٧) او سنة (٥٥٨) الهجرية ، وهو ابن تسعين سنة أو ما يقارب من التسعين ، ودفن في زاويته بالهكارية ، وكان قد امضى شطراً كبيراً من عمره في المجاهدة حتّى قال بحقه الشيخ عبد القادر الجيلي – الكيلاني – « لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة لنالها الشيخ عدي بن مسافر » [3] .

---

(١) كانت « بيت فار » من قرى بعلبك . أما اليوم فهي من قرى البقاع الغربي ، بين مشغرة وقب الياس ، وتسمى « خربة أنا فار » وبها قبر مشهور للشيخ مسافر ، وبها أرض موقوفة لهذا القبر . وقد خسر المسلمون هذه القرية في جملة ما خسروه أيام الترك ، فأصبح جميع سكانها الآن مسيحيين ، ولا يدل على اسلاميتها إلا قبر الشيخ مسافر . حتّى ان الأرض الموقوفة له أصبحت أملاكاً للمسيحيين .

(٢) البلاد الهكارية ، أو الحكارية ، هي قطعة من كردستان تتصل بحدود ايران ، وكانت قديماً تخضع لأمراء الموصل وملوكها ، ولما آل أمرها إلى الحكومة العثمانية ، جعلوها ولاية مستقلة عن غيرها ، ثم ألحقوها بولاية « وان » يحدها شرقاً إيران ، وشمالاً وان ، وغرباً سعرد ، وجنوباً الموصل .

(٣) الشيخ محمد الحنبلي في كتابه – قلائد الجواهر – ص ٨٥ .

ولقصة مولد الشيخ عدي حديث طريف رواه الشيخ محمد الحنبلي في كتابه « قلائد الجواهر في مناقب عبد القادر » فقال :

« كان مسافر بن اسماعيل — والد الشيخ عدي — قد دخل الغابة ، ومكث بها اربعين سنة [1] ثم انه رأى في المنام قائلاً يقول له : يا مسافر اخرج وجامع زوجتك يأتيك ولي لله تعالى يكون ذكره في المشرق والمغرب ، فخرج واتى زوجته فقالت لا افعل حتى تصعد هذه المنارة وتنادي : يا أهل البلد انا مسافر وقدمت ، وقد امرت ان اعلو فرسي ، فمن علا فرسه أتاه ولي ... فولد لأجله ثلثمائة وثلاثة عشر ولياً [2] .

ونسب صاحب « قلائد الجواهر » كثيراً من الخوارق حصلت له أثناء حمله ، كتسليم الأولياء عليه وهو في بطن امه ، وجوابه بعد ولادته ، وتكلمه في أيام طفولته ، وقد نشأ منشأ حسناً ، وقصد بغداد في أيام صباه ، وأخذ العلم من اعاظم فضلائها ، وعاصر فطاحل علمائها ، فنال شهرة عظيمة في مجاهداته وحسن أخذه ، ثم انقطع واخذ العزلة ، فاختار جبال الهكارية [3] وآوى إلى المغاور والكهوف مجرداً ، ثم حصلت له المتابعة ، والتف به أهل تلك المواطن وتحدث الكثير من المشايخ بفضله وزهده ، فكان التفاف الناس حوله سبباً لخروجه من عزلته ، وانقطاعه إلى ارشاد المحيطين به ، فكثر اتباعه ومريدوه .

وكانت عادة اللعن والسبّ منتشرة في هاتيك الأطراف ، فأعلن الشيخ عدي مقاطعة اللعن مطلقاً « ويدخل في هذا الاطلاق لعن إبليس بالطبع » وشدد بوجوب الانصراف إلى العبادة والتقشف ، وإلى التمسك بأهداب التقى والصلاح . والظاهر ان هذه الرغبة ، أو الموعظة الحسنة ، صادفت رد فعل لدى اليزيدية فجعلوها معتقداً دينياً يحرم به « لعن الشيطان » وتطور هذا الاعتقاد — بعد وفاة الشيخ عدي — إلى القول او الاعتقاد بمشاركة الشيطان لله في خلق الكون .

---

(١) روى صاحب كتاب — جامع كرامات الأولياء — انه سكن الغابة نحو ٣٠ سنة .

(٢) قلائد الجواهر ص ٨٩ .

(٣) يلوح لنا ان الشيخ عدي بن مسافر الأموي انما اختار السكن في جبال الهكارية لما شهده في سكانها من جهل وضلال في العقيدة ، وان الدعوة الاسلامية السمحة لم تؤثر في هذا الفريق من البشر الذي كان ما يزال متأثراً بالديانة الزرادشتية .

« لا يخفى ان الغالب في كثير من النحل والمذاهب ان يطرأ عليها التغيير والتبديل بعد ذهاب الداعين اليها إما بالابتداع فيها ، او بتغيير النصوص أو بتأويلها ، على حسب ما توحيه الآراء وتزينه الأهواء ... غير ان التغيير يختلف قلة وكثرة تبعاً لاميال المهيمنين على المذهب ، وأغراضهم ، واستعداد نفوس متبعيهم . وهو عين مـا طرأ على مذهب اليزيدية ، فإنهم لم يكونوا في مبـدأ امرهم سوى طائفة من الصوفية لهم طريق خاص ، كالحال في سائر طوائف القوم ، غير انهم غلوا في شيخهم غلواً تجاوز الحد ، وأدى إلى قولهم فيه بما لا يوافق شرعاً ولا عقلاً ، ثم قام فيهم رؤساء السوء ، الطالبون للحطام من طريق الرئاسة ، فتوسعوا في مذهبهم ، وادخلوا فيه ما اقتضته مصلحتهم ، ووافق اهواءهم ، وما زالوا ينقصون منه ويزيدون فيه قرناً بعد قرن حتى خرجوا من الاسلام جملة » [1] .

على ان التعصب لابليس ، أو عدم لعنه ، لم يكن من آراء عدي حسب ، فقد روى ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة ما يلي :

« وكان ابو الفتوح احمد بن محمد الغزالي الواعظ ، اخو ابي حامد محمد بن محمد الغزالي الفقيه الشافعي ، قاصاً لطيفاً وواعظاً مفوّهاً ، وهو من خراسان ، من مدينة طوس ، وقدم إلى بغداد ووعظ بها ، وسلك في وعظه مسلكاً منكراً ، لأنه كان يتعصب لإبليس ويقول انه سيد الموحدين . وقال يوماً على المنبر : من لم يتعلم التوحيد من ابليس فهو زنديق . أمر ان يسجد لغير سيده فأبى » [2] .

(بعض الذين ترجموا الشيخ عدي)

١ ــ ذكر « ابن الأثير الجزري » المتوفى عام ٦٣٠ هـ (١٢٣٢ م) وفاة الشيخ عدي بن مسافر الأموي في ص ١٠٨ من المجلد الحادي عشر من كتابه « التاريخ الكامل » فقال :

« وفيها ــ اي في عام ٥٥٧ هـ ــ في المحرم ، توفي الشيخ عدي بن مسافر الزاهد المقيم ببلد الهكارية من أعمال الموصل وهو من الشام ، من بلد بعلبك ، فانتقل إلى

---

(١) راجع كتاب ــ اليزيدية ومنشأ نحلتهم ــ لأحمد تيمور باشا ص ٥٦ (الطبعة الثانية) .
(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١ ص ٣٥ .

الموصل ، وتبعه اهل السواد والجبال بتلك النواحي واطاعوه ، وحسنوا الظن فيه ، وهو مشهور جداً .

٢ ــ وترجمه القاضي احمد الشهير بابن خلكان ، المتوفى عام ٦٨١ هـ (١٢٨٢ م) في كتابه « وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان » ص ٣١٦ من المجلد الأول فقال :

الشيخ عدي بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان ، كذا أملي نسبه بعض ذوي قرابته ، الهكاري مسكناً ، العبد الصالح المشهور ، الذي تنتسب اليه الطائفة العدوية .

« سار ذكره في الآفاق وتبعه خلق كثير ، وجاوز حسن اعتقادهم فيه الحد حتى جعلوه قبلتهم التي يصلون اليها [١] ، وذخيرتهم في الآخرة التي يعولون عليها ، وكان قد صحب جماعة كثيرة من اعيان المشايخ والصلحاء المشاهير مثل : عقيل المنبجي [٢] ، وحماد الدباس ، وابي النجيب عبد القاهر السهروردي [٣] وعبد القادر الجيلي ، وابي الوفاء الحلواني ، ثم انقطع إلى جبل الهكارية من اعمال الموصل ، وبنى له هناك زاوية ، ومال اليه اهل تلك النواحي كلها ، ميلاً لم يسمع لأرباب الزوايا مثله ، وكان مولده في قرية يقال لها بيت فار [٤] من اعمال بعلبك ، والبيت الذي ولد فيه يزار إلى الآن ، وتوفي سنة سبع وقيل خمس وخمسين وخمسمائة في بلدة بالهكارية ، ودفن بزاويته رحمه الله تعالى : وقبره عندهم من المزارات المعدودة ، والمشاهد المقصودة ، وحفدته إلى الآن بموضعه يقيمون شعاره ، ويقتفون آثاره ، والناس معهم على ما كانوا عليه زمن الشيخ من جميل الاعتقاد ، وتعظيم الحرمة . وذكره ابو البركات ابن المستوفي في تاريخ إربل . وعدّه من جملة الواردين على إربل . وكان مظفر الدين صاحب إربل رحمه الله تعالى ، يقول . رأيت الشيخ عدي ابن مسافر وانا صغير بالموصل ، وهو شيخ ربعة اسمر اللون ، وكان يحكي عنه صلاحاً كثيراً ، وعاش الشيخ عدي تسعين سنة رحمه الله تعالى » إ هـ .

---

(١) جاءت هذه الكلمة في الطبعة المصرية لوفيات الأعيان (يصلون فيها) وهي وهم .

(٢) جاءت هذه الكلمة في الطبعة المصرية (عقيل المنحي) وهي محرّفة .

(٣) جاءت هذه الكلمة في الطبعة المصرية (عبد القادر الشهرزوري) وهي محرفة .

(٤) جاءت هذه الكلمة في الطبعة المصرية (بيت قار) بالقاف دون الفاء .

٣ — قال عماد الدين . اسماعيل ابو الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ هـ (١٣٣١ م) أيضاً في الصفحة ٤٠ من المجلد الثالث من مؤلفه « كتاب المختصر في اخبار البشر » في حوادث عام ٥٥٧ الهجري أيضاً :

« وفيها في المحرم ، توفي الشيخ عدي بن مسافر الزاهد المقيم ببلد الكهارية [١] من أعمال الموصل . واصل الشيخ عْدي من الشام من بلد بعلبك ، فانتقل إلى الموصل وتبعه أهل السواد والجبال بتلك النواحي ، واطاعوه واحسنوا الظن به » .

٤ — وقال الحافظ شمس الدين أبو عبد الله الذهبي ، المتوفي عام ٧٤٨ هـ (١٣٤٨ م) في الجزء الثاني من كتابه « دول الإسلام » ص ٥١ في حوادث السنة ٥٥٧ الهجرية .

« وفيها مات شيخ العارفين عدي بن مسافر الهنكاري [٢] الزاهد ، وقد قارب التسعين » .

٥ — وقال الشيخ زين الدين عمر بن الوردي المتوفى عام ٧٤٩ هجرية (١٣٤٨ م) في صفحة ٦٤ — ٦٦ من المجلد الثاني من تاريخه « تاريخ ابن الوردي » ، في حوادث سنة ٥٥٧ الهجرية .

وفيها ، في المحرم توفي الشيخ عدي بن مسافر الزاهد ببلد الهكارية ، من أعمال الموصل ، أصله من بلد بعلبك ، وانتقل إلى الموصل ، وتبعه أهل السواد والجبال ، وأحسنوا به الظن ... وهو الشيخ شرف الدين أبو الفضائل عدي بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان بن الحكم بن مروان الأموي » :

٦ — وقال أبو محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان ، عفيف الدين اليافعي المتوفى سنة ٧٦٨ هـ (١٣٦٦ م) في الصفحة ٣١٣ من المجلد الثالث من كتابه « مرآة الجنان وعبرة اليقظان » في حوادث عام ٥٥٧ هـ .

« وفيها توفي الشيخ الكبير ، الوليّ الشهير ، ذو الفتح الظاهر ، والحال الباهر ، والمعارف والأسرار ، والكرامات والأنوار ، والمقامات العلية ، والمواهب السنية ،

---

(١) تصحيف الهكارية .

(٢) مصحفة من الهكاري .

والأنفاس الصادقة ، والآيات الخارقة ، عدي بن مسافر الشامي ، ثم الهكاري الزاهد . صحب الشيخ عقيلا المنبجي والشيخ حماد الدباس ، واليه تنتسب الطائفة العدوية . سار ذكره في البلاد ، وتبعه خلق كثير ، وعظم فيه الاعتقاد . انقطع إلى جبل الهكارية ، من أعمال الموصل ، وبنى هناك زاوية ، مال اليه اهل تلك النواحي ميلاً عظيماً ، وقبره عندهم من المزارات المعدودة ، والمشاهد المقصودة رضي الله تعالى عنه ونفعنا به وبجميع الصالحين » .

٧ – وقال الشيخ تقي الدين ، أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمود المعروف بالمقريزي المتوفى سنة ٨٤٥ هـ (١٤٤١ م) في كتابه « الخطط المقريزية » ص ٣٠٥ من المجلد الرابع في بحثه عن الزاوية العدوية » ما نصه :

« هذه الزاوية بالقرافة تنسب إلى الشيخ عدي بن مسافر بن اسماعيل بن موسى ابن مروان بن الحسن بن مروان الهكاري القرشي الأموي ، وكان قد صحب عدة من المشايخ : كعقيل المنبجي ، وحماد الدباس ، وعبد القادر [1] السهروردي ، وعبد القادر الجيلي ، ثم انقطع في جبل الهكارية من أعمال الموصل ، وبنى له زاوية ، فمال إليه أهل تلك النواحي كلها ميلاً لم يسمع لأرباب الزوايا مثله ، حتى مات سنة سبع ، وقيل سنة خمس وخمسين وخمسمائة ودفن في زاويته ، وقدم ابن اخيه إلى هذه البلاد – مصر – وهو زين الدين ... الخ » .

٨ – أما سيدي عبد الوهاب الشعراني صاحب « الطبقات الكبرى » المتوفى سنة ٩٧٣ هـ (١٥٦٥ م) فقد ارتأى في الص ١١٩ من الجزء الأول من كتابه – الطبعة المصرية – ان وفاة الشيخ عدي كانت في عام ٥٥٨ هـ وانه دفن في زاويته .

٩ – وقال المؤرخ الفقيه ، عبد الحميد الحنبلي المتوفي سنة ١٠٨٩ هـ (١٦٧٨ م) في صفحة ١٧٩ من الجزء الربع من كتابه « شذرات الذهب في أخبار من ذهب » .

« وفيها – في سنة ٥٥٧ الهجرية توفي – الشيخ عدي بن مسافر الشامي ، ثم الهكاري ، الزاهد قطب المشايخ وبركة الوقت وصاحب الاحوال والكرامات . صحب الشيخ عقيلاً المنيحي [2] والشيخ حماد الدباس وعاش تسعين سنة ، ولاصحابه فيه عقيدة تتجاوز الحد » .

---

(١) صحيحه : عبد القاهر – كما في ابن خلكان – ٣١٦/١ .

(٢) صحيحه المنبجي .

(خلفاء عدي)

قال اللخمي في « بهجة الأسرار » ان أول من أقيم خليفة عــلى هذه الطائفة ـ العدوية ـ بعد الشيخ عدي ـ الأعزب ـ هو ابن أخيه أبو البركات بن صخر بن مسافر . والمعروف أن صخراً الثاني كان قصد عمه الشيخ عدي في الهكارية ، وتودد إليه ، وسار على نهجه . ومما يؤثر عن الشيخ عدي أنه قال « أبو البركات يخلفني » بعد أن أنس فيه الصلاح والزهد والورع ، فكان خير خلفٍ لخير سلفٍ في زعامة الطريقة العدوية ، وفي العلم والإرشاد والتقوى . وتوفي أبو البركات في سنة غير معروفة لكن الذين ترجموه ذكروا انه كان مسناً ، ودفن عند عمه ، وقبره ظاهر الآن يزار . فإن في تربة الشيخ عدي ثلاثة قبور بارزة : أولها قبر الشيخ الكبير : الشيخ عدي بن مسافر . والثاني قبر ابن أخيه صخر الثاني ، وهو على يمين الباب المؤدي إلى مضجع عمه . أما القبر الثالث فينسبونه إلى الشيخ حسن بن عدي الثاني . فقد خلف صخراً هذا ، ولده « عــدي بن ابي البركات الملقب بأبي المفاخر والمشهور بالكردي » وكان صالحاً مثل أبيه « انتهت إليه الرئاسة في وقته في تربية المريدين بجبل هكار وما يليه ، وتخرج بصحبته غير واحد ، وكان كريماً ظريفاً ذا سمت وحياء ، محباً لأهل الدين ، مكرماً لأهل العلم ، وافر العقل « شديد التواضع »[1] وكانت الطريقة العدوية في أيامه ـ كما كانت في أيام أبيه ـ على غاية من الصفاء في جوهرها ، ثم انتقلت إلى الشيخ حسن بن عدي ابي البركات بن صخر بن مسافر الملقب بتاج العارفين شمس الدين ابو محمد شيخ الأكراد . وكانت ولادته في سنة ٥٩١ هـ ووفاته في سنة ٦٤٤ هـ ، وهو ابن٥٣ سنة ، ولكن لا تعرف سنة توليه هذه الرئاسة لعدم معرفة تاريخ وفاة أبيه الشيخ عدي الثاني . وفي زمانه « زمن الشيخ حسن » ظهر الغلو في الشيخ عدي بن مسافر الأموي وفي خلفائه ، كما كثر الضلال في تعاليمه ، وهو الذي قال عنه ابن شاكر الكتبي : « وكان شمس الدين من رجال العلم رأياً ودهاءً ، وله فضل وأدب وشعر ، وتصانيف في التصوّف ، وله اتباع ومريدون يبالغون فيه » [2] ونعته اليزيديون « بالبصري » جهالة منهم . وفي زمن هذا الشيخ « المزعوم بالبصري » بدأ الزيغ في العقيدة العدوية ، وظهر الضلال بين

---

(١) قلائد الجواهر ص ١١٠ .

(٢) فوات الوفيات ص ١/١٥٨ .

معتنقيها « وخاف منه بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فقبض عليه وحبسه ثم خنقه بوتر في قلعة الموصل – سنة ٦٤٤ – خوفاً من الأكراد لأنهم كانوا يشنون الغارات على بلاده » (١) فقد كان بدر الدين من دهاة عصره ، ميكيافيلي السياسة ، يقدم على كل أمر في سبيل توطيد ملكه .

قال ابن تيمية في مجموعته الكبرى ١ – ٢٣٨

« وفي زمن الشيخ حسن زادوا أشياء باطلة نظماً ونثراً ، وغلوا في الشيخ عدي وفي يزيد بأشياء مخالفة لما كان عليه الشيخ عدي الكبير قدس الله روحه ، فإن طريقته كانت سليمة ولم يكن فيها من هذه البدع » إ ه المرام .

(مرقد الشيخ عدي)

لا يزال الباحثون « في اليزيدية ومنشأ نحلتهم » يواصلون البحث لمعرفة أصل التربة التي يرقد فيها الشيخ عدي بن مسافر الأموي ، مؤسس هذه الطائفة ، ويقفون منها موقف الحائر . فقد أصبح من المتفق عليه ان هذا الشيخ المتصوف جاء من بيت فار (بسورية) واتخذ زاويته في الموضع المسمى عند الكرد واليزيدية حتى الآن بمضيق ليلش ، ودفن في زاويته . وفي الوقت نفسه لا تزال المصادر المسيحية تردد روايتين مآلهما أن هذه الزاوية ، أو هذا المرقد ، كان ديراً للنصارى ، فاغتصبه عدي بن مسافر الكردي وسكن فيه . وأولى هاتين الروايتين منظومة ليشو عيّاب ، المعروف بابن المقدّم ، مطران إربل في القرن الخامس عشر للميلاد ، وهذا نصها :

« ولبث هذا الدير بيدنا حتى كان اليوم الذي أقبل فيه الشيخ عدي ، وقد تبعه كثيرون من الأشياع الموالين ، وخضعوا له ، فابتز أموالنا ، واغتصب ديرنا ، وما زال هذا الدير يعرف باسم الشيخ عدي في كل مكان إلى هذا اليوم » (٢) .

وأما الرواية الثانية فمخطوطة كان كتبها الراهب راميشوع الشايب باللغة الآرامية في حدود سنة ٨٥٥ هـ ١٤٥٢ م وخلاصة ما جاء فيها :

---

(١) فوات الوفيات ص ١/١٥٨ .

(٢) المشرق ١٩٢٢ م ٢٠ – ٨٣٤ وتاريخ الموصل ١ – ٢٩٨ .

ان مرقد الشيخ عدي الحالي كان ديراً أسسه الراهبان : مار يوحنا ، وايشوع صبران في القرن السابع للميلاد ، وكان يسكن هذا الدير رهبان عديدون ، وله نحو ثلاثين قرية و (١٥٠٠) شاة ، ومئتي غنمة ، وعدد وافر من الجمال والبقر ، وكان الرهبان قد عهدوا إلى أهل عدي بن مسافر الكردي رعاية هذه الأغنام ، لأن عدياً كان صغير السن . فلما ترعرع ، تزوج من فتاة شهيرة رفعت مقامه لدى رئيس الدير حتى ولاه شؤون الدير ورعاية أغنامه . وكانت عادة رؤساء رهبان الدير المذكور ،أن يذهبوا في كل سنة لحج المقدس (أورشليم) فتبقى إدارة شؤون الدير بيد عدي بدون مناوىء . وفي سنة ٦١٦ هـ ١٢١٩ م اختلف رئيس الدير مع عدي ابن مسافر الكردي ، وخفف من سلطته ، فما كاد الرهبان ورئيسهم يقصدون المقدس — على جاري عادتهم — حتى اغار عدي ومن معه من الأشياع على الدير فقتلوا من فيه ، وجعلوه مقرهم ، فلما عاد الرئيس حاول أن يسترجع ديره بالحسنى فأخفق ، فذهب توا إلى قائد المغول في فارس ، متضرعاً إليه أن يعيد اليه ديره فوعده خيراً . وفي عام ٦١٩ هـ ١٢٢٢ م كان المغول يقاتلون في إربل فقبض قائدهم على عدي بن مسافر الكردي ، وأرسله إلى السلطان الأعظم في مراغه ، ليحاكم عن جريمة اغتصابه الدير . فما كان من السلطان إلا أن أصدر بحقه حكم الموت فقتل ، ثم كانت الحرب سجالا بين التاتار واتباع عدي ٣٩ عاماً انتهت بموت رئيس الدير ، وهو في بلاد فارس ، فلما كانت أيام تكودار خان ، الذي أسلم وسمى نفسه محمداً ، عاد أصحاب عدي فاسترجعوا الدير ، موضوع البحث ، وبقي في ايديهم إلى اليوم .

إن أول من آمن بصحة ما جاء في مخطوطة راميشوع الشايب ، هو المستشرق الفرنسي F. NAU فترجمها إلى اللغة الفرنسية ، ونشرها في كتابه المطبوع عام ١٩١٨ (١) كما أن وضيعة « دار السلام » البغدادية نشرت تعريباً لهذه المخطوطة في عام ١٩٢٠ م (٢) . وفي عام ١٩٢٢ م نشر « المقتطف » مقالة بتوقيع « كلدة » ضمنها تعريب مخطوطة راميشوع (٣) . وفي عام ١٩٢٣ م حذا القس سليمان صائغ حذو من ذكرناهم ، فنشر خلاصة هذه المخطوطة في كتابه (٤)

---

(١) Recueil de Textes et de Documents sur les Yezidis

(٢) دار السلام ج ٣ ص ٣٢١ لسنة ١٩٢٠ م .

(٣) المقتطف ٦١ — ١١٩ لسنة ١٩٢٢ م .

(٤) تاريخ الموصل ص ٢٩٩ من المجلد الأول :

ومن الغريب ان كل من ذكرناهم فويق هذا يعتقد جازماً أن عدي بن مسافر الأموي دفن في زاويته في ليلش [1] فكيف يمكن التوفيق بين هذه العقيدة وبين ما جاء في المخطوطة الآرامية ، وفي شعر ابن المقدّم ؟



(مدخل مرقد الشيخ عدي في ليلش)

كان الشيخ عدي بن مسافر الأموي رجلاً زاهداً صالحاً . جاء من بيت فار

(١) أيد العلامة الشيخ محمد الحنبلي في ص ٩٠ من كتابه « قلائد الجوهر » ان الشيخ عدي الأموي دفن في زاويته في لالش كما اجمع المؤرخون على ذلك .

« بسورية » وأسس الطريقة العدوية ، ثم انتقل إلى رحمة ربه سنة ٥٥٧ ﻫ (١١٦١ م) ودفن في زاويته بليلش .

وكان الشيخ عدي بن مسافر الكردي ، الذي استولى على دير مار يوحنا وإيشوع صبران — على فرض صحة ما جاء في مخطوطة راميشوع — راعياً لأغنام الدير المذكور ، ثم كان قاطع طريق ، وسافك دماء ، بحيث قبض عليه قائد المغول ، وأرسله إلى مراغه فأعدم بأمر السلطان الأعظم سنة ٦١٩ ﻫ (١٢٢٢ م) .

فهل كان عدي الأموي (الأول) هو نفسه عدي الكردي (الثاني) ؟ وهل من المعقول أن يصبح الشيخ عدي الأموي راعي أغنام ، أو قاطع طريق ، وقد اجمع المؤرخون على ورعه وصلاحه وانقطاعه للعبادة ؟

قد يجوز ان يكون الشيخ عدي بن مسافر الأموي كان قد اتخذ زاويته في الموضع الذي احتله الشيخ عدي بن مسافر الكردي ، بعد مرور ٦٢ سنة على وفاته ، إذا سايرنا قول من قال : ان نسق البناء المدفون فيه شيخ العدوية ، يشبه نسق بعض الأديرة المسيحية ، وقد لا يجوز ، فان هذا معضلة لا نعتقد بسهولة حلها .

وليت الأمر ينتهي عند هذا الخلاف حسب ، فان اليزيدية لا يقولون ان عدياً قد دفن في هذا الموضع ، لانهم يعتقدون بانه تصوّر بعد موته بصورة مقدسة ، وعرج إلى السماء ، بعد أن ترك وصاياه على الأرض ، وان ملكاً صالحاً ظهر بعد ذلك فأخبرهم بأن هذا قبره فصاروا يحجون اليه .

وقد يجوز ان يكون اليزيديون قد لفقوا قضية العروج ليخفوا بها رفاة شيخهم الأكبر ، لكثرة ما توالى عليهم من النكبات . قال ابن الفوطي في حوادث السنة ٦٥٢ ﻫ ما يلي :

« في هذه السنة جرت بين أصحاب الشيخ عدي بن مسافر ، وأصحاب بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، محاربة كان سببها : ان بدر الدين كان كثير التثقيل على اولاد الشيخ عدي ، ويكلّفهم مالا على وجه المساعدة ، فأطلقوا ألسنتهم فيه ، فأرسل طائفة من عسكره اليهم ، فقاتلوهم قتالاً شديداً ، فانهزمت الأكراد العدوية ، وقتل منهم جماعة كثيرة ، وأسروا منهم جماعة ، فصلب بدر الدين منهم مئه ، وذبح مئة ، وأمر بتقطيع أعضاء أميرهم وتعليقها على أبواب الموصل ، وأرسل من نبش قبر الشيخ عدياً من ضريحه واحرق عظامه » [1] .

---

(١) الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة ص ٢٧١ .

وعلى كل ففي اعتقادنا ان البحث في معرفة اصل التّربة التّي يرقد فيها الشيخ عدي بن مسافر الأموي لا يزال ناقصاً . وقد « فتحت هناك مدرسة دينية أسلامية دامت من سنة ١٣١٠ إلى سنة ١٣٢٢ هجرية . وتفصيل الخبر ان اليزيدية لم يكونوا يخدمون فعلاً في الجيش لاسباب دينية تمنعهم من ذلك على اعتقادهم ... فكانوا يدفعون بدلاً نقدياً كاليهود ، والنصارى ، ولكن حكومة عبد الحميد أرادت أن تجبرهم إلى التجنيد الفعلي ، كما كانت تفعل مع سائر الفرق الاسلامية المنحرفة : كالنصيرية ، والاسماعيلية ، والدروز ، وغيرهم لتحققها انهم أيضاً طائفة من المسلمين كانوا على الدين القويم ، ثم ضلوا بإغواء بعض المضلين ... وفي تلك الأثناء أرسل الشيخ المدعو بأمين أفندي القره طاغي إلى معبد الشيخ عدي ، وعين له وللطلاب رواتب ... فقرأ على هذا المدرس بعض الأكراد ... إلى سنة ١٣٢٢ » [(١)] حيث الغيت المدرسة .

(صفة المرقد)

كنا قصدنا زيارة مرقد الشيخ عدي في منتصف عام ١٩٢٥ للميلاد ، فلم نتمكن من الاحاطة بكل ما فيه من نقوش ورموز ، وقباب وقبور ، لاعتبارات لا مجال لبسطها هنا ، ولكنا وفقنا إلى مثل هذه الزيارة في يوم الخميس الموافق ١٧ نيسان من عام ١٩٤٧ م إذ كان يصحبنا معاون مدير شرطة قضاء الشيخان ، السيد نوري السحّار ، مع ثلة من أفراد الشرطة المدججين بالسلاح ، وكان الوقت ظهراً ، والسماء ممطرة ، وكان سادن المقام تلقى امراً من أمير الشيخان تحسين بك ، ومن جدّته الوصية عليه « ميان خاتون — وكنا في ضيافتهما قبل يوم » — أن يعتني بنا ، ويكرم وفادتنا ، فتلقانا بالبشر والانشراح ، ونحر لنا كبشاً كلف طبخه عناءاً كبيراً ، حيث المطر غزير والبرد شديد . وقبل أن ينضج الطعام ، سألناه عما إذا كان في إمكاننا زيارة المرقد ، قبل تناول الطعام ، فدعانا إلى خلع أحذيتنا ، وأشار علينا أن نتخطى عتبات المرقد ، دون أن نطأ إحداهن بأقدامنا . ولما دنونا من المرقد ، وجدنا في أعلا تاج باب المرقد زخرفة على المرمر تعلوها صورتان لطاووسين متقابلين ، بتوسطهما أسدان مرسومان على رخامة ثلاثية الشكل يدل مظهرها على أنها حديثة الصنع ، بالقياس إلى التاريخ الذي عليها . ووجدنا على مدخله « فوق الباب » عبارات عربية واضحة هذا نصها :

---

(١) الدكتور داود الجلبي في كتابه « مخطوطات الموصل » ص ٢٥٢ .

(بسم الله الرحمن الرحيم)
خالق السماء والأرض
اخفض هذا المنزل
محل شيخ عادي الهكاري
شيخ اليزيدية ٦٩٥

كما وجدنا على الجدار هذه العبارة : « قد سعي بتجديد هذا المرقد علي بك ابن حسين بك أمير الشيخان ١٣٢٤ » .

وهنالك عبارات وكتابات متفرقة لا يتعدى عهدها الأزمنة الأخيرة ، ولا تجمع بينها جامعة ، بعضها واضح جلي ، والبعض الآخر مطموس المعالم ، وكان أبرز هذه الكتابات هذه العبارات :

« السلطان يزيد رحمه الله »　　　　« الشيخ عادي رحمه الله »

« ان هذا ضريح الحاجي اسماعيل . دوّنت على بابه السعادة فادخلوها بسلام آمنين في سنة ١١٩٥ » « يا شمس علي بك ويا فارس كونا نصيبي الحسن وحظ الحسين في هذه الدنيا والآخرة » .

وشاهدنا على جدار الجانب الأيمن من هذا المدخل ، صورة حية سوداء متدلية ، رأسها في الأسفل وذنبها نحو السماء . وما كدنا ندخل المرقد حتى وجدنا على الجهة اليمنى — داخله — بركة ماء واسعة ، في كل ركن من أركانها الأربعة دكة معدة للجلوس، وقد قيل لنا « هذا ماء بئر ناسر دين » وإلى الجهة اليسرى من المدخل، وجدنا خوخة واسعة في الجدار ، محاطة برخام جليل كتبت عليه آية الكرسي بخط النسخ الجميل ، ولما سألنا السادن عن هذه الخوخة وما وراءها ؟ أجاب « يرقد خلفها الشيخ عادي » وكان إلى جوار هذه الخوخة مرقد صغير قيل لنا « هذا مرقد يزيد » وهو وهم.

ثم دخلنا غرفة مربعة الشكل ، طول كل ضلع من أضلاعها أربعة أمتار ، وفيها مرقد ثان قيل لنا « هذا قبر شيخ حسن البصري » وقد صحح هذا القول من بعد الشيخ حسين بن الشيخ ابراهيم ، وادعى انه « قبر الشيخ حسن بن الشيخ عدي الثاني ويلقبونه بالحسن البصري » ومن هذه الغرفة صعدنا إلى غرفة أوسع منها كثيراً ، تعلوها قبة مخروطية الشكل مرتفعة ارتفاعاً شاهقاً ينتهي بهلال من ذهب ، تلك هي القبة التي يرقد تحتها عدي بن مسافر الأموي ، قبلة اليزيدية ، ومحور طقوسهم

الدينية ، ومركز حجهم الأكبر ، وأعيادهم الرسمية ، وكان فوق القبر صندوق من الخشب تعلوه سجادة رثة بالية ، فما كاد السادن يرمق هذه البنية ، حتى وضع يده على الصندوق وقال « أفندي نعبد هذا » [1] .

وقد وجدنا إلى جوار الغرفة التي يرقد فيها « الشيخ حسن » دهليزاً عميقاً طويلاً ، تلتصق بجدرانه خباب كبيرة ، مليئة بزيت الزيتون الذي يتبرع به المشايخ والزائرون لإنارة المرقد ، وما يحيط به من مواضع العبادة في سائر الأيام .

كان بناء الحضرة مستطيلاً قدّرنا طوله بثلاثين متراً ، وعرضه باثني عشر متراً ، وهو يتقوم من صفين في كل منهما سبع عقادات طويلة ، تقابلها سبعة محاريب للصلاة متجهة كلها نحو الجنوب ، ولم نجد فيه رموزاً ولا أنصاباً ، ولا كتابة ، خلافاً لما كنا نسمعه ونقرأ عنه من قبل .

ولما انتهينا من الزيارة وخرجنا من « الحضرة » استقبلنا صحن واسع تظلله أشجار التوت الباسقة ، وتصطف في جُدره مخادع صغيرة ، يتخذها الناس حوانيت في مواسم الزيارات ، فيعرضون فيها النُقل وما خف من المأكل ، وفي ركن من أركان هذا « الصحن » مقام السادن « او حجرته » وفي الركن المقابل حوض ماء ذي فتحتين يقال له كاني أسپي (العين البيضاء) حيث يغسل فيها المولودون حديثاً لتطهيرهم من دنس الولادة ، ويسمي المسيحيون المجاورون هذا الغسل تعميداً .

وهنالك كهوف مباركة ، ومزارات مقدسة ، وأشجار وأحجار كبيرة وصغيرة ، بعضها متصل ببعضه ، والبعض الآخر منعزل عن غيره ، واليزيديون يتقربون اليها في دعواتهم وخلواتهم ، ويقبلونها في معظم اوقاتهم ، ويوقدون عندها مصابيح الزيت في الليالي المخصوصة ، ويتجاوز عدد هذه المزارات الـ (١٥٠) مزاراً بعضها قديم ، والبعض الآخر حادث . وهناك غرفتان حفظت فيهما اوان من خشب الجوز تستعمل في أيام الزيارة ، وإلى جوارهما غرفة ملأى بالخبز الرقاق المعدّ للضيوف والفقراء .

والضريح قائم بين أشجار باسقة ، تظلله ، بفروعها الوارفة ، في مضيق بين جبلين عاليين . وهذا المضيق متفرع من الوادي الكبير المقدس ، حيث يرى المرء حقول الرز تحدق بها أشجار الدفلة بأزهارها الوردية البديعة ، وهي تكسو ضفتي

---

(١) لعله أراد أن يقول « اننا نتبع هذا » لأن اليزيدية لا تعبد عدياً .

المضيق على سفح كل من الجانبين . ويجري في هذا المضيق جدل وصافي الماء ينقلب فيه كاللجين ، أو ينحدر في عدة شلالات رائعة يسمع هديرها بين الصخور الملساء ، ممتزجاً بتغريد الطيور وزقزقة العصافير ونقيق الضفادع .

ويعتبر آثماً كل من قتل طيراً ، أو حشرة ، أو قطع شجرة ما ، في هذا الوادي المقدس ، الذي يحج إليه الالوف المؤلفة من اليزيدية لزيارة مرقد الشيخ عدي بن مسافر الأموي ، فان عظمة هذا المرقد وقدسيته لا تشبهان عظمة وقدسية أي مزار آخر ، وإلا فالكعبة في مكة المكرمة ، وقبر النبي محمد (صلعم) في المدينة المنورة ، أعظم من ذلك عند المسلمين . وكذلك القول في « كنيسة القيامة » التي فيها قبر السيد المسيح عليه السلام على رأي النصارى .

وإذا وصل زائر ما إلى مقام الشيخ عدي مساءً ، وجد السادن منصرفاً إلى تعطير المعبد بالبخور ، وإلى إيقاد الفتائل « والمصابيح » في الكهوف والشقوق ، اكراماً لملك الظلام . وتبلغ مساحة المواضع التي يتناولها هذا الاكرام نحو أربعة آلاف متر مربع .

الفصل الثالث

عقائد اليزيدية

بحثنا في الفصلين (الأول) و (الثاني) عن منشأ الطائفة اليزيدية ، وعن العالم الزاهد الشيخ عدي بن مسافر الأموي ، الذي تنتمي إليه هذه الطائفة ، ونبحث الآن في هذا (الفصل الثالث) عن (عقائد اليزيدية) وعن آرائهم في الخليقة ، والكون والتكوين ، وما يتفرع من ذلك .

(أ ــ الكون والتكوين)

ينقسم المعتقد اليزيدي في بدء الخليفة إلى قسمين : قسم يبحث في القوى الأولى الموجدة لهذا الكون وفي صفاتها ، وقسم يبحث في البشر وسلالاته ، وفي كل من هذين القسمين معتقدات وآراء لا تختلف (إلا من حيث الصورة) عن معتقدات الأمم الأخرى ، التي تبحث كتبها المقدسة عن التكوين والخليقة .

والذي يظهر من تتبع هذه المعتقدات ، ان يد الوضع التي رتبتها لم تحسن ترتيبها ، ولم تتقن وضعها . فهي مشوّشة ، ومرتبكة ، ومتناقضة في عين الوقت ، كما يظهر ذلك من محتويات كتابيهم المقدسين « الجلوة » و « مصحف رش » وسيأتي نصاهما .

ففيما يتعلق بالتكوين يقولون : في البدء خلق الله تعالى درّة بيضاء من سرّه العزيز ، وخلق طيراً اسمه (انغر) وجعل الدرة فوق ظهره ، وسكن فيها أربعين الف عام ، ثم بدأ في خلق الملائكة السبعة الذين تعاقبوا على ادارة العالم .

فخلق في يوم الأحد ، الملك الأول (عزازئيل) وهو (طاووس ملك) رئيس الجميع ، والمتسلط على الخلائق كافة . وقد اختصّ بالأمة اليزيدية دون غيرها من الأمم والبشر .

وفي يوم الاثنين ، خلق الملك (دردائيل) وهو الشيخ حسن [1] .

وفي يوم الثلاثاء ، خلق الملك (إسرافيل) وهو الشيخ شمس الدين [2] .

---

(١) و (٢) كلاهما واحد ، ويلقب بشمس الدين ، وعرّفوه بالشيخ شمس .

وفي يوم الأربعاء ، خلق (ملك ميكائيل) وهو الشيخ أبو بكر .
وفي يوم الخميس ، خلق (ملك جبرائيل) وهو سجادين [1] .
وفي يوم الجمعة ، خلق (ملك شمنائيل) وهو ناصر الدين .
وفي يوم السبت ، خلق الملك السابع (نورائيل) وهو الشيخ فخر الدين .
وجعل (طاووس ملك) رئيساً للجميع — كما قدمنا —

ثم خلق صورة للسماوات السبع ، والأرضين السبع ، وخلق الفكر الذي صوّر به الإنسان ، والطيور ، والوحوش .

وكان الرب ، في هذه المدة ، في الدرّة ، فخرج منها في اليوم السابع تحيط به ملائكته بين التهليل والتسبيح ، فتولى تكوين السماوات والأرض ، اولئك الملائكة الذين يعتقد اليزيديون انهم أرواح من ذات الله ، وأشباح من نوره ، وأنهم أزليون يتعاقبون على وضع الشرائع ، وسن السنن ، في رأس كل ألف عام ، حيث يهبطون على الأرض .

وانفصلت الدرة فصارت سبعة بروج ، وانصب الماء منها فكان بحراً خضماً ، واستدارت الدنيا فكانت طافية على ذلك الماء ، فمدّ الإله يده وعين جهاتها الأربع ، وتناول من الدرة قطعتين وذرات صغيرة فجعل إحداهما شمساً ، والأخرى قمراً ، ونثر الذرات نجوماً وزينة للسماء ، وأنبت النبات والأشجار المثمرة في السهل وعلى الجبل ، وخلق بعد ذلك فلكاً استوى على جبل ليلش النوراني فمكث فيه ثلاثين ألف عام .

(ب ـ البشر)

وشاء الرب أن يبدأ بالخليقة فأعلن لملائكته ذلك قائلاً : يا ملائكتي اني اخلق آدم وحواء ، وأجعل البشر منهما . وسيكون سر آدم وملته على الأرض ، ثم ملة طاووس ملك ، أو الملة اليزيدية .

وتجلى الله على جبل ليلش في الأرض المقدسة ، وأمر جبرائيل بأن يجمع ذرات من الأطر اف الأربعة ، فخلق الرب منها العناصر الأربعة وهي الماء ، والهواء ،

---

(١) يراد به الشيخ سراج الدين .

والنار ، والتراب ، ونفخ فيها الروح فكان منها آدم ، وأمر الله جبرائيل ان يدخله الفردوس ، وأباح له أن يأكل ما شاء من أشجارها وثمارها ، ما عدا شجرة الحنطة ، فإنه نهاه عنها . وبعد مئة سنة سئل « طاووس ملك » من الإله قائلاً : كيف يكثر البشر من نسل آدم وأين نسله ؟ فقال الله : لقد اودعت الأمر والتدبير اليك ، فجاء (طاووس ملك) وسأل آدم قائلاً : هل أكلت من شجرة الحنطة ؟ قال لا لأن الله نهاني عنها . فقال له (كُلْ وسيكون لك ما هو أحسن من ذلك) فتناول آدم منها ، فانتفخت بطنه ، فتركه الطاووس ملك وحيداً ، وعرج هو إلى السماء ، فأصبح آدم حانقاً ، إذ لم يكن له مخرج ، وأخذ بالبكاء والعويل ، فأمر الله جبرائيل فأرسل اليه طيراً نقره بمنقاره ، وفتح له مخرجاً في دبره ، فاستراح آدم ، فأخرجه الله من الجنة لأنه دنّسها بخروجه « برازه » وظل وحيداً مئة عام ، فحزن وبكى ، وتاب واستغفر ، فأمر الله جبرائيل أن يهبط إلى الأرض فيخلق له حواء من قصيريه ، فتخاصم آدم وحواء على الاختصاص بالنسل البشري ، طالباً كل منهما ألا يكون النسل مشاركة كبقية الحيوانات .

واتفق أخيراً آدم وحواء على أن يضع كل منهما شهوته في جرّة ، ويسدّ فمها بختمه الخاص ، وبعد أشهر تسعة فتحا الجرتين فكان في جرة آدم صبيان : ذكراً وأنثى ، فسماهما شيث وهوريه ، وكان في جرّة حواء دود وحشرات عفنة ، ومن الصبيين تناسلت الذرية اليزيدية .

وغذّا آدم طفيله حولين كاملين بثديين خلقهما الله له . ومن ذلك الحين صار للرجال ثديان ، ثم تصالح آدم وحواء وتعارفا فوق جبل عرفات ، فأولدا البشر من جديد . فاليزيدية من آدم وحده ، والناس من آدم وحواء .

(ج ـ الطوفان)

المعروف أن عند اليزيدية طوفانان : الأول حدث من (عين سفني) قرية مشايخ اليزيدية في قضاء الشيخان بمحافظة نينوى « الموصل » وفيه سارت السفينة حتى وصلت فوق جبل سنجار فاصطدمت بحجر ناتىء فانشقت ، فخرجت من الحجر حية وسدّت ثقب السفينة حتى استوت على جبل جودي ، ولما كثر نسل الحية ، بعد الطوفان ، أخذها نوح وأحرقها بالنار ، وذرّ رمادها في الهواء ، فكانت منه البراغيث

المعروفة [1] واليزيديون يحترمون (جبل سنجار) لهذا السبب ، ويجلّونه ، ويحلفون به . وقد اعتاد المسلمون والمسيحيون واليزيديون الاحتفال فوق هضبة الجودي سنوياً بمناسبة ذكرى رسو سفينة نوح فوقها ، وينحرون الاضاحي قرباناً على شرف المناسبة ، متناسين احقادهم وخلافاتهم الدينية والمذهبية .

ثم جاء الطوفان الثاني — بعد ذلك — لإغراق المعتدين على الأمة اليزيدية من الناس أجمعين . فأب اليزيدية في الطوفان الأول هو نوح وحده ، والناس من اولاد حام بن نوح ، وأبوهم في الطوفان الثاني الملك الكريم السلام (ميوان) وقد ارسل الله الشيخ عدي من أرض الشام إلى جبل ليلش النوراني ليبشر بالديانة اليزيدية ، ويهدي الناس إلى اعتناقها [2] .

ويعتقد اليزيديون أن قد مضى على الطوفان حتّى الآن سبعة آلاف عام . وكان في كل ألف عام ينزل واحد من الآلهة السبعة ليصنع بعض المعجزات ثم يعود ، وأنه في الألف سنة الأخيرة نزل عندهم مراراً عديدة ثبّت خلالها الأولياء ، ونظم الشرائع والقوانين ، وعين الأماكن المقدسة ، وكان يكلمهم باللغة الكردية .

(د — فكرة الخير والشر)

فكرة الخير والشر اصيلة في البشر ، منذ القدم ، بل هي — على ما يراه البعض — السبب الوحيد للتديّن والايمان ، فكم من مظهر من مظاهر الطبيعة ، وعامل من

---

(١) تألم نوح ، ومن في السفينة ، للخلل الذي أصاب الفلك وأيقنوا أنهم من الهالكين ، فجاءت الحية إلى نوح وقالت : « أشبعني من دم الانسان وأنا انقذكم من الغرق » فعاهدها على ذلك ، فادخلت ذنبها في الشق فسدته وكوّرت نفسها عليه ، فنجى الفلك ومن فيه من الهلاك . فلما نزل الماء جاءت الحية إلى نوح تطالبه البر بوعده ، فهبط جبرائيل فجأة وقال له : « ان النجاة كانت باذن الله ، وليس للحية علاقة ما بها » فأخذ نوح الحية وألقاها في النار بوحي من جبرائيل . فصار رماد جلدها براغيث ، ورماد لحمها قمّل ، ولا تزال البراغيث والقمّل تمتص دم الانسان إلى هذا اليوم . أما رماد عظامها فقد تولدت منه الحشرة المسماة « أبو سبعة وسبعين » وأما رماد جيفها فقد صار عقارب ، والذي من امعائها صارت منه الديدان الحمر ، وهكذا تكونت الحشرات .

(٢) كتب الينا الشيخ حسين بن الشيخ ابراهيم « من قرية بحزاني » ان اليزيدية لا تعتقد بغير طوفان واحد ، نظير ما يعتقده النصارى والمسلمون ، ولكنه لا يدلك على ما كتبه بشيء ، ولا ينفي صحة ما ذكره كتابهم المقدس « مصحف رش » من وجود طوفانين .

عوامل الكون قد أثر في الانسان أثراً معنوياً ، وخلق في نفسه معتقداً خاصاً واتجاهاً يختلف عن غيره ؟

وعوامل الكون ومظاهره تنحصر في نوعين يختلف مفعولهما في النفس الانسانية : مفيد فتستأنس به وترتاح إليه ، ومضرّ فتخشاه وترهبه ، والانسان مهما تكن عبادته بسيطة أو مقصورة لا تخلو من هذين العاملين ، عامل الخير وعامل الشر . غير ان الانسان القديم يؤمن بهذه المظاهر مباشرة ، ويؤلّه هذه العوامل من غير واسطة ، اما الانسان الحديث فهو يرى قوى مسخرة ، وارواحاً تمثل قوة أعلى ، وهكذا فسر الانسان فكرة الخير والشر .

وإذا قلنا (الشيطان) فإنما نعني به عند اليزيدية (فكرة الشر) التي تتمثل في شكل طاووس ، والتي تجلت في الاسطورة التالية :

(إن رب العالمين غضب يوماً على الطاووس الملك ، ونفاه من الجنة ، وهو اليوم خارجاً عنها ، ولكن في آخر يوم الدين ، يتصالح معه رب العالمين ، فيرجع إلى عليين ، على ما كان عليه في بدء خلق الارضين ، ماشياً في صراط الحق المبين ، ومن حوله جماعة الملائكة والأولياء القديسين يعظمون قدره ، ويمتثلون امره) [1] .

فالشيطان في نظر اليزيدية هو الطاووس الملك ، المنفي من الجنة ، والمذكور في كثير من الكتب المقدسة ، التي بحثت عن مبدأ الخليفة وآدم ، لذلك يرمزون إليه بتمثال الطاووس .

(هـ ـ الطاووس ملك)

يرى اليزيديون اليوم ان الكون وجد من قوتين : قوة الخير ، وقوة الشر ، وان قوة الخير (وهي الله) قد تغلبت على قوة الشر (وهي الشيطان) فطردته من سلطان الملكوت ، على نحو ما يعتقد به الزرادشتيون من وجود إلهين : إله الخير (وهو هرمزد) وإله الشرّ (وهو آهيرمان) وهنا يظهر الشيطان في نظر اليزيدية بصورة ملاك ساقط قديم ، اعيد بعد سقوطه ، وهو خالق الشر ومسببه ، ولهذا يتحاشون عن ذكر اسمه ، ويطبقون عليه حكاية آدم والحية والطاووس ، الواردة في التوراة ، ويروون انه هو الطاووس الذي طرد من الجنة .

---

(١) نقل هذه الاسطورة الأب انستاس الكرملي إلى مجلة المشراق (٢ ـ ١٥٢ ـ ١٨٩٩) .

وتختلف العبادة التي يتقرب بها اليزيدية إلى هذا الملاك ، عن تلك التي يتقربون بها إلى الله . فعبادتهم للشيطان عبادة تضرع وتعطف وخشية ، بخلاف عبادة الله ، فان عبادتهم له عبادة خضوع وشكر وامتنان . وقد بلغ الخوف باليزيدية من الشيطان درجة انهم تركوا عبادة إله الرحمة (مبرئين انفسهم من الخطأ في ذلك ان الله الذي لا حدّ لصلاحه وجوده ، ومحبته للخلائق ، لا يفعل بهم شراً لانه صالح ، أما الشيطان فهو منقاد طبعاً إلى عمل الشر ، لانه مصدر الشر ومبدأه ، وعليه فالفطنة تقضي على من يريد سعادة الحياة ان يهمل عبادة الله الصالح بطبيعته الذي لا يشاء عمل الشر ، ويطلب ولاء الشيطان وحمايته تخلصاً من أذاه، اذ للشيطان وحده ان يسلّط الشرور وان يدفعها) [(١)] .

وكما انهم يكرّمون طاووس ملك ويجلّونه ، فهم يريدون ان يكرمه ويجله غيرهم [(٢)] وعلى هذا اصبحت كلمة شيطان عندهم احتقاراً واذلالاً وكفراناً . ولذا فهم يتجنبون النطق بلفظه أو بأية كلمة فيها حرف من حروفه (شط ، بط ، نط ، حيطان ، بستان ، قيطان ، ... الخ) كما أنهم يتجنبون كلمة (اللعن) وما اشتق منها لهذا الغرض فلا يقولون (نعل ، نعلبند ، لعنة . الخ) واذا قال احدهم شيطان بشكل متعمد ، حلّ قتله عندهم بل وعلى يدهم . فإن أراد انسان ما ان يتكلم عن هذه الأشياء ، المحرّم ذكرها ، فيستعمل الاشتمام ، اي يذكر المعنى بطرائق متشعبة أو بعبارات مستطيلة كقوله : الماء الكبير إذا أراد الشط ، أو ذلك الرجل إذا أراد الشيطان ، ونحو ذلك من الكنايات والرموز التي تؤدي المعنى المطلوب . وإذا أراد أحدهم ان يهين يزيدياً أو يشتمه ، قال له أو امامه « خسّ الموصل في فمك » وهم يعدون هذا القول أعظم كفر لكافرٍ يصدر من فمه .

* * *

اختلف الكتاب والباحثون في وصف الطائر الذي يسميه اليزيديون والباحثون (طاووس ملك) وتفننوا في تصويره ، فظن معظم الغربيين انه صورة الطائر المعروف بـ (الطاووس) ورسموه على تلك الهيأة ، وما الصورة التي نشرناها في موضع آخر

---

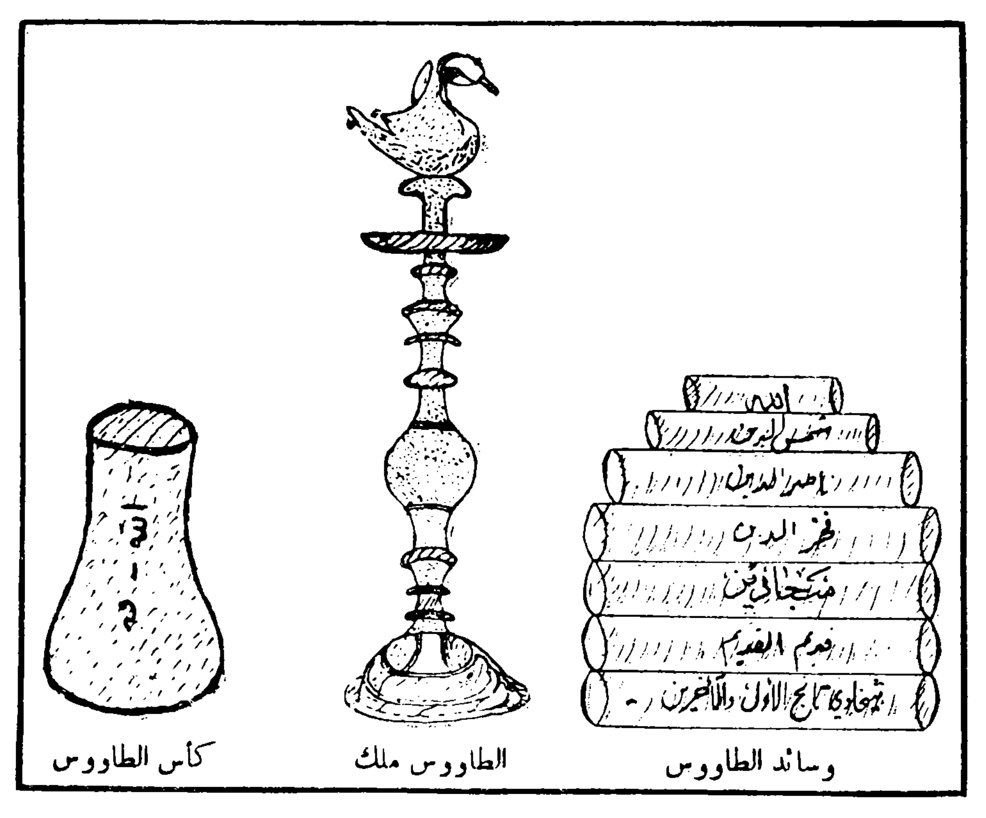
(١) القس سليمان صائغ في كتابه « تاريخ الموصل » ج ١ ص ٢٩٦ « القاهرة ١٩٢٣ م » .

(٢) تقول كتب السير والتفاسير : ان الملاك المنبوذ كان قبل طرده من الجنة يدعى « طاووس الملائكة » للطافة شكله وجميل صورته . ويقول المستشرق الفرنسي ف. نو. في كتابه « النصوص والبراهين على الملة اليزيدية » ص ١٧ ان كلمة طاووس محرفة من تيئوس التي تفيد معنى الإله باللغة اليونانية زيدت عليها كلمة ملك فصارت الملك الإله .

من هذا الكتاب ، إلا من وحي ذلك الخيال ، وصدرت في المؤلفات العربية الاخيرة صورة ثانية للطاووس على هيأة بطة بلا ارجل ، وهي أقرب إلى الحقيقة من الصورة الأولى ، كما يقول بعض اليزيديين الذين شاهدوها . وعلى كل فسناجق اليزيدية مصنوعة من النحاس « لكن اليزيديون يزعمون انها من صنع القدرة الإلهية « منذ عهد إبراهيم الخليل ــ ع ــ حسب التواشيح الدينية اليزيدية وعلم الصدور ، وكانت هذه الطواويس ... منصوبة في الكعبة الشريفة مع آلهة قريش التي كانت تعبد آنذاك ، وإلى عهد آخر سدنة الكعبة » [١] .

وقد كلفنا احد معارفنا من اليزيديين ان يصوّر لنا هذا الطاووس ، ويسمونه (سنجق) فقال : ان صورة « طاووس ملك » تتكون من ثلاث قطع وهي :

(و ـ هيأة الطاووس)



١ ــ وسائد الطاووس السبع وقد كتبت عليها الأسماء المقدسة .

---

(١) مجلة « التراث الشعبي » العدد الخامس من السنة الرابعة .

٢ ـ السنجق ـ اي طاووس ملك ـ بقطعتيه : الطائر والشمعدان الذي يقف عليه.

٣ ـ كأس الطاووس ، اي الإناء الذي يوضع فيه الماء ، ويوزع على زائري السنجق كماء مقدس ، وما لبث هذا الفاضل ان خط لنا هذه الصورة .

وما كان يدور في خلد أحد من غير اليزيديين ـ قبل اليوم ـ ان للطاووس ملك وسائد يتكىء عليها ، أو إناء ماء يشرب فيه [1] حتى خطّ لنا معروفنا اليزيدي المحترم هذه الصورة الخالدة . ومع اننا سمعنا من (وجوه سنجار) ومن (رؤساء تلعفر) انهم شاهدوا هيأة السنجق (طاووس ملك) اثناء التجوال به بين قرى اليزيدية ، فإن ميان خاتون ، الوصية على تحسين بك أمير اليزيدية السابق ، اكدت لنا ان احداً من المسلمين أو النصارى لم ير هيأة الطاووس حتى اليوم ، والذي يؤيد صحة ما تقوله (الخاتون ميان) ان السيد صديق الدملوجي ـ صاحب كتاب اليزيدية المطبوع سنة ١٩٤٩ ـ لم ينشر صورة جديدة للسنجق (الطاووس) مع انه زامل اليزيديين زهاء اربعين سنة ، واستخدم بعضاً من أفرادهم في خدمة أراضيه الزراعية ، وكان في اتصال دائم برؤساء اليزيدية ـ كما يقول في كتابه ـ وعلى كل فقد كان لدى اليزيدية سبعة طواويس ـ ليست متساوية في الحجم ـ يسمونها (السناجق) ويرمزون بكل واحد منها إلى إله من آلهتهم السبعة « ويشير كل واحد منها إلى إحدى المناطق التي يقطنها اليزيديون » وهذه اسماؤها :

١ ـ سنجق سورية ، وتشمل منطقة الطواف به : القامشلي ، والحسكة ، وحلب ، واللاذقية ، ويسمونه « طاووسه شام » .

٢ ـ سنجق الاناضول ، ومنطقته : أورفه ، وديار بكر ، وماردين ، وانطاكية وسيواس ، وسعرد ، ويسمونه « طاووسه زوزانا » .

٣ ـ سنجق العجم ، ومنطقة طوافه : تبريز ويسمونه « طاووسه تاوريز » .

٤ ـ سنجق المسقوف (اي الاتحاد السوفياتي) ويشمل ارمينيا ، وجورجيا وروستوف ، ويسمونه « طاووسه مسقوف » .

---

(١) من عادة (البابوات) في القضاءين : تلعفر وسنجار ، وغيرهم من الغلاة ، في محبة الامام علي بن أبي طالب (ع) انهم إذا حضروا الصلاة ليلة الجمعة ، وضعوا أمام (الرهبر) اي القارىء كأساً فيه ماء يتبركون بمائه بعد الفراغ من الصلاة ، فهل أخذ اليزيديون التبرك بالماء الذي في (كاس الطاووس) عن مجاوريهم ؟

٥ – سنجق قضاء الشيخان بمحافظة نينوى (الموصل) ويسمونه « طاووسه شيخا » .

٦ – سنجق قضاء سنجار بمحافظة نينوى (الموصل) ويسمونه « طاووسه شنكار » .

٧ – سنجق الخالدين ، وهو الذي يحفظ دوماً في خزينة الرحمن في قرية باعذرا ، مقر الامارة اليزيدية في الشيخان ، ويسمى « طاووسة عنزل » .

وكان الأب أنستاس ماري الكرملي قد نشر تمثالاً في العدد السابع من مجلة Anthropos في سنة ١٩١١ ضمن مقال له عن « الاكتشافات الجديدة حول الاسرار اليزيدية » ظن أنه تمثال (طاووس ملك) الذي قيل انه سرق من اليزيدية في سنة ١٨٣٨ م ثم أهدي إلى المتحف البريطاني في سنة ١٩١٢ م . وكان في حوزة المسيحي فتح الله عبود . فكتب الأستاذ يعقوب سركيس مقالاً في العدد (٢٠) من مجلة (الجزيرة) الموصلية الصادر بتاريخ ١ كانون الأول سنة ١٩٤٧ ذكر فيه أن التمثال الذي كان في حوزة خاله « فتح الله عبود » كان من صنع الهند ، للزينة ، وانه ليس من طواويس اليزيدية المقدسة .

(ز – درب التبان)

وللمجرّة اعتقاد غريب عند اليزيدية . فيتناقلون اسطورة خلاصتها : ان رب العباد أقام ضيافة كبرى في السماء ، دعا إليها الشيخ عدي بن مسافر الأموي ، ومن معه من المريدين ، وكان هؤلاء يركبون الخيل ، ولم يكن لدى الباري تعالى ما تأكله الخيل ، فأمر الشيخ عدي احد مريديه ان يهبط إلى الأرض ، ويأتي له من مزرعته بما يكفي الخيل من التبن ونحوه . فلما عاد المريد إلى السماء ثانية ، تناثر التبن على الطريق ، وبقى اثره إلى هذا الأوان ظاهراً جلياً ، فسمّي هذا الأثر « درب التبان » و « طريق الكبش » وسمي بلغتهم « رياكا كيشاه » .

(ح – الاعتقاد في يزيد)

« تولى يزيد بن معاوية الخلافة على كراهةٍ من كثير من المسلمين ، ثم وقعت في زمنه كوائن كقتل الامام الحسين عليه السلام ، والعدوان على أهل المدينة ، ونقلت عنه أمور من الاستهانة بالدين ، والاستهتار بالشراب ، اكثرت فيه القال والقيل ،

وتسبب عن ذلك تشعب الآراء فيه ، فذهبت الشيعة فيه مذهباً معروفاً ، وافترق أهل السنة فمنهم من غالى في بغضه وأجاز لعنه ، ومنهم من اقتصد ، ومنهم من خالف وحسّن الظن ، وكان من هؤلاء الشيخ عدي بن مسافر . فقد ظفرنا بنسخة عتيقة من عقيدته ناقصة من آخرها ، رأيناه يقول فيها — وان يزيد بن معاوية رضي الله عنه إمام وابن إمام ، ولي الخلافة ، وجاهد في سبيل الله ، ونقل عنه العلم الشريف والحديث ، وانه بريء مما طعن فيه الروافض من اجل قتل الحسين رضي الله عنه ، وغير ذلك منبوذ ومهجور الطاعن فيه — فمن هذا القول نشأ اعتقاد اليزيدية في يزيد ، فإنهم تولّوه اولاً تبعاً لرأي شيخهم ، ثم جروا فيه على ما جروا عليه من الغلو في غيره فجعلوه ولياً ثم نبياً ، وما زالوا به حتى اتخذوه إلهاً من الآلهة السبعة ، حين تمادوا في الضلال واستغرقوا في السخافات والأوهام »[١] .

وقد لخص (ابن تيمية) قوله في يزيد « انه لم يدرك النبي ﷺ ولا كان من الصحابة ، ولا كان من المشهورين بالدين ... ولا كان كافراً ولا زنديقاً . وتولى بعد ابيه على كراهة من بعض المسلمين ، ورضي من بعضهم . وكان فيه شجاعة وكرم ولم يكن مظهراً للفواحش كما يحكي عنه خصومه »[٢] .

على ان المتشرّعين من اليزيدية يعتقدون ان يزيد بن معاوية كان مجدّداً أرسله (طاووس ملك) لاصلاح الخلل الذي أصاب الديانة اليزيدية ، بعد ظهور النبي العربي الكريم محمد ﷺ . أما الديانة اليزيدية بحدّ ذاتها فيقولون انها أقدم عهداً من الإسلام ، وانها ترتقي إلى أيام ابراهيم الخليل الذي هو من آبائهم الأقدمين .

هذا قليل من كثير من عقائد اليزيدية ، في الكون ، والتكوين ، وما اليهما وقد اتينا في « الفصل الخامس » على شعائرهم التعبدية في « الصوم » و « الصلاة » و « الحج » و « الزكاة » وسائر فروض العبادة ، كما نشرنا في « الفصل الرابع » الآتي النصوص الأصلية لكتبهم المقدسة عسى ان يجد القراء فيها لذة ومتعة .

---

(١) احمد تيمور باشا في رسالته « اليزيدية ومنشأ نحلتهم » ص ٥٨ (الطبعة الثانية) .
(٢) المجموعة الكبرى ١ — ٣٠٠ .

الفصل الرابع

كتب اليزيدية المقدسة

« توطئة »

يزعم اليزيديون ان لديهم كتابين مقدسين عندهم : يدعون احدهما « كتاب الجلوة » وينسبونه إلى الشيخ عدي بن مسافر الهكاري الأموي ، ويسمون الثاني « مصحف رش » ويزعمون انه من صنع الشيخ حسن البصري ، وانه كُتب بعد وفاة الشيخ المذكور بنحو مئتي سنة . و (رش) كلمة كردية معناها الاسود فيكون اسم هذا الكتاب « الكتاب الأسود » « وفي كلا الكتابين من التلفيق والخبط والخاط ما فيه » [1] .

لا يعرف على وجه التحقيق مصدر هذين الكتابين ، ولا التاريخ الذي وضعا فيه ، فبعض رجال الاستشراق ، من غير المسلمين ، يساير مزاعم اليزيديين في نسبة احدهما إلى الشيخ عدي ، وان الثاني كتب بعده بمئتي سنة ، دون مناقشة ، والبعض الآخر يتفق مع الكتاب المسلمين في ان لفظ الكتابين من اللغة العامية العراقية ، وانهما دسّا على اليزيدية لاضلالهم ، وإلحاق الأذى بهم . على حين يرى آخرون انهما من موضوعات اليزيدية انفسهم ، وقد أرادوا بهما كيد المسلمين .

ويقول والي الموصل نوري بك مصطفى في رسالته « عبدة إبليس » ان واضع « الجلوة » راهب نسطوري كان قد فرّ من « دير القوش » واسلم ظاهراً ، ثم إرتدّ ولحق باليزيدية وصار مقدماً بين رجالهم .

قال بادجر : BADGER « وأشك كل الشك في وجود كتاب مقدس لهم ، فادعاؤهم بوجوده ارجح ان يكون كذباً وباطلاً ارادوا به كيد المسلمين ، والتخلّص من بغضهم لهم . لأن المسلمين يعدون من ليسوا من أهل الكتاب ، مستحقين لكل نوع من أنواع الاضطهاد والاهانة [2] وكيفما يكون فإن ذلك كذب ، فليس بين

---

(١) احمد تيمور باشا في رسالته « اليزيدية ومنشأ نحلتهم » ص ٢٥ القاهرة ١٣٥٢ ﻫ .

(٢) كذا — على ما فيه من غلو واغراق .

اليزيديين من يفهم المقالات العربية المدوّنة ، بل إن زعيمهم الديني يكاد لا يفقه حرفاً هجائياً ، ورئيس كتابه يكتب ويقرأ باللغة العامية فقط » [1] .

اما زعم الأب انستاس ماري الكرملي بأن مصحف رش « هو عبارة عن بعض صحف من القرآن حرّفوها بأن حذفوا منها اسم الشيطان ، ولفظة اللعنة ، ونحو ذلك » [2] فمرده عدم تمكن الأب في حينه من العثور على كتابيهم المذكورين ، ولأنه جارى بعض المستشرقين في هذا الاعتقاد . وقد لا نعدو الحقيقة إذا جارينا (نحن) قول القائل إن كتابي اليزيدية المذكورين من وضع الشماس أرميا [3] الذي ساكنهم مدة طويلة ، وعاشرهم معاشرة صميمة ، حتى تمكن منهم للأسباب التي سنبسطها في موضع آخر .

روى لنا عبد الكريم بن اسماعيل چول — وهو أحد اليزيدين المتعلمين في الشيخان في صيف عام ١٩٤٧ م — ان النسخة الأصلية لمصحف رش كانت في خزانة لابيه اسماعيل بك ، فمدّ أحد أبناء عائلة آل سرسم الموصلية يده اليها ، على عهد علي بك ابن حسين بك ، ووضع في محلها كتاباً باللغة التركية في موضوع الجغرافية ، وبعد مضي مدة من الزمن احتاج والده اسماعيل إلى مراجعة النسخة المذكورة فوقع في يده الكتاب التركي المذكور ، وعلم بعد البحث والسؤال بأنها أصبحت في حوزة المستشرقين ، وان أصحابه بقوا دون كتاب يرجعون اليه ، فاضطروا إلى إجراء طقوسهم الدينية وفق المعلومات التي يدلي بها (القوالون) وسائر رؤسائهم الدينيين ، تلك المعلومات التي يتناقلونها كابراً عن كابر . وليس ببعيد أن تكون هذه الرواية صحيحة أو قريبة من الصحة ، فإن رجال الاستشراق يبذلون الغالي والرخيص في سبيل الحصول على الآثار الروحية المخطوطة ، لمعرفة أسرار الديانات الغريبة وما فيها من غث وسمين .

* * *

وكتب الينا الشيخ حسين البحزاني من شيوخ اليزيدية الذين سمحت الديانة اليزيدية لهم بممارسة القراءة والكتابة ، كتب الينا يقول :

---

(١) Badger G. P., The Nestorians and their Rituals, Vol. I. London 1852. P. 115

(٢) المشرق — صفحة ١٥٥ من المجلد الثاني لسنة ١٨٩٩ م .

(٣) المقتطف صفحة ٣٢٣ من المجلد ٤٩ لسنة ١٩١٦ م .

« نعم عند اليزيدية كتابين مقدسين هما : الجلوة ومصحف رش. ولكنهما يختلفان كل الاختلاف عن الكتابين المنشورين في سائر كتب الذين بحثوا عن اليزيدية . ونحن لا نعتقد بما نشر في الكتابين اللذين نسبا الينا ، إذ شتان بين كتبنا وما نشر. ويجوز ان الكتابين اللذين نشرا حتى الآن هما من وضع بعض الجماعات المبغضين لليزيدية»اه.

(نشر كتب اليزيدية)

(١) ان أول من نشر ترجمة بلغة أوروبية لكتابي اليزيدية المقدسين « اي كتاب الجلوة ، وكتاب مصحف رش » هو الاستاذ براون [E. G. Browne] على ما وصل اليه علمنا القليل . فقد نقلهما إلى اللغة الانكليزية وطبعهما سنة ١٨٩٥ م في ملحق لكتاب :

O. H. Parry, Six Months in a Syrian Monastery, P. 374 - 380.

(٢) وفي سنة ١٩٠٩ م نشر الاستاذ عيسى يوسف ISIA JOSEPH الكتابين المذكورين بالعربية مع ترجمة انكليزية في المجلة الاميركية للغات والآداب السامية :

Isya Joseph, the American Journal of Semitic Languages and Literatures
Vol. XXV, P. 119 - 133.

(٣) ونشر الأب انستاس ماري الكرملي نصاً للكتابين المذكورين : باللغة الكردية ، مع ترجمتهما إلى اللغة الفرنسية في ١ — ٣٩ من المجلد السادس من مجلة [Anthropos] النمسية الصادر سنة ١٩١١ . ذاكراً قصة عثوره عليهما . ففند الفونس مگنا هذه القصة في مقال نشرته له مجلة الجمعية الآسيوية Jras في عدد تموز سنة ١٩١٦ م ونشر المقتطف تعريب هذا الكتاب في ص ٣٢١ — ٣٣١ ج ٤٩ لسنة ١٩١٦ م .

(٤) كذلك نشر المستشرق النمسوي (M. Bittner) النصين : الكردي والعربي لكتابي الجلوة ومصحف رش في « مذكرات أكاديمية العلوم في ڤينا » (Kaww) في ص ٥٥ من المجلد الرابع الصادر في سنة ١٩١٣ م ، و ص ١٢ من المجلد الخامس للسنة نفسها .

(٥) وللمسيو (F. Nau) مقالة عن اليزيدية باللغة الفرنسية في « مجلة الشرق المسيحي » (Ros) ج ٢٠ ص ١٥٦ — ١٦٣ — لسنة ١٩١٥ م ثم في كتابه :

Recueil de Textes et de Documents sur les Yezidis.

وقد نشر فيهما ترجمة فرنسية لهذين الكتابين .

(٦) ونشر الشيخ علي الشرقي النجفي مقتطفات من « كتاب الجلوة » في ص ٨٢٢ – ٨٢٤ من المجلد الحادي عشر من مجلة العرفان « صيدا : ١٩٢٦ م » .

(٧) ونشر السيد عبد الرزاق الحسني – واضع هذا الكتاب – نصاً لـ « كتاب الجلوة » أيضاً في مجلة العصور (القاهرة ١٩٢٩) ص ٧١٧ – ٧١٩ من المحلد الرابع ، وفي ص ٤٦ – ٤٩ من رسالته « عبدة الشيطان في العراق » « مطبعة العرفان : صيدا ١٩٣١ م » .

(٨) ونقل المستشرق الايطالي « فرلاني كلا الكتابين إلى اللغة الايتالية في ص ٧١ – ٩١ من كتابه الصادر سنة ١٩٣٠ م وعنوانه :

G. Furlani, Testi Religiosi dei Yezidi, P. 71 - 91.

(٩) وترجم الكاتب الكردي الشهير كمران بدرخان مقتطفات من (كتاب مصحف رش) إلى الفرنسية ، ونشرها في مجلته (هاوار) عدد ١٤ – ١٦ « دمشق ١٩٣٢ – ١٩٣٣ م » .

(١٠) وفي سنة ١٩٣٤ م . نشر الدكتور قسطنطين زريق كتاب « اليزيدية قديماً وحديثاً » المنسوب إلى اسماعيل بك چول ، وفيه نص الكتابين المذكورين باللغة العربية فقط ص ١٠٠ إلى ١٠٦ وقد طبع في مطبعة الجامعة الامريكية في بيروت .

(١١) وفي عام ١٩٣٥ طبع الأستاذ المحامي عباس العزاوي كتابي « الجلوة » و « مصحف رش » باللغة العربية في ص ١٨٣ – ١٩٢ من كتابه « تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم » .

(١٢) ونشر ترجمة هذين الكتابين الاستاذ أنيس فريحه في مجلة « الجمعية الشرقية الاميركية » (Jaos) ج ٦٦ ص ٢٣ – ٣٦ لسنة ١٩٤٦ م باللغة الانكليزية ، دون أن ينشر النص العربي .

(١٣) وفي عام ١٩٤٩ م طبع السيد صديق الدملوجي الموصلي كتابه الضخم عن « اليزيدية » ونشر فيه نصاً كاملاً لكتاب « الجلوة » كما نشر مقتطفات قليلة من كتاب « مصحف رش » .

(١٤) ولا ندري ما إذا كانت قد نشرت نصوص أخرى لهذين الكتابين فيما عدا ما تقدم .

وتختلف هذه النصوص عن بعضها اختلافاً كبيراً ، سواء في المعنى أو في المبنى ، حتى انه ليعسر على القارىء ان يجزم بصحة أحدها . ولا سيما ما كان بغير لغة الضاد ، لكثرة ما فيها من الاضطراب والتشويش . وقد حاولنا عبثاً أن نهتدي إلى الأقرب من هذه النصوص إلى الصحة والواقع . إلا اننا نرتئي ان النص الذي نشره الاستاذ « عيسى يوسف » في « المجلة الاميركية للغات والآداب السامية » عام ١٩٠٩ م قد يكون أكثر انطباقاً على عقائد اليزيدية ، ومناسكهم . وآدابهم ، في الوقت الحاضر ، وهو ما اعتمدناه في بحثنا .

(والقرآن)

ويقتني اليزيديون المتشرعون « من اسرة الشيخ حسن » القرآن العربي الكريم ، ويحفظون سوراً منه ، ويعلّمونه أولادهم كيلا يخرج العلم من بيتهم ، ويرجعون اليه في احايين كثيرة ، ككتاب مقدس « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » [1] إلا انهم يطمسون ما ورد فيه من الكلمات التي لا توافق أذواقهم ، ككلمات التعوّذ ، واللعنة ، والشيطان ، وذلك بوضع قطع من شمع العسل عليها ، زاعمين ان المسلمين زادوا في القرآن كلمات تأباها العقيدة اليزيدية ، وإن كان حذفها من الكلام يؤدي إلى اختلاف في التركيب . وإذا اتفق ان ترك اسم من الأسماء التي يتجنبون التلفظ بها بلا طمس ، ووقعت عليه عين القارىء ، اغلق الكتاب حالاً ، وطرحه بالنار ، واتى اليه بنسخة اخرى ، وهذا ما يرجح رجوع اليزيدية إلى أصل اسلامي ، طرأ عليهم ما طرأ على القاطنين في الأماكن المنقطعة ، من الزيغ والضلال ، فأصبحوا في نظر المسلمين من الكافرين .

(تفنيد)

إن كل الذين كتبوا عن اليزيدية ، اجمعوا على انهم ممنوعون ديناً من تعلم القراءة والكتابة . وهذا الأمر ، أي منعهم من تعلم القراءة ، قد تحققته انا نفسي . ولا يجوز تعلم القراءة والكتابة إلا لبيت واحد منهم ، فإن كان عندهم كتب دينية فهي في هذا البيت ، وإن كانت هذه الكتب في قرية عز الدين ، فهذا البيت هناك ، ولكنها ليست هناك ، وإذا كانت هذه الكتب موجودة عند اليزيدية حقيقة ، وجب أن تقرأ في مجتمعاتهم السنوية ، ولكن كثيرين من المسيحيين والمسلمين . حضروا

---

(١) سورة فصلت : الآية — ٤٢ .

هذه الاجتماعات ، وقالوا أنهم لم يسمعوا شيئاً قرىء فيها . ثم ان القرى التي يسكنها اليزيدية يسكنها أيضاً المسيحيون والمسلمون ، أو يسكنون على مقربة منها ، فكيف تيسر لليزيدية أن يكتموا امر كتبهم ١٤٠٠ سنة ولا يعلم جيرانهم بها ؟

هذا من حيث الأدلة الخارجية على أن هذه الكتب موضوعة حديثاً ، والأدلة الداخلية على أنها كذلك كثيرة ، وهي تدل على أن واضعها هو الشماس أرميا نفسه ، من ذلك ان عبارات الكتاب العربي تدل على أن كاتبها اعتاد الكتابة بالسريانية ، كقوله : « لكي يفهم ويعلم لشعبه » فإن اللام في (لشعبه) لازمة هنا في السريانية ، وممنوعة في العربية . وكقوله « يجب الصدقة عند انفس الموتى » فكلمة (عند) لا ترد هنا في العربية ، ولكنها ترد كذلك في السريانية ، وكقوله « فحبلت وولدت لإلهنا » فتعدية ولدت باللام اصطلاح سرياني ، وكذلك اللام في قوله « ستجذب أمة واحدة وراءك وتقلب لامتي » وتدل على أنه مسيحي ألف التعابير الدينية والمسيحية كقوله : « رئيس هذا العالم » وكقوله « العلمانيين » وكان غرضه من كتابه ان يعرف الأجانب ما هي اليزيدية ، لا أن يعلم اليزيدية كيف يمارسون شعائر دينهم .

ثم ان الشماس إرميا الحق بالكتب التي نسبها إلى اليزيدية أشياء من عقائد عبدة إبليس وعاداتهم ، وجرى في كتابتها مجرى السريان أيضاً ، فألحق الفعل بضمير الجمع ، مع ذكر فاعله بعده ، كما يفعل السريان . كقوله في كتاب الجلوة : « الذي يسمونها الخارجين شرور » وقوله : « لانكم لستم تدرون ما يفعلون الأجانب » وعرّف الصفة بأل التعريف مع تنكير الموصوف كقوله : « واحرّك أمور اللازمة » وكقوله : « دعى اسمه ابريق الأصفر » .

وفي الكتاب الأسود أمور حديثة جداً ، لا يمتد تاريخها إلى أبعد من أواسط القرن التاسع عشر ، فقد ذكر فيه بلاداً قال انها روسية ، وهي لم تدخل في حوزة روسيا إلا في الربع الأول من القرن التاسع عشر .

وليس المراد ان كل ما ورد في هذه الكتب غير صحيح ، كلا بل إن كثيراً مما فيها ينطبق على عقائد اليزيدية ، وشعائرهم الدينية التي يمارسونها ، وإنما مرادنا أن الشماس ارميا ألفها وجمع فيها عقائد اليزيدية التي يتناقلونها خلفاً عن سلف ، لأنه عاشرهم زمناً طويلاً [١] .

---

(١) المقتطف صفحة ٢٢٢ — ٢٢٣ ج ٤٩ لسنة ١٩١٦ م .

(خلاصة ما في الكتابين)

يرى اليزيديون أن « كتاب الجلوة » كتاب سماوي كتب بأسلوب الوحي المنزل. فهو يتضمن خطاب الله لعباده ، المقصود بهم اليزيدية ، وفيه كلام مضطرب عن قِدم الله ، وعن صفاته : كالقدرة ، والبقاء ، والهيمنة على الخلائق ، ومعرفة علم الغيب ، ويتضمن أيضاً ما جاء عن الله من وعدٍ ووعيد لعباده ، كما أنه يبحث عن تناسخ الأرواح ، ويبين بأن الكتب المقدسة الموجودة بأيدي أهل الأديان الأخرى ، قد بدلوا فيها وزاغوا عنها ، فما وافق سنن اليزيدية فهو المقبول ، وما غايرها فمن تبديلهم . وفيه أيضاً بحث عن حيوانات البر ، وطيور السماء ، وسمك البحار ، وكونها تحت ضبطه ، كما أن جميع الخزائن والدفائن ، التي تحت الأرض عنده ، ينقلها من واحد إلى واحد ممن يريده ، فهو يورثها من يشاء من عباد الله ؛ وأخيراً فهو يحثّ اليزيدية على إكرام شخصه ، وتقديس صورته والمحافظة على سننه وشرائعه ... الخ .

أما « مصحف رش » أو « الكتاب الاسود » فتختلف أبحاثه ومضامينه عن « كتاب الجلوة » اختلافاً كبيراً . فهو كتاب تاريخي طائفي ، يشتمل على بعض حوادث القوم ، وشيء من عاداتهم وتقاليدهم ، وهو إلى القصة والتاريخ ، أقرب منه إلى كتاب منزل من لدن معبود . فهو يبحث عن خلق السماوات والأرض ، والبحار ، والأشجار ، والجبال ، والملائكة ، والعرش ، وآدم وحواء . كذلك يتكلم عن كيفية إرسال الشيخ عدي بن مسافر الهكاري الأموي من أرض الشام ، فأتى إلى لالش في شمال الموصل بالعراق ، ومـــا كان من نزول « طاووس ملك » ــ الشيطان ــ إلى الأرض وإقامته ملوك اليزيدية ، ومقاومته الملل المعادية لهم ، وفيه بحث عن أصلِ البشر . وابان : ان الطوائف البشرية كافة تنتسب إلى آدم وحواء ، أما اليزيديةِ فينفردون بنسبهم إلى شيث وآنوش ونوح ، آباء اليزيدية الأولين هؤلاء ولدوا من آدم فقط ، وكانت ولادة هؤلاء الآباء من توأمين ذكر وانثى ، ولدهما آدم بإحدى الخوارق ، وبهذا امتاز اليزيديون على غيرهم من بقية الطوائف ؛ وان لليزيدية امتيازاً آخر على بقية الطوائف البشرية ، فإن طوفاناً غير طوفان نوح قد أتى عليهم قبل سبعة آلاف سنة ، وكان ينزل في كل الف من هذه السنين إله من السماء يشرّع لهم الشرائع ، ويجدّد لهم السنن ، فكأنهم يعتقدون بفكرة نزول المجدّد رأس كل ألف سنة ، ومن هؤلاء المجددين الذين نزلوا إلى الأرض في هذه

المدة ، يزيد الذي ينتسبون اليه . « أما رئيسهم وأولهم ، فالشيطان المعبّر عنه بطاووس ملك . ومرتبة هؤلاء الآلهة دون مرتبة الآله الأعظم الواحد القهار الفعال لما يريد »[1] .

ويبحث (كتاب مصحف رش) ، أيضاً عن مراتب الآلهة ، فهو يرى أن رئيس آلهة اليزيدية الذين نزلوا إلى الأرض ، وشرعوا الشرائع ، في ضمن السبعة آلاف سنة ، هو طاووس ملك ، وان الجميع يخضعون لإله أعظم واحد ، قهار ، فاعل ، مختار ، فتبدأ مراتب الآلهة بالإله الأعظم ، المسيطر ، على الآلهة ، ويليه رئيس الآلهة ، وهو طاووس ملك ، ثم يتدرجون إلى يزيد ، الذي يرونه إلهاً ، فكان الإله هو المشرع الاعظم عندهم ، وهو الذي يتولى سنّ الشريعة ، وينزل بنفسه إلى الأرض .

وفي هذا الكتاب الشرائع والأحكام المحللة والمحرمة ، ومباحث في الصوم والصلاة ، والحج ، والزكاة ، والزيارات ، والزواج ، والجناز ، ونحوها ، لا سيما عن عيد رأس السنة ، الذي يسمونه « سري صال » وعن الطواف بالسناجق لجمع الصدقات والنذور . وقد آثرنا نشر الكتابين بنصيبهما وهما :

(كتاب الجلوة)

الموجود قبل كل الخلائق عند طاووس ملك ، وهو أرسل إلى هذا العالم عبد طاووس الكي يميّز ويفهم ويعلم لشعبه الخاص من التيه ، اولاً بتسليم مشافهة ، وثم بهذا ، كتاب الجلوة الذي ما يجوز لأحد من الخارجين ان يقرأه أو يراه .

« الفصل الاول »

انا كنت ، وموجود الآن ، وليس لي نهاية ، ولي تسلّط على الخلايق ، وتدبير مصالح كل الذين تحت صورتي . وانا حاضراً سريعاً للذين يثقون بي ويدعوني وقت الحاجة ، ما يخلو عني مكان من الدنيا ، مشترك انا بجميع وقائع التي يسمونها الخارجين شرور . لأنها ليست حسب مرامهم . كل زمن له مدبّر وذلك بشورى ، كل جيل يتغير ، حتى رئيس هذا العالم والرؤساء يكون كل واحد بدوره ونوبته لكي يكمل وظيفته ، اعطي رخصة حسب حق الطبيعة للانسان . يندم ويحزن الذي يقاومني .

---

(١) احمد تيمور ص ٢٥ « اليزيدية ومنشأ نحلتهم » ـ الطبعة الثانية ـ

جميع الآلهة ليس لهم مداخلة بشغلي ومنعي عنهما قضية مهمة ، كانت جميع الكتب الموجودة بين الخارجين بدلوا فيها ، وزاغوا عنها ، ولو كتبوها الأنبياء والمرسلين لان كل واحد يبطل الآخر وينسخ كتابه . الحق والبطل معلوم عندي حين وقوعهم من التجربة . اعطي ميثاقي للذين يتكلون علي ، واعطيهم رأي المديرين الحذاق لاني وكلتهم لأوقات معلومة عندي . اذكر واحرّك أمور اللازمة في حينها . أرشد واعلم الذين يتبعون تعليمي ، وإذا سمعوا قولي ووافقوا مشورتي ، يجدون فيه لذة وفرحاً وخيراً لهم .

« الفصل الثاني »

أنا أكافي واجازي نسل آدم بأنواع اعرفها . بيدي قوى وتسلط على جميع ما في الأرض من فوقها وتحتها . ما اقبل مصادقة غير عوالم ، وما امنع خير الذين هم خاصتي وبطوعي . اسلم شغلي بيد الذين جرّبتهم وهم حسب مرامي . أظهر ببعض الأنواع والأشكال للذين هم امنين وتحت شوْري . آخذ واعطي ، اغني وافقر ، اسعد واشقي ، وذلك حسب الظروف والأوقات وليس من يحق له ان يتداخل بشيء من تصرفي . اجلب الأوجاع على الذين يضاددوني . ما يموت الذي هو من حسبي مثل الخارجين من بني آدم . ما اسمح لأحد بأن يسكن هذه الدنيا اكثر من الزمن المحدود مني ، واذا شئت ارسلته مرة أخرى ثانياً وثالثاً إلى هذا العالم ، أو إلى غيره بتناسخ الأرواح .

« الفصل الثالث »

أرشد من غير كتاب . اهدي غيباً احبّاي وخواصي . جميع تعاليمي بلا كلوفة موافقة للحال والزمان . اقاصص الذين يخالفون شرائعي بعوالم الآخر . بنوا هذا آدم ما يعرفون الأحوال المزمعة ، لذلك يسقطون أوقات كثيرة بغلط . حيوانات البر ، وطيور السماء ، وسمك البحر ، جميعهم بيدي ، وتحت ضبطي ، جميع الخزاين والدفاين التي تحت الأرض عندي ، وأخلّفها من واحد إلى واحد لمن أريده . أظهر معجزاتي وعجايبي للذين يقبلوها ويطلبوها مني في حينها ، والاجنبيين هم مخالفون ومضاددون لي ، ولا يبالون بذلك ، وهم ما يدرون هي ضرر عليهم ، لأن العظمة والثروة والغنى هم بيدي ، وأنا اختار من يليق لها من نسل آدم . وتدابير العوالم وانقلاب الاجيال وتغيّر مديرينهم منظومة مني منذ القديم .

« الفصل الرابع »

حقوقي ما اعطيها لغيري من الآلهة . اربعة عناصر ، وأربعة ازمنة ، وأربعة أركان ، سمحت بها لاجل — ضروريات المخلوقين . كتب الأجانب من اليهود ، والنصارى ، والاسلام إقبلوا منها ما يوافق ويطابق سنني ، وما يخالف منها فلا تقبلوه لانهم غيّروه . ثلث أشياء هي ضدي ، وثلاث أشياء ابغضها ، الذين يحفظون اسراري ينالون مواعيدي ، والذين ينالون المصايب بسببي لا بدّ ان اكافيهم بأحد العوالم . جميع تابعي أريد ان يتحدوا برباط واحد ، لئلا يضاددهم الاجانب . يا ايها الذين تبعتم كل وصاياي وتعاليمي ، إنكروا كل تعاليم وأقوال الأجانب التي ليست انا عملتها ، وليست هي من عندي . لا تذكرون إسمي ولا صفاتي لئلا تندمون ، لانكم لستم تدرون ما يفعلون الأجانب .

« الفصل الخامس »

يا أيها الذين آمنوا أكرموا شخصي ، وصورتي ، لانهم يذكّرونكم بي . احفظوا سنني وشرايعي . طيعوا واصغوا لخدامي بما يلقنوكم من علم الغيب الذي هو من عندي . احتفظوا بالعلم الذي يلقنوكم اياه ، ولا تجوا به قدّام الأجانب كاليهود والنصارى والإسلام وغيرهم لانهم لا يدرون ما هو تعليمي ، ولا تعطوهم من كتبكم لئلا يغيروها عليكم وانتم لا تعلمون ، احفظوا أكثر الأشياء غيباً لئلا تتغير عليكم .

— « تم كتاب الجلوة ويليه كتاب « مصحف رش » اي الكتاب الأسود » —

(كتاب مصحف رش)

(أي الكتاب الاسود)

في البداية الله خلق درّة البيضة من سرّه العزيز . وخلق طير اسمه انغر ، وجعل الدرة فوق ظهره ، وسكن عليها اربعين الف سنة .

اول يوم ، الأحد ، خلق ملك عزازئيل ، وهو طاووس ملك ، ورئيس الجميع .
يوم الاثنين خلق ملك دردائيل وهو الشيخ حسن .
يوم الثلاثاء خلق ملك إسرافيل وهو شيخ شمس (الدين) .
يوم الأربعاء خلق ملك ميكائيل وهو شيخ ابو بكر .

يوم الخميس خلق ملك جبرائيل وهو سجادين .

يوم الجمعة خلق ملك شمنائيل وهو ناصر الدين .

يوم السبت خلق ملك نورائيل وهو يدين (فخر الدين) .

وجعل رئيساً على الجميع ، طاووس ملك .

بعدما خلق صورة السبع سموات ، والأرض ، والشمس ، والقمر ، وفخر الدين ، الانس والحيوان والطيور والوحوش ، ووضعهم في جيوب الخرقة ، وطلع من الدرة ومعه ملايكة . فصاح على الدرة صيحة عظيمة فانفصلت وصارت اربعة قطع ، من بطنها خرج الماء وصار بحراً . وكانت الدنيا مدوّرة بلا فراق . ثم خلق جبرائيل وصورة الطير ، وأرسل بيده ووضع أربع قراني . ثم خلق مركب ونزل فيه ثلاثين الف سنة . وبعد جاء وسكن في جبل لالش ، وصاح في الدنيا فجمّد البحر ، وصارت أرض ، فبقت تهتزّ فعند ذلك أمر جبرائيل فجاب قطعتين من الدرة البيضاء فوضع واحدة تحت الأرض ، وفي باب السماء سكنت الأخرى . ثم جعل فيهم شمس وقمر ، وخلق النجوم من نثر الدرة البيضة ، وعلقهم في السماء لاجل الزينة ، وخلق أشجار مثمرة ، ونباتات ، وجبال ، لاجل زينة الأرض ، خلق عرش على الفرش . وقال الرب العظيم يا ملائكة انا اخلق آدم وحواء واجعلهم بشر ، ويكون من سرّ آدم شهر بن جبر ، وأيضاً منه يكون ملة على الأرض تسمى ملة عزازئيل اعني طاووس ملك . وهي ملة يزيدية . ثم أرسل شيخ عادي بن مسافر من أرض الشام ، فأتى إلى لالش ، ثم نزل الرب إلى جبل الاسود ، وصاح وخلق ثلاثون الف ملك ، وفرّقهم ثلاثة فرق ، وبدأوا يعبدون أربعون الف سنة ، ثم سلمهم إلى طاووس ملك فصعد بهم إلى السموات ، ثم نزل الرب إلى أرض القدس ، وأمر جبرائيل فجاب تراب من أربع زوايا الأرض : تراب ، وهواء ، ونار ، وماء ، فخلقه وجعل فيه روحاً من قدرته وسماه آدم .

وامر جبرائيل ان يدخل آدم إلى الفردوس ، ويأمره أن يأكل من كل شجرة ، فقط حنطة لا يأكل .

ثم بقي ماية سنة ، فقال طاووس ملك لله كيف يكثر آدم ، واين نسله إن لم يأكل من شجرة الحنطة ؟ قال له الله الأمر والتدبير سلّمته بيدك . فجاء طاووس ملك وقال لآدم أكلت حنطة ؟ فقال آدم لا ، لان الله نهاني . فقال طاووس ملك كُل

حنطة حتى يصير لك احسن . فأكل آدم الحنطة ، وحالاً انتفخت بطنه ، فأخرجه طاووس ملك من الجنة ، وتركه وصعد إلى السماء ، فتضايق آدم من نفخ بطنه لانه ليس له مخرج . فأرسل الله له طيراً حتى جاءه ونقره ، وفتح له مخرج فاستراح . وغاب عنه جبرائيل مائة سنة وآدم حزين باكي . فأمر الله جبرائيل ان يخلق حوّاء من تحت اباط الايسر . وبعدما خلقت حواء وكل الحيوانات ، تخاصما آدم وحواء على تناسل الجنس البشري ، وكل واحد منهما يقول للآخر مني هو التناسل . وذلك لما نظروا شركة الذكر والانثى ما بين الحيوانات ، وبعد المباحثة بينهما ، صار الاتفاق على هذا : وهو كل واحد القى شهوته بجرّة وسدّ فمها بختمه ، وصبروا تسعة أشهر . وبعد ذلك فتحوها فنظروا واذا بجرّة آدم زوج صبيان ، ذكراً وانثى . ومن هؤلاء تناسلت امتنا ، ولما فتحت جرّة حواء نظر فيها دود معفنه مكروهة الرائحة : وانبع الله لآدم ثدي ، وأرضع الصبيان الذين خرجوا من جرته ولاجل هذه المادة صار للرجل ثدي .

ومن بعد هذا عرف آدم حواء ، فولدت ولدين ذكراً وانثى ، وهم الذين منهم تناسلوا اليهود ، والنصارى ، والإسلام ، وغير ذلك من الطوايف ، أما شيث ونوح وآنوش . اناس ابرار ، وهم ابّهاتنا الأولين ، ومن آدم فقط تناسلوا ، وبعد هذا وقع خصومة بين رجل وامرأته بذلك الزمان . الرجل يقول انها امرأتي ، والمرأة تقول ليس هو زوجي ، فحكم بينهما واحد من أمتنا الأبرار . وأمر بأن يكون لكل عرس طبل وزرنايي ، وذلك لاجل الشهادة على الزواج ، لكيما يسمعون الناس أن فلان أخذ فلانة ناموسياً .

ثم نزل طاووس ملك إلى الأرض ، لأجل طائفتنا المخلوقة ، وأقام لنا ملوك ، ما عدى ملوك الآثوريين القدماء ، وهم نسروخ ، وهو ناصر دين ، وكاموش وهو ملك فخر دين ، وارطيموس وهو ملك شمس دين ، وبعد ذلك صار لنا ملكان شابور أول وثاني . ودام ملكهمماية وخمسون سنة ، ومن نسلهم أقاموا امراءنا إلى الآن .

وأبغضنا أربعة ملوك ، وكان قبل مجيء المسيح إلى هذا العالم تسمى « ديانتنا وثنية » وكان ملك آحاب مننا . وكانوا يسمونه إله آحاب بعلزبول ، والآن عندنا يسمونه بيربوب . وكان لنا ملك في بابل يسمونه بختنصّر ، وآخر في العجم اسمه إحشوراش . وفي القسطنطينية ملك آخر اسمه اغريقالوس . وكل اليهود والنصارى والإسلام وغير ذلك من الطوائف حتى العجم أيضاً قاوموا ديانتنا ، ولكن لا يقدروا

علينا ، لأن إلهنا يقوّينا عليهم ، ويعلمنا علم الأول والآخر . ومن تعاليمه انه قبل كون السماء والأرض وكان الله موجوداً على الابحار « كما كتبنا لكم سابقاً » وانه صنع له مركب يسير في كونسنيات الابحار ، منتزهاً في ذاته . وانه خلق درّة وحكم عليها أربعين سنة ، ومن بعد ذلك غضب على الدرة فرفسها فيا للعجب العجيب ، اذ صارت من ضجيجها الجبال ، ومن عجيجها التلال ، ومن دخانها السموات ، فصعد الله إلى السموات وجمّدها ، وثبتها بغير عواميد ، وقفل على الأرض ، واخذ قلم بيده وبدىء يكتب الخليقة كلها .

ففي البداية خلق الله ستة آلهة من ذاته ومن نوره . وهكذا خلقتهم كانت تشبه إنسان إذا أوقد سراج من سراج آخر . فقال الله انا خلقت السماء فليصعد واحد منكم وليخلق شيئاً فيها . فصعد الثاني وخلق الشمس . وصعد الثالث وخلق القمر . والرابع خلق الفلك . والخامس خلق القرغ اي نجمة الصبح . والسادس خلق الفردوس . والسابع خلق جهنم . وبعد ذلك خلق آدم وحواء كما كتبنا لكم سابقاً .

واعلموا أن الطوفان الذي صار وقت نوح ، صار طوفان آخر بهذا العالم ، وامتنا اليزيدية تناسلت من نعمي [1] لوجه الملك المكرّم للسلام ، الذي يدعى عندنا ملك ميران ، وباقي الطوائف تناسلوا من حام الذي أهان ابيه .

أما السفينة فقامت في قرية عين سفني ، تبعد عن الموصل خمسة فراسخ ، وسبب الطوفان الأول هو من أجل استهزاء الجنس البشري الخارجي ، كاليهود والنصارى ، والإسلام ، وغيرهم الذين تناسلوا من آدم وحواء ، لا مثلنا نحن الذين تناسلنا من آدم فقط . كما عرفناكم . أما الطوفان الثاني ، فجاء على أمتنا اليزيدية أيضاً ، فلما تعالت المياه ، وطافت السفينة فوق الماء ، صارت فوق جبل سنجار ، فصدمت بحجر ، فنقبت ، فتكعوكت الحية ، وسدّت الثقب ، فمضت السفينة واتّكت على جبل جودي ، فكثر جنس الحية ، وكان يلدغ الناس ، والحيوانات ، فامسكوها واحرقوها بالنار ، فمن رمادها صارت البارغيث في العالم .

ومن الطوفان إلى الآن سبعة آلاف سنة ، وبكل الف سنة ينزل إلهاً واحداً من السبعة آلهة ، يصنع لنا آيات ، وقوانين ، وشرائع ، ثم يصعد إلى مكانه . نزوله

---

(١) اي نوح .

يصير عندنا ، لان جميع المكانات المقدسة هي عندنا ، وفي هذا الزمان نزل الله عندنا أكثر من الزمان الماضي ، وثبت لنا الأولياء ، وكان يكلمنا بلسان الكردي .

وانحى على محمد نبي الاسماعيليين ، وكان عند محمد خادم اسمه معاوية ، فنظر الله إلى محمد انه لا يسلك مستقيماً أمامه ، فأوجع رأسه ، فقال محمد لمعاوية تعال احلق رأسي ، لأنه كان يعرف يحلق ، فأتى معاوية وحلقه بخفّة وصعوبة حتّى جرحه ، وجرى منه دماً فلما نظر معاوية ذلك لسح الدم بلسانه ، خوفاً لئلا يقع على الأرض فقال له محمد ماذا صنعت يا معاوية ؟ أجاب لسحته بلساني خوفاً لئلا يقع دمك على الأرض. فقال له محمد اخطيت بذلك يا معاوية ، انك ستجذب امة واحدة وراك وتقلب لامتي . فقال معاوية لا أدخل العالم واتزوج أبداً . فبعد زمان سلّط الله على معاوية عقارب فلدغته ، ورش سمهم بوجهه ، فجزموا الأطباء ان يتزوج ، وإلا فيموت ، فلما سمع ذلك رضي بالزواج ، فجابوا له امرأة عجوز عمرها ثمانين سنة لكي لا تحبل فعرفها ، وفي الغد ظهرت ابنة خمسة وعشرون سنة ، وذلك بقدرة الاله الكبير ، فحبلت وولدت إلهنا الذي يدعى يزيد . أما الامم الغريبة ، الذين ما يعرفون هذا يجدفون عليه . فقط غلطوا بذلك وضلّوا . اما عندنا نحن ، طائفة اليزيدية ، لا نقبل ذلك لاننا نعرفه انه هو واحد من السبعة الآلهة المذكورة . ونحن نعرف صورة شخصه وتمثاله . وهي صورة الديك الذي عندنا ، ولا يجوز لاحد مننا أن يلفظ اسمه ، أو يشابه اسمه ، كالشيطان ، وقيطان ، وشر ، وشط وما يشابه ذلك ، ولا لفظة ملعون ، أو لعنه ، أو نعل ، وما يشابه ذلك جميعها حرام علينا أولاً ، ثم احتراماً له ، ثم حرام علينا أكل الخس ، لانه على اسم نبيتنا الخاسية . والسمك علينا حرام . احتراماً ليونان النبي ، والغزال ، لانه غنم أحد انبيائنا ، والشيخ وتلامذته . وحرام عليهم أكل الديك لطاووس الاهنا . والقرع أيضاً ما يأكلوه هؤلاء المذكورين . وحرام البول وقوفاً . ولبس اللباس قعوداً . والاستخلاء في مكان مخصوص كالعادة البلاد . وغسل الحمام جميع ذلك حرام ، ومن خالفه فقد كفر . أما بقية الطوائف كاليهود ، والنصارى ، والإسلام ، وغير ذلك من الملل ، ما يعرفون هذه الأشياء ، لأنهم ما يحبون طاووس ملك ، ولاجل هذا هو أيضاً ما يعلّمهم ولا ينزل عندهم . أما نحن معشر اليزيدية فأتى عندنا ، واسلم لنا الحقائق ، والآيات ، والقوانين ، والتسلومات ، حتّى صات كلها بالتناسل وراثة من الوالد إلى الولد ، ثم صعد إلى السماء .

أما السناجق فإن واحداً من السبعة آلهة صنعهم وأعطاهم إلى سليمان الحكيم ، وبعد موت سليمان تسلموهم ملوكنا . ويوم الذي ولد إلهنا يزيد البربري ، أخذ السناجق لامتنا بتبجيل عظيم ، وصنع لهم مديحتين حتى يرتلون بها ويزيحون قدامهم بلسان الكردي المقبول والقديم « ومعنا الترتيل هو هذا : هللو لإله الغيور » والطبول والدفوف والشبابات قدامهم . وموضع إقامة السناجق هو عند اميرنا الجالس على كرسي يزيد ، أما في ارسالهم يحتمعون القوالين عند الأمير ، والشيخ الكبير العمومي ، ووكيل عوض الشيخ نصر الدين ، اي نسروخ ، إله الاثوريين القدماء ، ويصفّون بينهم افتقاداً على السناجق ، ثم يرسلون الواحد إلى الكلتيين ، والثاني إلى حلب ، والثالث إلى بلاد المسقوف ، والرابع إلى جبل سنجار ، هؤلاء الأربعة سناجق يعطون لهؤلاء القوالين بالضمانة ، أو لا يمضون بهم إلى الشيخ عادي ، هناك يعمدوهم بترتيل ورقص عظيم ، ويأخذ كل واحد من هؤلاء المضمنين حملاً من تراب الشيخ عادي ، ويعملوه بنادق ، بقدر العفص ، ويحملوه معهم مع السناجق حتى يعطوه للبركة ، ولما يقترب صاحب السنجق لمدينة أو لقرية ، يرسل قدامه منادي حتى يستعدوا لقبوله بالإكرام والتبجيل ، فيخرجون جميعهم للقائه بثياب العز الفاخرة ، مع بخور ، وعطور ، والنساء بالتهليل ، ويزمرون آية الفرح ، وعند دخوله تكون مزايدة العشر في بيت الذي يحل فيه . أما بقية أهل البلد ، أو القرية . فيقدمون له هداية فضة كل واحد على قدر لياقته .

أما السناجق الثلاثة ، الذين بقوا من السبعة ، فبعد إخراج الأربعة المار ذكرهم ، يحفظون هؤلاء بمكان مقدس للشفاء ، اثنين منهم يبقون بشيخ عادي ، والآخر بقرية بحزاني ، وهي عن الموصل اربع ساعات ، وكل اربعة اشهر يدورون واحد منهم بولاية الأمير ، وكل سنة واحد يدور وذلك بترتيب . وقبل الخروج يجب أن يغسل بماء محمض بالسماق ، حتى ينظف من صدائه ، ثم يدهن بزيت ، ثم يوقد عند كل صنم عنده حجرة سراجاً ، وهكذا تكون امر السناجق .

أما رأس السنة عندنا فهو شهر نيسان ، ويوم الأربعاء في أول الأسبوع منه ، هو ليلة السرصالي ، (اعني رأس السنة) كل بيت يجب أن يوجد به لحم . الأغنياء يذبحون غنماً أو ثيراناً ، والفقراء يذبحون دجاجاً أو غير ذلك . ويجب طبخهم ليلة الأربعاء المذكورة ـ وعند الفجر يباركون للأطعمة ، وفي رأس السنة يجب الصدقة عند انفس الموتى .

أما الشابات والبنات فعليهم ان يجمعوا من البراري الورود ، والزهور ، من كل جنس ما كان لونه أحمر ، ويشدوه باقات ، ويحفظوه ثلاثة أيام ، ويضعوهم بالأبواب ، معمودية للبيت ، ففي الغد جميع الأبواب يتراؤن متزينين بالسوسنات الأحمر . أما النساء فيضعن أطعمة على القبور لعابري الطريق ، من الفقراء والمساكين ، الذين ليس لهم أطعمة ، وللقوالين أن يدوروا حول القبور بالدفوف والترتيل بلغة الكردية ، ولهم أن يأخذوا دراهماً عوض ذلك .

وفي هذا يوم السرصالي المذكور لا يدق آلات الطرب ، لان الله جالس على الكرسي ، ويأمر ان يجتمعوا اليه العارفين ، والقرباء ، ويقول لهم اني مزمع ان انزل على الأرض بالتبجيل والتسبيح ، فحينئذ يقومون جميعهم ويفرحون قدّام الله ، ويلقون قرع التعبد عليهم ، ويختم الله بختم ، ثم يعطي الله الكبير صكاً للاله الذي ينزل على الأرض ، ويسلّم بيده السلطان ، ان يصنع كل شيء كإرادته .

أما الصوم والصلاة إن الله لا يشابههم ، لكن يريد الخير وعمل الصدقة ، وان أحد الأصنام مثل سجادين ، أو شيخ شمس ، هو أحسن من الصوم . وعند صيام أحد الكواچك اربعين من الصيف أو من الشتاء يجب أن يصنع له أحد العلمانيين وليمة ، وإذا قال هذه الصدقة سنجق فلان ينحلّ صومه . لأن رجل السنة « اعني عشار تلك السنة » لما ينظر أن صدقاتهم ناقصة ، يضربهم بضربات كالموت ، والأمراض ، وغير ذلك . وعندما يحدث ذلك ، يجب أن يعطى الكواچك دراهم حتى يقاتلوا الجنود الرومانيين . لكي يردّوا غضب رجل السنة عن الأمة ، ويجب كل جمعة ان يقدم حملاً واحداً من الصدقات ، قرباناً للصنم ثم يعطى الخادم تنبيهاً من فوق سطح بيت الكوچك ، بصوت عالي قائلاً : دعوة نبي « اعني وليمة فلان » وثم يجب أن ينصتوا الجميع باهتمام وإيجاب ، وكل واحد يقبّل الأرض والحجر المتكي عليها . وأيضاً من قوانيننا إن القوالين لا يعبّروا موس على وجوههم ، وفي وقت الزواج يجب أن يعطى رغيف خبز من بيت الشيخ ، وذلك العريس يأكل نصفه ، والعروس تأكل نصفه الآخر ، وهو كناموس للزواج ، أو عوضاً عن الخبز ، يأكلون قليل من تراب الشيخ عادي للبركة .

وفي شهر نيسان محرّم الزواج ، لأنه رأس السنة ، سوى الكواچك مأذون لهم ذلك . واما بنات الكواجك فليس للعلمانيين يأخذهم إلا كل واحد يأخذ من جنسه ، أما الأمير مأذون له ان يأخذ كل من يشتهيها . أما العوام فمأذون لهم الزواج من

ابن عشرة سنين حتّى الثمانين ويأخذ واحدة بعد واحدة من النساء إلى الستة . وعندما يأتون بالعروس إلى بيت العريس ، يلزم ان تفتقد كل شخص « قايمات الأصنام » تمر به بطريقها ولو مرت ببيعة النصارى أيضاً ملزومة بذلك . وعند وصولها لبيت العريس ، يلزم أن يضربها العريس ، بحجر صغيرة ، حتّى تكون تحت سلطانه ، وان يكسرون رغيف خبز على رأسها حتّى تكون محبة للفقراء والمساكين ، وليلة الأربعاء والجمعة يمنع من المضجع معها . وكل هذا لازم على كل يزيدي ان يحفظه ويصنعه ومن خالف كفر .

وإذا خطف أحد امرأة رفيقة ، أو امرأته الأولى ، أو اخته ، أو امه ، ليس ملزوم أن يعطي مهرها لأنها كسب يده . أما البنات ليس لهم وراثة في بيت ابيهن ، إنما البنت تباع كالحقل ، وإن ابت عن الزواج فيجب عليها ان توفي أباها بالخدمة وتعب يديها حتّى يعتقها .

« تم كتاب مصحف رش ويليه بعض حكايات عندهم يستعملونها سراً أو علانية » .

— لا نر ضرورة لدرجها هنا —

الفصل الخامس

رؤساء اليزيدية الروحانيون

يتولى أمر الطائفة اليزيدية رئيسان : أحدهما زمني يرتقي بنسبه إلى يزيد بن معاوية الأموي الذي يسمون باسمه ، وينتسبون اليه ، ويلقبونه « مير شيخان » أي أمير الشيخان ، وهذا يقيم عادة في قصر الإمارة اليزيدية القائم في « قرية باعذرا » التابعة لقضاء الشيخان على مسافة ٤٥ كيلو متراً شمالي شرقي الموصل بين قريتي « ألقوش » و « عين سفني » [١] والآخر ديني من سلالة الشيخ فخر الدين ، يمثل السلطة الروحية ، ويسمونه « بابا شيخ » أي الشيخ الكبير ، ودونهما بعض الرؤساء الذين خصّوا بمراتب دينية لا تدرّج فيها واليك البيان :

١ ـ الأمير

أمير اليزيدية اليوم هو تحسين بك ابن سعيد بك ابن علي بك ابن حسين بك ابن علي بك ابن حسن بك ابن چول بك ابن بداغ بك ابن ميرخان بك ابن سلمان بك . تولى الإمارة بعد وفاة أبيه سعيد بك في أواخر تموز من سنة ١٩٤٤ م ، وهو فتى يافع ، فنصبت جدّته « ميان خاتون » والدة سعيد بك بنت عبدي بك ابن علي بك ابن حسن بك ابن چول بك ... الخ وصية عليه (وكانت ميان خاتون وصية على أبيه سعيد بك من قبل) فهو من سلالة الشيخ أبي بكر ، التي خصّت بالامارة على الطائفة اليزيدية ، وكان انتخابه بإجماع امراء بيته ، واستحسان الحكومة المحلية ، بحسب السنن والتقاليد الموروثة ، دون أن يشترك في ذلك الروحانيون ، أو رؤساء القبائل أو أفراد الملة [٢] .

---

(١) يطلق اليزيديون على قرية « باعذارا » وما يجاورها من القرى اسم « الشيخان » وموقعها شمال شرقي الموصل في أرض فسيحة تكتنفها تلال كثيرة متصلة بجبل صغير يمتد مسافة أربع ساعات ، وينتهي شرقي « عين سفني » قرية مشايخ اليزيدية ، ويسيح حول باعذرا نهر صغير يروي أراضيها ويسقي أهاليها ، ويشرف عليها قصر الامارة المبني فوق تل كبير شمال القرية ، وهو قصر بسيط لكنه واسع الأرجاء ، شيده المعمار عبودي سنة ١٩٢٥ م كما هو مسطور على مدخله « وقد حللنا فيه عام ١٩٤٧ » .

(٢) لأمير اليزيدية الحالي « تحسين بك » أربعة أخوة هم ميرزه ، وخيري ، وجلال ، وفاروق ، والأولان أكبر سناً من تحسين ، ولكن (ميان خاتون) شاءت ان تولي ثالث أنجال ولدها سعيد =

والأمير مصون غير مسؤول . يقولون بعصمته ، ويؤمنون بحلول جزء إلهي فيه ، ويولونه القضاء المطلق على رعيته . فهو يجمع في يديه السلطتين الزمنية والدينية لأنه وكيل الشيخ عدي في أرضه [1] وهو مفترض الطاعة في ملته . فمن يعتدي على أمره



ميان خاتون بنت عبدي بك ووالدة سعيد بك أمير اليزيدية الراحل (إلى اليمين) والآنسة ونسة كريمة اسماعيل بك جول وزوجة سعيد بك الراحل (إلى اليسار)

= إمارة الطائفة لأن أمه (خوخي) من بيت الامارة، على حين ان امهات اخوته الأربعة من السلالة البسميرية ، فهو أحق منهم بالامارة . وتسلسل الرئاسات في طوائفه معروفة يكون فيها الأمير من بيت الامارة ، والبابا شيخ من أسرة فخر الدين ، والپير ابن الپير ، والفقير ابن الفقير ، وهلم جرا . وقد اضطرت ظروف خاصة تحسينا الامير إلى الاقامة في لندن مدة طويلة فنصب اخوه خيري اميراً على الطائفة .

(١) إذا مرض الطفل اليزيدي ، أو أصيب بعاهة ما ، نذره أبواه للشيخ عدي ، فإن عوفي أصبح ملك الأمير ، وتنذر العاقر اليزيدية نفسها للشيخ عدي ، فإن ولدت كان الوليد ملك الأمير ، إن شاء باعه وإن شاء احتفظ به .

أو ينال من كرامته ، أو يخالط من غَضَبَ عليه ، يعرّض نفسه للقصاص الصارم مهما يكون مقامه ، ويكون القصاص باستباحة بيته وماله ، وبإسقاطه من الحقوق المدنية والروحية ، ذكراً كان أم أنثى ، كبيراً أم صغيراً ، فيجتنبه أهله ومعارفه ، حتى زوجته ، إلى أن يعفو الأمير عنه ، أو يموت غير مأسوف عليه . فـ « خضوع



في الوسط أمير اليزيدية الاسبق : سعيد بك ابن علي بك ابن حسين بك (والد تحسين بك أمير اليزيدية السابق) واخيه خيري أمير اليزيدية الحالي

اليزيدية له ضرب من العبادة لأنهم لا ينكرون عليه شيئاً يطلب منهم »[1] وما يستحسنه

(١) \المقتطف (١٣ » ١٨٧٩ » ص ٣٩٣) .

يصير فرضاً واجباً على كل فرد من أفراد ملته ، بلا معارض ولا منازع »[1] وهو إلى ذلك الوارث الشرعي لمن ليس له أحد من الذكور من عصبته ، والمستأثر « بمهر النساء اللاتي ليس لهنّ أحد من ذوي أرحامهن »[2] ولذا كان عليه ان يكون عادلاً منصفاً كريماً ، وشهماً صادقاً مستقيماً .

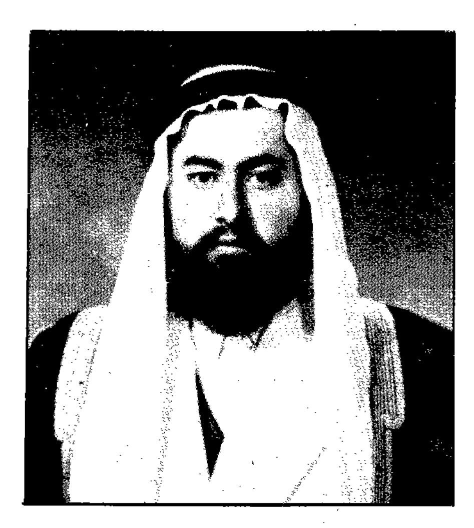
والأمير هو المتولي على أوقاف الشيخ عدي ، والمتصرّف بغلال أرضه ، واليه تأتي النذور والصدقات والغرامات التي تفرض على من يخالف أحكام الشريعة ، وكذا الرسوم التي تفرض على رعاة الأبقار ، فيتصرف في كل ذلك بمطلق مشيئته ، وليس لأحد أن يحاسبه حتى على تبذيره ، لأنهم يحملون صغار أخطائه على حسن نيته ، وطهارة قلبه . وهو المكلف بمساعدة الضعفاء من أفراد اسرته ، والمسؤول عن السناجق التي في بيت إمارته ، فلا تخرج إلا بأمره ، ولا يطاف بها إلا بعلمه وموافقته . وله طاقية خاصة به ، هي بمثابة التاج ، يضعها على رأسه ، آناء الليل وأطراف النهار ، معتقداً أن الدين فيها ، إذ يقال انها من مخلفات الشيخ عدي ، فلا يجرأ أحد على الاساءة اليه وهي على رأسه . ولا تقتصر هذه الحصانة على الأمير حسب ، بل تشمل ذكور أفراد عائلته كافة .

« وكانت الدولة العثمانية تعتبر هذا المير الأعظم ، أميراً مطلق السلطة حتّى سنة ١٨٧٥ م . وكان له حق الحياة والموت على سوقته ، أما اليوم — أي عام ١٨٩٩ م — فقد نزعت من يده هذه القوة »[3] وبقي له الحكم في القضايا التي تحدث بين جماعته ، وحكمه يكون ملزماً .

ولا يجوز خلع الأمير ولا عزله . وهو لا يتخلّى عن منصبه إلا بالموت ، أو القتل ، وقتله لا يتم إلا على يد أحد أفراد الأمراء من سلالته ، ولذا كانت الامارة — وما تزال — مطمح أنظار أمراء السلالة اليزيدية ، وقد تعرضت إلى الفتن والمشاغبات ردحاً من الزمن . فمن الأمراء من نزع الامارة منه ابنه ، ومنهم من اغتيل على يد أحد الأفراد المغرّر فيهم ، ولم يسلم من الدس والوقيعة إلا من كان محبوباً من اسرته ،

---

(١) مجلة الجنان البيروتية ج : ٧ (١٨٧٦ م) ص ٥٢٨ .
(٢) صديق الدملوجي في كتابه « اليزيدية » ص ٢٩٥ .
(٣) المشرق (٢ « ١٨٩٩ » ص ٥٥٠) .



تحسين بك ابن سعيد بك
(أمير اليزيدية السابق)

عاملاً على إسعادها ، منصرفاً إلى استجلاب قلوب أفرادها . وإذا قتل الأمير أو مات ، انتقلت مخلفاته المنقولة وغير المنقولة إلى الذي يخلفه في دست الامارة ، دون أن يشاركه في ذلك مشارك ، إلا فيما يتعلق بألبسة المتوفي فانها تكون للبابا شيخ .

٢ ـ البابا شيخ :

قدوة المشايخ في الاحكام الدينية ، ورأس الأئمة في سائر الأمور الروحية ، والمعوّل عليه في الحكم والعدل والقول الفصل . ومثله في الديانة اليزيدية كمثل البابافي الديانة المسيحية .

يرتقي نسب الـ « بابا شيخ » إلى الشيخ فخر الدين ، من السلالة الشمسانية ـــ أبناء عبد شمس ـــ وتنحصر وظائفه في القضايا الدينية العامة ، وفي الاحتفاظ بالسجادة المنسوبة إلى الشيخ العام « أي الشيخ عدي » فهو الذي يبين الصوم والصلاة والزكاة ، ويفسر أحكام الشريعة ، وينظم أعمال (الكواجك) ويوجههم إلى الأعمال التي يرى نياطتها بهم ، فيكون مسؤولاً عنهم . ويستشيره الأمير في الأمور الدينية استشارة مطلقة ، ويعمل بتوجيهاته في أحايين كثيرة . وإذا استقرّ رأي الأمير على توسيع عمارة الشيخ عدي ، أو إصلاحها ، أو تجصيصها ، وجب على البابا شيخ أن يشخص بنفسه للمشارفة على هذه الأمور ، على أن يساعده على ذلك البعض من أهل الخبرة

والنفوذ ، كما أن عليه ان يعرض السجادة المقدسة التي لديه على أنظار أبناء الطائفة في أيام مخصوصة من السنة للتبرك بها ، وتقديم النذور لها . ويأتيه اليزيديون من جميع الجهات لاستفتائه فيما يعنّ لهم من القضايا الروحية .

ويقيم « البابا شيخ » في القرية التي هو من أهلها . فلا يجوز له أن يحلق لحيته ، ولا أن يأكل بغير ملعقته ، ولا يشرب من فنجانٍ شرب به غيره ، ولا يجلس على غير سجادته ، وإذا حلّت أيام الطواف او الزيارة ، مشى حافي القدمين ، سواء أكان الوقت صيفاً أو شتاء ، صاحياً أو ممطراً . يلبس بدلة من الخام الابيض ، ويتمنطق بحزام من الصوف الأسود ، طوله زهاء تسعة أمتار ، وفيه بعض الحلقات المقدسة ، وتحت امره جملة من الشيوخ — أو المشايخ — يتلقون أوامره ، وينفذونها في قراهم ومحلات إقامتهم ، وهو يستحرم الخمرة ولا يشربها ، خلافاً لما عليه ابناء الطائفة من حلية شربها والافراط في الشرب .

وإذا مات الـ « بابا شيخ » أو حرمه الأمير — وحرمانه لا يكون إلا نادراً — اجتمع الشيوخ ورؤساء القبائل إما في مرقد الشيخ عدي ، وإما في دار الإمارة في « باعذرا » لانتخاب الخلف من سلالة (شيخي فخرا) أي الشيخ فخر الدين ، الذي يجب أن يكون البابا شيخ من سلالته — كما قدمنا — على ان يقترن ذلك بمصادقة الأمير ، فهي ضرورية على كل حال .

واسم « البابا شيخ » الحالي « شيخ حاجي » وهو ابن البابا شيخ اسماعيل . وقد زرناه في بيته في « باعذرا » أكثر من مرة فوجدناه على جانب عظيم من دماثة الخلق وطيبة النفس وسعة الاطلاع .

٣ ـ الشيخ :

ينحصر مشايخ اليزيدية في أصول ثلاثة كما يدعون وهذه الأصول هي : الآدانية « العدنانية » والشمسانية « أبناء عبد شمس » والقاتانية « القحطانية » وينتهي نسب كل أسرة من اسر هؤلاء المشايخ إلى أصل من هذه الأصول الثلاثة ، ويكاد يكون لكل أسرة عمل خاص . فقد خصت اسرة الشيخ حسن ، مثلاً ، « وهي من الأصل الآدياني — العدناني — » بالقراءة والكتابة ، اللتين حرمتا على غيرها ، وخصت اسرة الشيخ فخر الدين ، « وهي من الأصل الشمساني » بمقام الـ « بابا شيخ » الذي ألمعنا اليه في صدر هذا الفصل ، وهلم جرا ، وقد حرم المذهب اليزيدي التزاوج بين اسر

هذه الأصول الثلاثة تحريماً مطلقاً ، كما فرض على كل يزيدي ، ذكراً كان أم انثى ، ان يكون له شيخ يقاسمه رزقه ، ويكفّر عنه سيئاته،ويسمونه الفيوضات الالهية ، ويحضر وفاته . حيث يغسّله ويكفنه ويقبره .

ويعتقد مشايخ اليزيدية كافة انهم من سلالة يزيد بن معاوية الأموي ، وان جزءاً إلهياً قد حلّ فيهم فمنحهم القدرة على تغيير مجرى الحوادث ، والتصرف بشؤون الكون ، وأباح لهم الانتشار بين القرى اليزيدية كافة . وهم لا يحلقون ذقونهم ، ولا يقصون شواربهم . مثلهم في ذلك ممثل بقية الشيوخ لدى معظم الطوائف والأمم . أما لباسهم فهو البياض ، فيما عدا قطعة من القماش الأسود تعلو العمامة فوق الرأس ، مع رباط أحمر يتمنطقون به فيميزهم عن بقية الطبقات .

٤ ــ البير :

ربما كانت كلمة « البير » فارسية الأصل ، أو كرديته ، بمعنى (شيخ الطريقة) أو رئيسها المسّن . وجمعها على صنفين پيرة وپيورة. والبيرة هم الذين يلون الشيوخ في مراتبهم الدينية ، ويكادون ينحصرون في أسر معدودة، أباحت الشريعة اليزيدية لها حق التزاوج فيما بينها ، وسمحت لها بالانتشار في القرى والقصبات، أنّى شاءت أو رغبت ، لأن البير مرشد الطائفة ، وموجّه أفرادها نحو الواجبات الدينية .

وعلى البيرة أن يقصدوا تربة الشيخ عدي في « عيد الجماعية » وفي المربعانيتين : الصيفية والشتائية ، ليطعموا مريديهم ، مما جمعوه من نذور وهدايا وصدقات ، ويرشدوهم إلى تعاليم المذهب . فإن لكل پير جماعة من المريدين [١] . وقد قضت سنة الزكاة أن ينال البير خمسة في المئة من حاصلات مريديه ، كما سيأتي بحث ذلك في « الفصل السادس » .

وكما ان عوام الفرس ، والكرد ، والترك ، حتى العرب ، يلجأون إلى رؤسائهم الدينيين ليشفعوا لهم في شفاء مرضاهم ، وقضاء حاجاتهم ، فإن اليزيديين يهرعون إلى پيورتهم ، كلما أصابتهم محنة ، أو ألمّ بهم مكروه ، معتقدين ان في إمكانهم شفاء المرضى ، ومعالجة الحالات المستعصية ، واستنزال شآبيب الرحمة والمغفرة بالتمائم والعزائم ، وبما لديهم من أتربة مقدسة يأخذونها من مراقد اوليائهم .

---

(١) لا بد لكل يزيدي أو يزيدية من شيخ وپير وأخ وأخت .

٥ — الفقير :

الفقير هو الناسك المتعبد الذي زهد في الدنيا فطلق بهاءها وزخرفها ، ورغب في الآخرة فطمع في نعيمها وخلودها . وفي الهند يطلقون كلمة (الفقير) على كل زاهد متقشف ، مسلماً أكان أم هندوكياً . ولفقراء الهند حرمة خاصة ، ومنزلة اجتماعية سامية ، وفتاوى شرعية مسموعة .

وفقراء اليزيدية اليوم صلحاء الطائفة وزهادها ، وذووا السيرة الحسنة بين جماعاتها . وقد كانوا مثل فقراء الهند ، من حيث المنزلة والسلطة الزمنية ، ولكن شاءت أهواء بعضهم [١] ان يستغل نفوذه الديني ، ويتدخل فيما لا يعنيه ، فأضر بنفسه ، وبطائفته . ولهذا فرضت الديانة اليزيدية على اتباعها ان يكون الفقير موضع الرحمة والإحسان ، والعطف والإكرام .

ولفقراء اليزيدية عامة لباس خاص يسمونه (خرقة الفقير) وهو قطعة من قماش الصوف الأسود ، المصبوغ بورق شجر الزركوز ، تكمّ بحلقات من النحاس الأصفر كالصدرية ، يلبسها الفقير على صدره فلا ينزعها إلا إذا خلقت فيستبدلها بغيرها ، بعد أن يعلقها في محل خاص حتى تبلى ، أما إذا مات فإنه يدفن بخرقته ، وإذا وجد القمّل في الخرقة فلا يجوز قتله . كما ان له حبلاً دقيقاً يربطه إلى عنقه يسمونه (المفتول) او (طوق يزيد) وطاقية يضعها تحت عمته السوداء يسمونها (كِمةُ الفقير) فلا يجوز الاعتداء عليه ، احتراماً للخرقة والمفتول والكِمه ، مهما أجرم — كما انه لا يجوز الحلف بهذه الخرقة كذباً . وإذا ضرب فقير يزيدياً ، وإن كان من أصحاب الرتب الدينية . فليس للمضروب ان يرد على ضربته ، وإنما يتحتّم عليه ان يقف امامه ، مصلباً يديه على صدره ليعلن عن استعداده لتلقي ضربات اخرى . على ان (الفقير الذي يخالف قوانين وفرائض الديانة ، ويخالف أوامر الخليفة امير الشيخان ، يشلحوه من اللباس الديني ، ويحلقون وجهه ويطردوه من بين الجماعة) [٢] وقد (اباح التقليد الديني لكل يزيدي — سواء أكان من الروحيين أم من صنف العوام —

---

(١) ولا سيما في « سنجار » ويقول اليزيديون ان قد كان للشيخ عدي فقراء من الهنود وعلى هذا ربما كان فقراؤهم الحاليون من حفدة أولئك الفقراء الهنود .

(٢) اسماعيل چول في كتابه « اليزيدية قديماً وحديثاً » ص ٩١

أن يصير فقيراً بعد أن ينذر نفسه لحياة الزهد والطاعة ، ويكتسي خرقة الفقر ، على أن يصادق الأمير على اهليته لسلوك هذه الطريقة ، ويلبسه خرقة الفقر بيده) [1] .

٦ ـ القوال :

القوَّال ـ كشداد ـ لغة كثير القول ، وعند اليزيدية تطلق على الحادي ، أي مرتِّل الأناشيد الروحية في المراسيم الدينية وفي مواسمها . والقوالون شعراء مجيدون ، يقولون أن أجدادهم عرب من برّ الشام ، صحبوا الشيخ عدي بن مسافر الأموي في رحلته إلى الهكارية ، وأقاموا على ولائه ومحبته قروناً عديدة ، فمنحهم حق انشاد القصائد والمدائح الدينية باللغتين العربية والكردية ، وخصّهم بحفظ أسرار الشريعة والحوادث التاريخية ، وشرَّفهم بمصاحبة (طاووس ملك) في التجوال بين القرى اليزيدية لجمع الصدقات والاتاوات والنذور التقليدية ، وفي إنشاد الأناشيد اللازمة عند دفن الموتى. كما انهم يتباهون بجمع الأقذار والأوساخ من تربة الشيخ عدي، في ختام كل زيارة ، وتنظيفها من القمامات والقاذورات التي يتركها الزائرون أحياناً ، معتقدين انهم يتوارثون هذا الشرف أباً عن جد .

وهم يعلّمون أولادهم الرقص الديني ، ويدرّبونهم على ضرب الدفوف ، والعزف بالشبابات، ويلقنونهم القصائد والأناشيد لينشؤوهم نشأة آبائهم ، ويمرنوهم عليها من صغرهم ، وهم ما عدا ذلك يقومون بخدمة الدفوف والشبابات وتحضير المدايـــح .

وليس للقوالين أن يتزوجوا من غير سلالتهم، كما لا يجوز للشيوخ أن يتزوجوا بنات القوالين ، وقد أصدر الـ (بابا شيخ) فتوى دينية في السنوات الأخيرة ، أجاز فيها تزويج فتيان القوالين من فتيات المريدين ، خشية انقراض الأولين « القوالين » .

وللقوالين طاقية خاصة بهم يسمونها « كمّةُ القوالين » ؟ فلا يجوز الحلف بها كذباً ، كما انهم لا يحلقون لحاهم ، ولا يقصون شواربهم ، ولا شعرات صدوغهم ، ويسكنون في القريتين « بعشيقا » و « بحزاني » فقط . وهم يقومون بالسفارة والنيابة عن أمير الشيخان ، ويتجولون في القرى باسمه لجمع النذور والصدقات .

---

(١) صديق الدملوجي في كتابه « اليزيدية » ص ٤٨ .

ومما يمليه القوالون على اليزيديين ، عن لسان الشيخ عدي وطاووس ملاك : « المال مالي والبشر عيالي . أنا أفقر ، أنا أغني . أنا أحب الذين يدعونني باطناً . والذي ينكرني قدّام الناس أنا انكره في السماء . أنا أحب الذي يحبني من كل قلبه ، يقطع من لحمه ويكرمني . وأنا أرضى عليه ، وأتجاوز عن سيئاته ، وأقبل منه عوض الصوم والصلاة ، ولا يشك في ويدعوني دائماً فأنا حاضر عنده وعند الضيقة ، وأن لا يخطىء ، ولا يزنى ، ولا يكفر ، ولا يعمل مثل باقي الطوائف الخارجة ، ولا يحسد . وفي يوم القيامة أساميه وأرجو من الرب أن يغفر له ويدخله الجنة » إ هـ [1] .

٧ ـ الكواجك :

الكواچك طائفة من عوام اليزيدية معروفة العدد ، منتشرة في القضاءين : الشيخان وسنجار انتشاراً كبيراً ، يتميز أفرادها عن أبناء نحلتهم كافة بلباسهم الأبيض ، ونطاقهم الصوفي الأسود أو الأحمر ، وبالحلقات الدينية المعلقة بهذه الانطقة . وتقتصر وظائفهم الدينية على تغسيل الأموات ، وتكفينهم ، ودفنهم واكتشاف مصائرهم ، إن خيراً وإن شراً ، وكذلك الاتصال بعالم الغيب والشهادة ، لمعرفة أسرار الحال والاستقبال [2] ، وهم إلى ذلك يقومون بخدمة مراقد الطائفة المقدسة . ولهم في تربة الشيخ عدي خدمات شاقة ، كنقل الأحجار ، وقطع الأخشاب ، وتنظيف الساحات من القمامات بعد كل زيارة ، وهم يمارسون هذه الواجبات تحت إشراف الچاويش ، وهو الكوچك الاعزب ، الذي يقيم في المرقد طوال مدة حياته ، وتشترط العزوبة الدائمة عليه ، لعدم جواز اجتماع الجنسين في حرم الشيخ الكبير . ومن الكواچك من يحتال على بعض المرضى فيوهمهم بأن لديه سبب شفائهم ، ويقدم إليهم قليلاً من تراب مرقد الشيخ عدي فيسفّه المريض ويقبض أجره .

وقد أوجب الشارع احترام الكواچك ، وتصديقهم في أقوالهم وأفعالهم ، حتى وإن كانت نوعاً من الشعوذة والدجل ، فقد جاء في الفصل الأخير من كتابهم المقدس « الجلوة » ما نصه :

---

(١) سعيد الديوجي في كتابه « اليزيدية » ص ١٩٩ .

(٢) إذا أراد الكوچك أن يتنبأ عن المستقبل ؛ التحف بعباءته واضطجع على الأرض ، وأخذ يدمدم ويترنم ، ثم يروي للحاضرين ما يتراءى له من المغيبات ، زاعماً انه يعرف كل ما حدث في العصور الخالية ، والوقائع الماضية ، من أيام آدم وحواء إلى يومنا هذا .

« احفظوا سنني وشرائعي . طيعوا واصغوا لخدامي بما يلقنوكم به من علم الغيب الذي هو من عندي » .

وقد يستغل بعض الكواچك هذا النص فيدعي القدرة على شفاء المرضى لتأمين بعض المنافع المادية .

ولكل يزيدي ألف في نفسه القدرة والجلد أن يتريّض رياضة خاصة تؤهله لأن يكون (كوچكاً) يكتشف مصائر الناس ، ويكاشف أرواح الأموات ، ويستكشف أسرار الطبيعة . وذلك بأن يدخل (منبر الأربعين شيخ) ويزور (الأربعين سراج) ويحلف يمين الولاء والخدمة للشيخ عدي ، ويطلّق الدنيا ، وما فيها من نعيم زائل ، ومغريات منوعة ، ثم يصوم أربعين مرة أربعين يوماً ، ويقصد تربة الشيخ عدي مرة ثانية ، فيزور الأربعين سراجاً ، ويدخل منبر الأربعين شيخاً ، ويقصد الـ «بابا شيخ» فيبارك له ، ويمنحه سلطة ممارسة الواجبات المذكورة .

٨ ـ المريد :

ربما كانت كلمتا « البقرة الحلوب » أحسن ما يوصف به « المريد » من اليزيدية فالمردة « أي المريدون » هم عوام الشعب ، وسائر أفراده ، ذكوراً كانوا أم إناثاً ، كباراً أم صغاراً ، سواء كانوا من القبائل أو من أهل القرى ، يخضعون لأوامر رؤسائهم الروحيين خضوعاً مطلقاً ، ويتقبلون أوامرهم ونواهيهم دون مناقشة أو اعتراض ، فقد فرضت الشريعة عليهم الاطاعة العمياء ، وأوهموا ان التدخل في الأمور الدينية ، أو التساؤل عن أسرار العقيدة اليزيدية يخرجانهم من الايمان ، ويحلان بهم الذل والهوان .

ولا بد أن يكون لكل مريد أو مريدة ، شيخ وپير معاً ، فيقدم اليهما النذور والخيرات ، ويتلقى منهما التعليمات والإرشادات ، فإذا مات أحدهما ، أو حرمه الأمير ، ولم يكن بين سلالته من يحل محله ، لجأ المريد إلى الأمير فيختار له بدل المتوفي ، أو المحروم ، أحداً ما ، لقاء مبلغ يتفقان عليه . والمريد الذي لا شيخ له ولا پير ، يعدّ خارجاً على العقيدة اليزيدية [1] ، والمردة يتزاوجون فيما بينهم ، فلا تحق لهم مصاهرة السلالات الأخرى ، أي كالمنبوذين في الهند .

---

(١) حتمت التقاليد اليزيدية على كل يزيدي أن يتخذ له أخاً وأختاً من رجال الدين يكل أمره اليهما ، ويرجو بهما الشفاعة يوم الآخرة ومفروض عليه ان يصافحهما عند كل صباح ، ويتحبب اليهما . وإذا اراد عمل ثوب فعلى اخته الابدية ان تفتح رقبته ، وعندما يوافيه الموت ، يحضره اخوه الابدي واخته الابدية ، ويساعدان شيخه وپيره في غسله وتكفينه .

الدملوجي في كتابه « اليزيديون » ص ٧٠ .

الفصل السادس

الشرائع الطقسية

توطئة

لكل طائفة من الطوائف طقوس تؤدي بها فرائض العبادة ، وآداب وسنن تتقرّب بها إلى خالق الأكوان . واليزيدية من بين تلك الطوائف التي اختصت بسنن وآداب ظهرت مزيجاً من عادات وتقاليد مستمدة من ديانات مختلفة ، عاصرتها اليزيدية فعبثت بها كل العبث ، حتى ابعدتها عن أصولها . فمن بين هذه الطقوس نشاهد شيئاً ليس بالقليل من المجوسية : كالسجود للشمس والقمر ، وآخر من الإسرائيلية : كتحريم بعض المأكولات ، وغيره من المسيحية : كالإيقاعات الموسيقية في الحفلات الدينية ، وكثيراً من العادات الإسلامية : كالصوم ، والصلاة ، والحج ، والزكاة ، والضحية ، والختان ... الخ . وتكاد تكون هذه الطقوس خليطاً من هذه الأوضاع ومع ذلك فهي ذات صبغة خاصة .

ومما تحسن الاشارة اليه هنا ، ان عادات اليزيدية وشرائعهم الطقسية ، تقلّ وتكثر بحسب القرى والأصقاع ، التي يوجدون فيها ، أو بحسب الناس الذين يخالطونهم ، هذا إلى أنه جاء في كتابهم المقدس « الجلوة » ما نصه :

« احتفظوا بالعلم الذي يلقنوكم إياه ، ولا تجوا به – تأتوا به – قدّام الأجانب ... ولا تعطوهم من كتبكم لئلا يغيروها عليكم وأنتم لا تعلمون » .

فإذا تلوت على أحدهم نصاً صحيحاً لطقس من طقوسهم ، وطلبت منه تأييد صحته ، موّه عليك الجواب . وهكذا إذا تلوت نصاً مغلوطاً لطقس آخر ، راوغك في تبيان الحقيقة ، لأن « من أول فرائض اليزيدية كتم عقائدهم عن كل أحد »[1] شأن كل الطوائف الباطنية ، ولذا لا يمكن أن يستخلص من طقوسهم شيء تتخذ منه معتقداتهم أو آدابهم الاجتماعية على قياس واحد ، كما في سائر المذاهب والأديان .

وقد لاحظنا شخصياً أن ليزيدية جبل سنجار بعض عادات وسنن لا أثر لها بين يزيدية جبل الشيخان ، وأن يزيدية الشيخان يتساهلون ببعض آدابهم وسننهم الدينية ،

---

(١) الدكتور بروسكي في المقطف (١٣ – ١٨٨٩) ص ٣٩٣ .

وعاداتهم الاجتماعية تساهلاً قد لا يقرّهم عليه يزيدية سنجار ، وأن اليزيدي في (الشيخان) مهان ومحتقر ، بعكس اليزيدي في (سنجار) فإنه قوي مهاب ، حتى أن المسلم في سنجار لا يستريح إلا إذا صاحب يزيدياً من أهلها . وها نحن أولاء ننشر فيما يلي تفاصيل طقوسهم ، على النحو الذي شاهدناه وتحققناه بنفسنا ، مضافاً إلى مطالعاتنا في مختلف الكتب والمجلات .

١ – « الصوم »

الصوم عبادة فرضها الله تعالى على خلقه أجمعين تطهيراً لهم ، وتزكية لنفوسهم ، كما فرض سائر العبادات لمصلحة الخلق أنفسهم ، لا لمصلحة تعود عليه سبحانه وتعالى ، فهو في غنى عن العالمين . وليس هناك من فائدة للبحث عن سرّ الصوم والغرض منه لمن ينكر الخالق ، أو ينكر حكمته ، أو ينكر النبوات ، ولكن هناك فائدة هي التذكير وطمأنينة القلب للمؤمنين ، ولذا قالَ تعالَى في مَحْكمِ كتابِهِ المجيدِ « وَذَكِّرْ فإنَّ الذِكْرى تَنْفَعُ المُؤمِنين » [١] .

ولليزيدية صومان : صوم العامة ، وصوم الخاصة ، فصوم العامة هو (صوم يزيد) ويقع في أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس الأولى من شهر كانون الأول الشرقي – أي في أقصر أيام السنة – فينقطع اليزيدي ، خلال هذه الأيام الثلاثة المتتالية عن الأكل ، والشرب ، والدخان ، من الصباح إلى المساء ، زاعماً أن الحكم الذي نزل في الكتاب المقدس بحق الصيام ، كان مجملاً لم يفسره الناس وفق نصه ، فقد نزل باللغة الكردية (سه روز) أي ثلاثة أيام ، لا (سي روز) أي ثلاثين يوماً ، كما توهمه المسلمون . وترينا هذه الفكرة ان اليزيدية يعتقدون بأن الكتاب المقدس هو أصل لجميع الشرايع والأديان التي جاءت من بعده ، وانه جاء باللغة الكردية [٢] لغة الله التي كلم بها آدم دون غيرها من اللغات . وقد يذهب اليزيدي إلى أبعد من ذلك

---

(١) سورة الذاريات الآية ٥٥ .

(٢) « التي هي أفضل اللغات » كما في صفحة ٩ من « كتاب اليزيدية » للقس اسحاق ، وهو كتاب سرياني وجد في « دير القوش » وطبع في روما سنة ١٩٠٠ م وقد عرّبه الياس خوشابا شكوانا سنة ١٩٣٢ م وترجمته العربية هذه في خزانة صديقنا الأستاذ كوركيس حنا عواد كما أن لدينا نسخة من هذه الترجمة ولكن بقلم مترجم آخر .

أحياناً فيرى أن الآية الكريمة : « مَنْ جاءَ بالحَسنَةِ فلَهُ عَشْرَ أمْثالُها »[1] تنطبق على هذا التفسير ، فهو يصوم ثلاثة أيام باعتبار انها تجزي عن ثلاثين يوماً .

أما صوم الخاصة فعبارة عن ثمانين يوماً : يصوم رجل الدين نصفها منذ العشرين من شهر كانون الأول الشرقي ، والنصف الثاني منذ العشرين من شهر تموز الشرقي . ففي هاتين (المربعانيتين) يذهب الروحانيون إلى مرقد الشيخ عدي ابن مسافر الأموي الهكاري في « الشيخان » فيصومون ثلاثة أيام ثم يعودون إلى قراهم ليتموا صيام أربعين يوماً ، ولكن قلّما يصومون هذه المدة ، لان الصائم إذا بات بنية الصوم ، وقدم اليه أحد الأتباع في الصباح طعاماً ما فأكله،أصبح في حل من هذه الفريضة، أو من إتمامها .

أما آداب الصوم ، من حيث بداية الصوم ونهايته ، وما يحلّ به وما يحرم ، فقد لا تختلف تقريباً عما هي عند المسلمين ، إلا من حيث إلزام الصائم بأن يتناول وقت الإفطار قطعة من الخبز مغموسة بملح ، كما هي عادة اليهود في افاطرهم أيام السبوت ، أو أن يسفّ قليلاً من تراب مرقد الشيخ عدي ويسمونه « براتا » .

وقد يتظاهر اليزيدي في (العراق) فيصوم شهر رمضان مراعاة لجيرانه من المسلمين ، إذا ما اختلط بهم ، كأن يريد أن يدمج نفسه فيهم ، وقد شاهدت يزيدياً كان يمتنع عن الأكل في رمضان ، إذا اجتمع بمسلم ، ولا يتردد عنه ، إذا انفرد بنفسه . والمعروف ان أبا اسحق الصابئي المتوفي سنة ٣٨٤ ه (كان يصوم شهر رمضان مع المسلمين ، ويحفظ القرآن الكريم احسن حفظ)[2] مجاراة للشريف الرضي لا تديناً .

٢ ـ « الصلاة »

الصلاة عند المتدينين رمز الخضوع والانقياد لأوامر الشريعة . فالمصلي يؤدي بحركاته وأعماله ، فروضاً اعتقادية تدل عليها تلك الأعمال ، وهاتيك الحركات . وإذا كان الصوم قديماً ومعروفاً في جميع الشرائع الطقسية للأمم القديمة ، فالصلاة أقدم منه بلا ريب . فقد صلى الإنسان القديم ، وانحنى أمام مظاهر الطبيعة حينما

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١٦٠ .

(٢) ابن خلكان في « وفيات الأعيان » ص ١٣ ج ١ من طبعة مصر .

أرهبته وأخافته ، وهو — لا يزال — حتى الآن ينحني تعظيماً وإجلالاً أمام كل ما يتصوره من القوى المسيطرة على هذا الكون .

وليس لليزيدية صلاة عامة ، بالمعنى المقصود عند بقية الطوائف والشعوب ، وإنما لهم صلاة خاصة لا يسمونها بالصلاة ، غير اننا نسميها بذلك ، لان عدم استعمال المسمى لا يعدم المسمى . فكل يزيدي متديّن ، يتوجه عند شروق الشمس إلى مطلعها ، كأبرز ظاهرة خلقها الله ، وعند غروبها في مغيبها ، يلثم الأرض ، ويعفّر وجهه بالتراب ، ويدعو دعاءاً خاصاً بلغة ، هي مزيج من العربية ، والكردية ، والفارسية ، هذا نصه :

آمين آمين الله تبارك الدين ، الله أحسن الخالقين ، بهمة شمس دين ، ناسر دين ، سجادين، شه شمس، قوة دين ، قديم البانَ قديم ، سلطان شيخ آدي ، تانج أول ، هاته آخرين ، خيرة بدن ، شروى كرين ، حق الحمد لله رب العالمين ، مش قده نكه ، باري إيزيد ، اشكروا بختان ، هفتي دوملت ، هشتي هزار خليقة ، صبر وستر ، ره طريق ، عقل وفهم ، اوركان ، راستي ناسي ، حيا ايمان ، ياشه شمس عليك السلام » ا هـ . وهذا تعريبه :

آمين آمين الله تبارك الدين ، الله أحسن الخالقين ، بهمة شمس الدين ، ناصر الدين ، سجاد الدين ، الشيخ شمس مؤيد الدين ، باني المجد القديم ، السلطان الشيخ عدي ، رئيس الأولين والآخرين . اعط الخير تنجو من الشر ، حق الحمد لله رب العالمين . مهما كان عدد أعوان يزيد ، فإن بينهم الكافرين والضالين . ومن بين الاثنين وسبعين ملة ، والثمانين الف مخلوق ؛ إذا كان له صبر وستر ، عقل وفهم ، ايمان ثابت ، ويقول القول الصحيح دون زيغ ، وكان عنده الحياء والناموس ، فإن الشيخ شمس يشفع له عند الإله .

هذا هو نص دعاء الشروق عند اليزيدية سمعته من أفواههم ، واستكتبته بأقلام مثقفيهم ، وتثبّته من تلاوته على شيوخهم . وهم يشترطون في أدائه ان يتم دون أن يشاهدهم من كان على غير معتقدهم ، فإن كانوا عند غريب عنهم ، أمسكوا بخفة الموضع الذي أشرقت الشمس عليه ، أو غربت منه ، ثم قبلوا أيديهم ليسقط عنهم هذا الواجب . ولهم فيما عداه أربعة أدعية وهي :

الأول « دعاء الصباح » وهو طويل جداً ، ولغته خليط من العربية ، والكردية ، والفارسية .

الثاني « دعاء الأوغر » وهو أطول من الأول ، ويتلونه بعد تلاوة دعائي الشروق والصباح .

الثالث « دعاء الغروب » ويسمونه دعاء الشمس ، ويتضمن ٥٣ بيتاً من الشعر بين عربي ، وكردي ، وفارسي .

الرابع « دعاء المساء » ويسمونه دعاء الشهادة أيضاً . وهو ما يتلى وقت المنام ، قائماً أو جالساً أو نائماً .

٣ - « الحج »

لليزيدية كعبة يحجون اليها ، ويحفّون بها ، في مواسم خاصة من السنة ، وهي مرقد « الشيخ عدي بن مسافر الأموي الهكاري » بالقرب من قرية « عين سفني » مركز قضاء الشيخان ، بمحافظة نينوى (الموصل) ويقولون أن جبل لالش أو (ليلش) الذي يقع فيه المرقد المذكور ، مثل مكة التي يحجّ اليها المسلمون ، إن لم يكن أفضل منها ، ولهذا يهرعون اليه في موسم الحج ، الذي يبتدىء من اليوم الثالث والعشرين من شهر أيلول الشرقي « ٦ تشرين الأول الغربي » وينتهي في اليوم الثلاثين



(كعبة اليزيدية التي يحجون اليها وهي مرقد الشيخ عدي بن مسافر في وادي لالش) .

منه « ١٣ تشرين الأول الغربي » فمن لم يزره ولو مرة واحدة في حياته ، فهو كافر في نظرهم . كبيراً كان أم صغيراً ، قرب مسكنه أو نأى .

أما المناسك والأوراد التي يقومون بها في هذا الحج ، الذي يسمونه « عيد الجماعية » فسيأتي البحث عنها في الفصل الثامن « الأعياد » . وأما سبب اختيارهم هذا المرقد محجاً لهم ، دون مكة المكرمة ، فيقولون فيه : إن العلماء والنبلاء ، والمتمولين ، حتّى العوام ، كانوا يقصدون عدياً في زاويته في (ليلش) [١] لينتفعوا بإرشاداته الدينية ، ويستمعوا إلى نصائحه الأخلاقية ، ولما كان الغرض من حج بيت الله الحرام « لِيَشْهدوا منافعَ لَهُم وَيَذكُروا اسْم الله في ايَام ٍ معلومات ٍ على ما رَزَقَهم من بَهيمةِ الأنْعام ِ » [٢] وقد شهدوا هذه المنافع في حجهم زاوية الشيخ عدي المتصوف ، فقد انتفى الغرض من حج بيت الله الحرام ــ كذا ــ .

وينتهز القوالون فرصة حجهم مرقد الشيخ عدي ، فيشترون من « الفقير » مقداراً من التراب المحيط بالمرقد المذكور ، يعملون منه أقراصاً أو كرات بحجم البندق الصغير يسمونها « براتا » [٣] تهدي إلى الأفراد ، عند زيارتهم طاووس ملك ، كما تعطي للتبرك والحصانة . إذ لا بد أن يمتلك كل يزيدي كرة من الـ (براتا) فيقبّلها في صباح كل يوم وفي مسائه ، ويحتمي بها عن كل أذى ، حتّى أنه إذا ظفر عدو بعدوه ، وعلم انه يحمل الـ (براتا) فقد لا يمسه بسوء حرمة لها ، ورهبة من غضب صاحبها . وإذا اختصم شخصان وأرادوا المهادنة أو المصالحة ، بعث كل منهما بحبة البراتا التي لديه إلى صاحبه ، فيتوقف القتال أو النزاع فوراً ، فإن اخفقا في المصالحة ، استرجعا الحبتين وعادا إلى الخصام . وكثيراً ما اتخذ القوالون هذه الكرات مورد اعاشة لهم ، فيبيعونها للمصابين بالأمراض والعاهات ، باعتقاد انها تشفي المرضى « وكل من ابتلع حبة من هذه الحبوب حفظته سنة كاملة نفساً وجسداً بنعمة ملك طاووس » [٤] .

---

(١) قال ياقوت الحموي في : معجم البلدان ٣٧٤/٤ طبعة اوربا :
ليلش : قرية في اللحف من أعمال شرقي الموصل منها الشيخ عدي بن مسافر الشافعي شيخ الأكراد وامامهم وولده .

(٢) سورة الحج : الآية ٢٨ .

(٣) Baratta ولعل الكلمة محرّفة من « برء » أو « براءة » .

(٤) المقتطف ١٣ ــ ١٨٨٩ ص ٣٩٦ .

ولا بد لكل يزيدي يحج مرقد الشيخ عدي ، أو يقصد أحد المزارات المقدسة ، أن يغتسل غسلاً دينياً ، أما في سائر الأيام فلا غسل عندهم ولا تنظيف ، لأن القوم يرون ان لا قيمة للنظافة البدنية ، مع وجود الغسل الديني .

٤ ـ « الزكاة »

الزكاة في اللغة النمو ، وعند الفقهاء تستعمل بمعنى عام ، يكون شاملاً حتى الصدقة المستحبة . أما جهة صرف الزكاة فالآية الكريمة :

« إنّما الصدَقاتُ للفُقَراءِ والمَساكينِ والعامِلينِ عليها والمُؤلَفَة قلوبَهُم وفي الرِّقابِ والغارِمينْ وفي سبِيلِ الله وابن السبيل فريضةً من الله والله عَليم حَكيم [1] » .

وتختلف الزكاة عند اليزيدية « ويسمونها الرسوم » عما هي عند المسلمين اختلافاً كبيراً ، فيقولون في أصلها : لاحظ الشيخ عدي بن مسافر ، ان الرؤساء والشيوخ في أيامه كانوا في خصام مستمر من أجل عقاراتهم ، وإنماء ثرواتهم ، فشرع في بث روح الفضيلة فيهم ، وصار يزهدهم في المال والعقار حتى تمكن من حملهم على ترك الدنيا وما فيها من عزّ زائل ، والسعي للآخرة وما فيها من نعيم دائم ، فتنازلوا لمريديهم عن أملاكهم وعقاراتهم ، وجعل الشيخ عدي لهم نسباً معينة في غلال هذه الأملاك ، يدفع المريد إلى شيخه هذه النسبة في كل سنة ، ويتوارثها الأبناء عن آبائهم . لأن المريد كالبقرة الحلوب لشيوخه . فللشيخ عشرة في المئة من غلة أملاك مريديه وحاصلاتهم الزراعية ، وللپير نصف هذه الحصة في المئة ، وللمربي ٢ ١/٢ في المئة ، أي نصف ما للپير ، وللفقير نصف ما للمربي ، وللقوّال نصف ما للفقير ، أي خمسة أثمان في المئة ، ولا رسم للكواچك على المريدين ، أي أن المريد يصرف إلى رؤسائه الروحانيين ١٩/٣٧٥ في المئة من دخله العام ، في كل سنة ، مضافاً إلى الضرائب التي يدفعها إلى الحكومة المحلية .

لقد قرأنا هذه النسب في كتاب ألفه أحد شبان بعشيقا ، من اليزيديين ، وكنا في زيارته يوم ١٨ نيسان من سنة ١٩٤٧ وكان الـ (بابا شيخ) هناك أيضا فأيد صحة ما ما كتبه اليزيدي « ف. ص. ر. » هذا في كتابه . وكنا أول من يذيع هذه النسب

---

(١) سورة التوبة : الآية ٦٠ .

كتابة . غير أن الشيخ حسين بن الشيخ ابراهيم البحزاني ينكر هذه النسب ويقول في رسالته الينا :

« ان الزكاة عند اليزيدية تعتبر خيرات ، كما هي عند المسلمين ، ولا توجد أبداً نسب معيّنة للشيخ ، والپير ، والكوچك ، والفقير . والشاب اليزيدي الذي ألف كتاباً لا يمكن الاعتماد لأنه غير مثقف » ثقافة دينية بالطبع .

٥ ـ (تناسخ الارواح)

يعتقد اليزيديون بفكرة التناسخ ، على الصورة التي يعتقد بها غلاة المتصوفة من رسخ ، ومسخ ، وفسخ ، ونسخ [١] وتتجلى هذه الفكرة في كثير من المراسم التي يجرونها ، وهم يرون أن الأرواح تنقسم إلى قسمين : أرواح شريرة تتقمص أجسام الحيوانات الخبيثة : كالكلب ، والحمار ، والخنزير ، وتتعذب بهذه العودة ، فتلاقي جزاءها بهذا التقمص . وأرواح طيبة تبقى مرفرفة في الفضاء ، وتدور في الهواء لتكشف للناس الأحياء ، الأسرار المكنونة ، والمغيبات الخفية فهي على اتصال دائم بعالم الغيب . لذلك نشاهد اليزيديين يصلون ليلة وفاة الميت ، ويتضرعون كثيراً ليظفروا في تلك الليلة بالاحلام التي تكشف لهم منقلب فقيدهم ومصيره ، وتريهم عودة الفقيد الثانية ، وتقمّصه الجديد ، خيراً كان أم شراً ، وتعرّفهم بأرواح أهل الجنة الأخيار ، وأرواح أهل النار الأشرار . فإن تقمصت روح ميتهم جسداً انسانياً ، حمدوا الله على هذا المنقلب . ، وإذا تقمصت جسد احد الحيوانات الحقيرة ، شرع أهلوه في تقديم القرابين والنذور ، حتى تخرج الروح من حيوان لآخر ، فتتم درجات التناسخ ، وتحل جسداً إنسانياً . ولذا « فإن كثيراً من الاغنياء إذا كان لهم أولاد مسرفون ومتمردون ، فإنهم خوفاً من أن يبددوا ذلك الغنى ، ويضيع بيد هؤلاء الأولاد ، يطمرونها في الأرض واضعين هناك علامة ما ، معتقدين برجوع روحهم ثانية ، وعندئذٍ يخرجون تلك الثروة ، ويعيشون في بحبوحة السعادة » [٢] .

---

(١) الرسخ . انتقال النفس الناطقة من بدن انسان إلى الأجسام النباتية ، والمسخ انتقال النفس المذكورة من بدن الانسان إلى أجسام الحيوانات ، والفسخ : انتقال النفس الناطقة من بدن الانسان إلى الجمادات ، والنسخ : انتقال هذه النفس من بدن انساني إلى بدن إنساني آخر .

(٢) القس اسحق : ص ٣٢ .

وهذه العقيدة قديمة ، اعتنقها كثير من الأقوام الوثنية ، وهي اصيلة في هذا المذهب ، ومقررة ، إلا أنها ليست من معتقدات العوام ، لتظهر على أفواههم ، ولهذا يعتقدون ان رؤسائهم عاشوا في جميع العهود .

وفي نهاية الفصل الثاني من كتابهم المقدس « الجلوة » ما يؤيد هذه الفكرة وهذا نصه :

« ما أسمح لاحد بأن يسكن هذه الدنيا أكثر من الزمن المحدود مني ، وإذا شئت أرسلته مرة أخرى ثانياً ، وثالثاً ، إلى هذا العالم أو إلى غيره بتناسخ الأرواح » .

وهناك قصة طريفة رواها مصطفى نوري بك [1] الذي كان والياً على الموصل فكتب رسالة عن اليزيدية [2] هذا نصها . كما جاءت في ص ١٩ .

ويزعمون أنه لما توفي الحسن المشهور عندهم بالبصري ، انتظرت روحه على شاطىء الماء للتحرّي عن النسخ والانتقال الذي سينالها ، وفي هذه الاثناء جاءت بنته الباكرة إلى الماء ، فملأت جرتها وعادت إلى دارها ، وحينئذ استولت عليها حرارة ، فأخذت قليلاً من ماء الجرّة فحبلت في الحال ، وبعد تسعة أشهر وضعت ولداً يشبه أباها إ هـ .

وهذه الاقصوصة شبيهة بتلك التي رواها « اسماعيل جول » عن « منصور الحلاج » في كتابه ــ اليزيدية قديماً وحديثاً ــ والتي سيأتي ذكرها في الفقرة الثالثة من بحث « عادات اخرى » .

---

(١) والد جلال نوري الكاتب الأديب التركي المعروف .

(٢) طبعت هذه الرسالة في مطبعة (اجتهاد) في الاستانة سنة ١٣٢٨ رومية وعنوانها (عبدة إبليس) وقد رفعها صاحبها إلى مقام الصدارة العظمى في الاستانة ، ورمى فيها إلى اعتبار الطائفة اليزيدية غير مسلمة لاعفائهم من الجندية وأخذ الجزية منهم .

الفصل السابع

السنن الاجتماعية

« الزواج »

نبحث في زواج اليزيدية من ناحيتين : من ناحية السنن ، ومن ناحية الأحكام . فسنن الزواج عندهم تبدأ باحتفال ديني يجري فيه عقد الزواج ، إلا أنه يسبق بأدوار :

فالدور الأول ، هو الاتفاق الذي يشترط حصوله بين الراغبين في الزواج في كثير من الاحيان ، وهو لا يخرج عن كونه تفاهماً ، واتفاقاً شخصياً . وهذا يحصل — عادة — في مواسم الزيارة — ولا سيما في عيد الجماعية الذي سيأتي ذكره — حيث تباح لهم المغازلات الغرامية ، ومختلف أنواع المجون ، على شرط أن لا تؤدي إلى مواقعة أو اختلاط بغير اليزيدي. وربما كانت هذه العبادة مقتبسة من الديانات الإباحية القديمة ، ولا سيما المجوسية منها .

والدور الثاني يبدأ بمكاشفة الولد والده ، والابنة امها ، بما اتفقا عليه ، دون أن يحق للوالدين أن يقفا ضد رغبتيهما ، بحيث ان الراغبين في الزواج إذا وجدا مقاومة منهما ، أو ممانعة من أحدهما ، يصحّ للفتى ان يخطف الفتاة ، فيهرب بها ، إلى احدى القرى فيتزوجها زواجاً شرعياً ، بحسب السنن والآداب اليزيدية « دون مهرولا صداق » [1] ، ثم يتدخل أحد العقلاء لإصلاح ذات البين ، وإرجاع العروسين إلى محلهما . أما إذا رضي الأبوان ، فتجري حينئذ المفاوضة لتعيين المهر [2] الذي يشترط فيه أن يكون قطعاً من النقود الفضية وبعض الماشية . والمهر أهم ركن من أركان

---

(١) « لانها كسب يده » كما في كتابهم المقدس (مصحف رش) .
ويقول الدملوجي في كتابه ص ٢٩٩ أن هذه العادة أبطلت في الأيام الاخيرة ، واصبح من الضروري ان « ترغم الفتاة التي يقع عليها التهريب زوجها على تأدية مهرها إلى ذويها . وإذا تباطأ ، تتركه وتعود إلى أهلها » .

(٢) كان المهر قديماً يساوي تسعة مثاقيل ونصف المثقال من الذهب الخالص ، أما الآن فقد ترك تحديده للاتفاق الذي يتم بين ذوي العلاقة . وهو يتراوح من مئة إلى مئة وخمسين ديناراً .

الزواج عند اليزيدية ، كما هو عند المسلمين كما سنرى [1] . وذلك ان والد الفتى يذهب إلى « شيخه » فيخبره برغبة ولده ، فيذهب « الشيخ » مع بعض وجوه القرية إلى والدي الفتاة ويخطبها منهما بحسب الأصول والسنن ، ثم تجري المفاوضة لتعيين مقدار الصداق . وعندئذ يسلم والد الفتى إلى والد الفتاة ثلث المبلغ الذي يتفق عليه ، مع قطعة من الحلي الذهبية ، فيكون قبول ذلك إيذاناً بالقبول ، ثم تذهب نسوة يحملن التمر ، والسكر ، فيرمينه في الطريق المؤدية إلى دار الفتاة المخطوبة ، وفي دارها ، ويسمى ذلك (الخِطبة) .

أما الدور الثالث فيبدأ بهذه الآداب : يؤتى برغيف خبز من دار أحد المشايخ فيعطى نصفه إلى الختن ، والنصف الآخر إلى العروس ، ويأكلانه كناموس لعقد الزواج ، فإن تعذر ذلك ، فيكتفي بسف قليل من (البراتا) « أي من تراب مرقد الشيخ عدي » وهو مذخر عادة عند رؤسائهم ، يتقاسمه العروسان أيضاً ، وبذلك ينتهي عقد الزواج . فإذا حان وقت الزفاف ، أحضر أقارب الخطيب مقادير كبيرة من العرق ، والنبيذ ، ثم يدعى عدد من الشبان والشابات إلى حفلة العرس ، فيبدأ الشبان بقرع الطبول ، والعزف بالزرنايي ، وتشرع الشابات بالرقص حلقات ، وتستمر الحال على هذا المنوال ثلاثة أيام ، فإذا كانت الليلة الأخيرة ، زفت الخطيبة إلى دار خطيبها ، راكبة حصاناً مزيناً بأبهى الحلل ، إذا كانت من قرية غير قريتها الجديدة ، وماشية وئيداً ، إذا كانت من قرية خطيبها ، يسترها برقع أحمر من قمة

---

(١) « وإذا خطف رجل امرأة رفيقه ، وذهب بها إلى مكان فيه يزيدية ، فيسترونهما ويحفظونهما عندهم ، لكن من الواجب على الرجل الذي يخطف المرأة ، أن يجازي أهلها بمبلغ من الدراهم ، أو يعطي امرأته الأولى للرجل الذي أخذت زوجته ، أو يعطيه اخته ، أو واحدة اخرى من عائلته ، ويفعل عين الشيء مع من يخطف ابنة غير متزوجة ، أو امرأة عجوز ا ﻫ » .

القس إسحق في كتابه الارامي (كتاب اليزيدية) ص ٢٧ —

حاشية اخرى

ان تهريب النساء والفتيات عند اليزيدية ، ولا سيما في جبل سنجار ، عادة مألوفة لا يرون فيها عاراً ومنقصة . وقد تدعو بيئتهم وحالتهم الاجتماعية اليها ولا يمكنهم اجتنابها . وكثيراً ما تسهل الامهات في سنجار اسباب تهريب فتياتهن لمن يقع عليه اختيارهن من الرجال ، وفي اليوم الثاني يتم الصلح بتوسط احد الشيوخ ، أو ذوي النفوذ والمكانة من الرؤساء .

— (الدملوجي في اليزيدية) ص ٢٨١ —

رأسها إلى أخمص قدميها ، ومشى وراءها المعارف بغنائهم ، والنساء بزغاريدهن ، والطبل والزرنايي [1] يشنفان الأسماع ، فاذا مرّت في طريقها بمسجد ، أو مقام لأحد المشايخ ، أو بيعة للنصارى ، وجب عليها زيارة ذلك المحل المقدس ، كما يجب عليها زيارة دار البير أو الفقير في القرية . فاذا دخلت دارها الجديدة ، ضربها خطيبها الذي يقف على عتبة الدار ، بشلالة صغيرة — أي بحجارة — إشعاراً لها بسلطته عليها ، كما في القرآن الكريم « الرجال قوّامون على النساء » [2] ثم يكسرون رغيف خبز على رأسها رمزاً إلى ما يجب أن تفعله من مؤاساة الفقراء [3] . ويقف أحد الأصدقاء على باب غرفة العرس وبيده بندقيته ، منتظراً خروج العريس بمنديل فضّ البكارة ، فإذا خرج به ، أطلق البندقية في الفضاء ، إيذاناً بفض البكارة ، ووجوب انصراف الناس ، وفي بعض الحالات النادرة اذا لم تبرهن العروس على انها عذراء ، تعاد إلى بيت أبيها وعليها حجاب اسود .

هذا من حيث الآداب والسنن ، أما من حيث الأحكام ، فلليزيدي أن ينكح ما طاب له من النساء مثنى ، وثلاث ، ورباع ، ولكن يحرم عليه أن يجمع بين اثنتين بغير رضى الأولى . وإذا رزق أولاداً من أولى نسائه ، لا يسمح له أن يتزوج « مع وجودها » من امرأة أخرى [4] كما يحرم عليه الزواج من زوجة اخيه، أو زوجة عمه بعد موتهما . كذلك يحرم عليه الزواج من اخت زوجته ، بعد طلاقها أو موتها. وتحرم عليه زوجته إذا قال لها « أنت شيخي » أو « انت پيري » .

---

(١) الزرنايي هي الصرناية ، وهي أشبه بالقرناطة ، من آلات الطرب ، وقد جاء في كتابهم (مصحف رش) عن سبب استعمالها في الزواج ما نصه :
« وبعد هذا وقع خصومة بين رجل وامرأته في ذلك الزمان ، الرجل يقول إنها امرأتي ، والمرأة تقول ليس هو زوجي ، فحكم بينهما واحد من امتنا الأبرار . وأمر بأن يكون بكل عرس طبل وزرنايي ، وذلك لأجل الشهادة على الزواج لكيما يسمعون الناس إن فلاناً أخذ فلانة ناموسياً ا هـ » .

(٢) سورة النساء الآية ٣٤ .

(٣) جاء في كتاب اليزيدية المقدس (مصحف رش) فيما يتعلق بهذه العادة ما نصه :
« وعند وصولها لبيت العريس ، يلزم ان يضربها العريس بحجر صغير حتى تكون تحت سلطانه ، وان يكسرون رغيف خبز على رأسها حتى تكون محبة للفقراء والمساكين » ا هـ .

(٤) قيصر صادر في المقتطف « ٨٨ — ١٩٣٦ ص ٣٦٧ » .

والزواج عندهم يكون من سن الثانية عشرة إلى الثمانين . إلا أن أمير الشيخان سعيد بك أصدر أمراً إلى شيوخ الملة – بحسب سلطته التشريعية – في ١٢ أيار من عام ١٩٢٩ مآله : أن البنت التي يعقد نكاحها يجب أن لا يقل عمرها عن خمس عشرة سنة ، تاركاً الحد الأعلى للعمر إلى ما جاء في الشريعة من قبل . كما انه شدد على أنه « يجب أن يحصل التراضي والقبول فيما بين الشاب والبنت أولاً ، ثم يعقد نكاحهما » ضارباً عرض الحائط التقاليد التي توجب على الفتاة ان تخضع لإرادة والدها في تزويجها ممن يشاء [١] .

« وفي شهر نيسان محرّم الزواج عندهم ، وذلك اكراماً لشهر نيسان ، لأنه أبو الورود ، ولأن الأنبياء في هذا الشهر قد تزوجوا . لذلك اكراماً وتبجيلاً لوقار الأنبياء ، يمنعون عن الزيجة في هذا الشهر » [٢] .

وكذلك يحرم الزواج والوطء على اليزيدية في أيام الاربعاءات ، والجمع ، « إلا على الكواچك فإنهم يتزوجون أي حين شاءوا » [٣] .

وتنقطع علاقة البنت عن أبيها عندما تتزوج ، فلا ترثه ، لأن الزواج في نظرهم بيع ، والبيع يقطع المبيع بصاحبه ، فإن رفضت البنت اليزيدية الزواج ، أو احبت

---

(١) هذا هو نص البلاغ الذي اصدره الأمير سعيد بك إلى جميع شيوخ الشيخ حسن في ملة اليزيدية المحترفين .

بناء على اللزوم الذي ترآى لنا بخصوص عقد النكاح الذي سيجري في المستقبل ، نرشدكم إلى النقاط الآتية :

١ – عندما يعقد النكاح ، يجب ان يكون بحضور شاهدين عن الوكيل للبنت التي يعقد النكاح عليها ، .

٢ – يجب ان يحصل التراضي والقبول فيما بين الشاب والبنت أولاً ، ثم يعقد نكاحهما .

٣ – إن البنت التي يعقد نكاحها يجب أن لا يقل عمرها عن خمسة عشر سنة .

٤ – من الآن فصاعداً نرجو الفات نظركم إلى ما عرضناه آنفاً . ولي وطيد الأمل بأنكم ستقومون به حرفياً . وعند عقد نكاح أي بنت كانت او شاب بدون رضاهما ، سوف تجري المعاملة القانونية بحق هؤلاء ، ويكونون عرضة للعقاب والسلام .

باعذرا ١٢ أيار ١٩٢٩ امير الشيخان – سعيد بك

(٢) اسماعيل چول في كتابه « اليزيدية قديماً وحديثاً » ص ٨١ بيروت ١٩٣٤ .

(٣) مجلة الضياء المهصرية : ١ – ١٨٩٩ ص ٧١١ .

أن تبقى عانساً ، وجب عليها أن تخدم أباها ، ما دامت في قيد الحياة . « وإذا مات زوجها ترجع إليه ويزوجها ثانية وثالثة ورابعة إلى أن تزول عنها خاصة الانتفاع ، وتدخل في مصاف العجائز »[1] دون أن ترث زوجها المتوفي . وللأولياء — كما للأبوين — ان يزوجوا المرأة اليزيدية ، إذا وجدوا مصلحة في هذا الزواج . « ولأنساب الأرملة حق في اجبارها على الزواج إلى المرة السادسة ، ولها ان تبتاع حريتها بأن تدفع لذويها مقدار المهر الذي يدفعه من يطلبها »[2] « لأنها شبيهة بالبستان التي تعطي بالعشر ويأكلون من ثمارها »[3] وإذا أعرضت المرأة المترملة عن الزواج ، واختارت البقاء ثيبةً حرصاً على أولادها ، فلوليها الحق ان يأخذ مهرها ثانية من أولادها ، فإذا لم يتآلف الزوجان ، فعلى ولي المرأة ان يعيد المهر الذي أخذه ، ويسترجع المرأة التي زوّجها . فإذا عسر على ولي المرأة اعادة المهر فوراً ، فيفترق الزوجان ، وينتظر الزوج ريثما تلقى زوجته لها زوجاً آخر ، وهناك يسترجع مهره . أما الفتيات اللواتي يتزوجن وليس لهن من يتولاهن فان مهروهن تعطى للامير .

ولليزيدية في الزواج طبقات يتميزون بها — كما كانت العادة عند الرومانيين القدماء — فلا يجوز لابناء الشيوخ منهم أن يتزوجوا غير بنات الشيوخ ، كما أنه لا يباح للعامة أن يخطبوا بنات الشيوخ ، بل لكل طبقة أن تتزاوج فيما بينها ، خلافاً لقاعدة « المؤمن كفؤ المؤمن » المتبعة عند المسلمين . على ان الشريعة اليزيدية غالت حتى في زواج أبناء الشيوخ من بنات الشيوخ ، فالمعروف عن أسرة الشيوخ انها تقسم إلى ثلاث فرق رئيسية ، وقد حرمت الشريعة الزواج بين فرقة واخرى « ما خلا الامراء فإنهم يتزوجون من تعجبهم من النساء من أي طبقة كانت »[4] ولكن الأمير الذي يقدم على هذا العمل « يخطىء بفعله هذا خطيئة عرضية »[5] فإذا طلّق

---

(١) صديق الدملوجي في كتابه « اليزيدية » ص ٢٨١ .

(٢) المقتطف ١٣ — ١٨٨٩ ص ٣٩٧ .

(٣) القس اسحاق ص ٢٨ .

(٤) هذا ما جاء في مجلة الضياء ١ — ٧١١ وفي مقالة لعبد الرحمن بدران في مجلة الجنان ج ٧ لسنة ١٨٧٦ ص ٥٢٩ ما نصه :

« ومن معتقداتهم أيضاً أن الرئيس المذكور إذا طلب إحدى النساء ، بكراً كانت أم ثيباً عزباء أو متزوجة ، تحل له بالحال وتحرم على غيره ولو كان بعلها من كبارهم » اهـ ولكن اليزيديين ينكرون وجود مثل هذه الحالة عندهم في الوقت الحاضر .

(٥) القس اسحاق في — كتاب اليزيدية — ص ٢٧ .

طلّق إحدى محارمه ، حرم عليها الزواج من غيره ، ووجب بقاؤها في داره حتّى تموت .

وتختلف عقوبة الزنا عند اليزيدية ، باختلاف ديانة الزاني ، فقد يغفر للفاسقة فسقها إذا فسقت مع يزيدي ، ويكون جزاؤها القتل إذا فسقت مع غير يزيدي . لأن اليزيدي لا يكتسب الصفة اليزيدية إذا لم يولد من أب وأم يزيديين ، ولهذا لا يسوغون زواج اليزيدية بالاجنبي ، ولا زواج اليزيدي من أجنبية لئلا يختلط الدم ، ويضيع النسب ، وهذا ما سبب تناقص عددهم تدريجياً حتّى ان الباحثين في تاريخ الأقوام والسلالات يرون ان قد لا تمر مدة طويلة حتّى ينقرض اليزيديون فلا يبقى لديانتهم إلا الذكر التاريخي . أما الزاني فإن كان غير يزيدي قتل — إن أمكن قتله — وإن كان يزيدياً عوقب بصرامة دون قتل . فإن كان الزنا مع ثيب ، وجب إرضاء المتولي عليها . وقد حرمت الديانة اليزيدية على تابعيها النظر إلى وجه المرأة غير اليزيدية بريب أو اشتهاء ، ولهذا عاشت المسلمة بينهم بأمان ، فضلاً عن انها نجسة في نظرهم لا يجوز لليزيدي أن يدنس نفسه بالتقرب اليها .

ولليزيدي أن يهجر زوجته مدة أقصاها أربعون يوماً ، فإن لم يتصالحا ، طلبت الزوجة الطلاق من زوجها فتطلق ، بعد أن تسقط حقها في كل مالها في بيت الزوجية من أثاث ومتاع ، وتتزوج غيره دون زعل ولا خصام ، ولا عدة للطلاق . وليس للرجل أن يسيء الظن بزوجته بل عليه أن يحمل ما يلاقيه منها من عمل غير اعتيادي على محمل حسن [(1)] كما ان للزوجة أن تتزوج من غير زوجها إذا تغيب بعلها عنها أكثر من سنة [(2)] وفي ص (١٠٣) من مخطوطة القس اسحق « يرهن الزندينانيون — وهم فرقة من عشيرة القيران في سنجار — وكذلك السموقيون نساءهم وفتياتهم في القمار ، ويبقين في يد المرتهن إلى أن يستوفي بدل الرهن ، وللمرتهن الحق في أن يزوج الفتاة التي بيده لمن يشاء ، ويستوفي حقه من مهرها ، وما زاد يعطيه إلى وليها ، وهذه العادة أكثر شيوعاً عند يزيدية طور عابدين » — هكذا بنصه — وقد نقله « الدملوجي » إلى كتابه ص (٢٩٩) دون اشارة للمصدر « ومما يجب ذكره : إذا ما غاضب يزيدي زوجته قال لها : أدعو عليك أن تلبسي ثياباً سوداء اللون ، وتسيري في

---

(١) و (٢) القس اسحق في ص (١٠٣) من مخطوطته والدملوجي في ص ٢٩٩ من كتابه « اليزيدية ».

شوارع الموصل . أما هي فقد تجيبه . أدعو عليك أن تصعد فوق المنارة وتؤذن في جامع المسلمين [1] .

وليس الطلاق بمحظور في مذهب هذا الفريق من الناس ، وهو يكون باعطاء المراد طلاقها ثلاث حجرات ، رمزاً إلى التطليق بالثلاث ، إذا كان المطلق شيخاً ، أما إذا كان من العامة ، فيكفي منه الطلاق واحداً ، ويجوز له أن يسترجعها بلا عدة ولا فتاوى من رجال الدين لثلاث مرات ، إذا كان من العامة ، أما إذا كان من الخاصة فانه يستنكف ان يسترجع زوجته ، ولا سيما إذا كانت نكحت غيره . وعلى كل يجب أن يحضر الطلاق الشيخ و « الكريف » وأخ الآخرة .

هذه هي أحكام الزواج والطلاق عند اليزيدية . وإذا كان سعيد بك ابن علي بك ابن حسين بك ، أمير اليزيدية المتوفي في تموز من عام ١٩٤٤ قد تزوج عشر زوجات « آخرها الآنسة ونسه بنت اسماعيل بك چول ، التي هربت منه واسلمت » فلأنه « مصون وغير مسؤول » وإذا كان بعض اليزيدية قد جمع بين أكثر من زوجة واحدة في آن واحد ، مع ان أولى زوجاته أنجبت له الذكور والإناث فلأن مقتضيات الأحوال أوجبت الخروج على هذه الأحكام ، وعدم التقيد بهذه التقاليد ، ولله في خلقه شؤون .

ومدة النفاس عند اليزيدية أربعون يوماً ، فلا يجوز لزوجها ان يطأها في بحر هذه المدة ، كما لا يجوز له أن يطأها في حالة حيضها ولا بعدها ، إلا إذا اغتسلت ، فإن الاغتسال من الحيض والنفاس واجب ديني .

٢ ـ « الطواف بالسناجق »

يعتقد اليزيديون ان كل ملك من الملائكة السبعة الذين اشتركوا في تكوين هذا العالم ، عمل له سنجقاً خاصاً [2] وان سناجقهم هذه أودعت سليمان الحكيم ، فلما

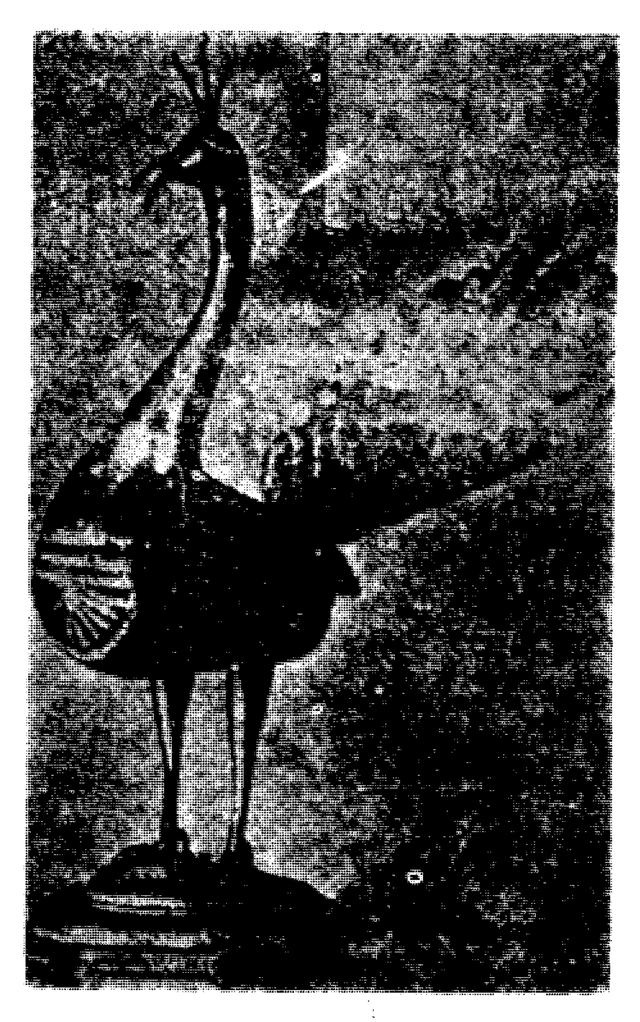
---

(١) رواه الاستاذ سعيد ديوه چي في ص ٤٥ من كتابه « اليزيدية » والذي نستنتجه من هذا القول هو أن الزوج يدعو على زوجته بالترمّل حيث تلبس الحداد عليه . وهي تدعو عليه أن يصعد المآذن الاسلامية ليسبّ معبوده بالبسملة .

(٢) السنجق كلمة تركية معناها الراية ، أو العَلَم ويطلقها اليزيديون على تمثال من الشبه بصورة طاووس . يسمونه « طاووس ملك » ويرمزون به إلى معبودهم . وقد يريدون بها المكان الذي يطوفون به بذلك التمثال .

حضرت الوفاة سليمان ، سلمها إلى واحد من ملوك اليزيدية ، فصارت تنتقل فيما بين ملوكهم . ولما ولد (بربرايا) أو يزيد البربري ، تسلم هذه السناجق ، ونظم لها نشيدين ينشدونهما أمامها باللسان الكردي ، مع قرع الطبول والصنوج والعزف بالشبابات .

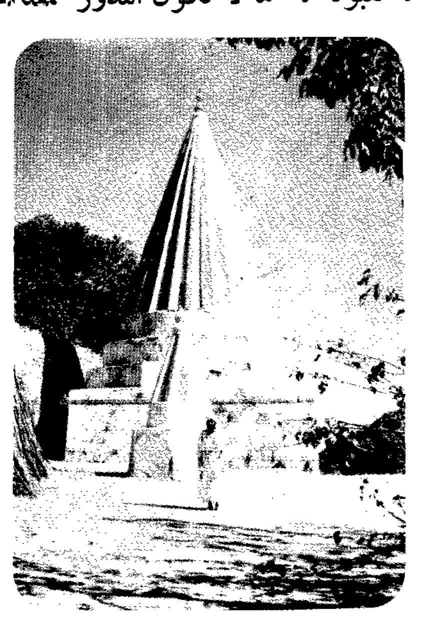
وكان عدد هذه السناجق سبعة « أي بعدد آلهتهم » فلم يبق منها اليوم غير سنجق واحد . فان حكومة الاستانة كانت في سنة ١٣٠٩ هـ أوفدت الفريق عمر وهبي



صورة السنجق ويسمونه « طاووس ملك » كما توهمها الكتاب الاجانب
وقد نشرنا صورته الحقيقية فيما تقدم
راجع الصفحة (٤٢)

باشا لإصلاح العراق ، فشاعت سياسته أن ينكل باليزيديين ، ويصادر ستة من سناجقهم ، بصفة كونهم مسلمين ضالين ، فاضطروا أن يصطنعوا بدلاً منها . ويرى السيد صديق الدملوجي في ص ١٤ من كتابه (اليزيدية) ان الفريق المشار اليه كان قد استولى على أربعة طواويس فقط وأرسلها إلى بغداد ، حيث حفظت في خزانة الجيش السادس عام ١٨٩٢ م ، ثم أعيدت اليهم أثر اعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨ م .

وتحفظ هذه السناجق عادة في (خزينة الرحمن) ويسمونها (خانيء طاووس) في بيت الإمارة في (قرية باعذرى) من قرى قضاء الشيخان ، بمحافظة نينوى (الموصل) إذ لا يجوز أن تكون في غير حيازة الأمير . فإن سلبت منه قسراً ، فلا تكون الزيارة لها مقبولة ، كما لا تكون النذور المقدمة اليها صحيحة [١] .



« مرقد الشيخ شمس »
في وادي ليلش بالقرب من مزار الشيخ عدي



هكبة « الحقيبة » التي ينقل بها
الطاووس من قرية إلى أخرى

(١) وفي « خزينة الرحمن » حفظت « عصاة موسى » و « حية اسرائيل » و « مشط لحية الجنيد البغدادي » و « كأس سليمان » وغيرها . وهم لا يسمحون لأحد مشاهدتها خشية أن يدنو أجله — كذا — وقد أوكلوا أمر العناية بها إلى « داية عيشاني » جدة الأمير تحسين بك فلما توفيت عهد بذلك إلى ابنتها .

وتعطى هذه السناجق بالالتزام إلى القوالين [1] الذين يطوفون بها ثلاث مرات في كل سنة « في نيسان وأيلول وتشرين الأول » فيقصدون القرى اليزيدية ، أنّى كانت ، لجمع الصدقات . وكيفية ذلك انهم « يرسلون الواحد إلى الكليتين [2] ، والثاني إلى حلب ، والثالث إلى بلاد المسقوف [3] والرابع إلى جبل سنجار ... أولاً يمضون بهم إلى الشيخ عادي — كذا — هناك يعمدوهم بترتيل ورقص عظيم ، ويأخذ كل واحد من هؤلاء المضمنين حملاً من تراب الشيخ عادي — كذا — ويعملوه بنادق بقدر العفص ، ويحملوه معهم مع السناجق ، حتّى يعطوه للبركة ، ولما يقترب صاحب السنجق لمدينة أو لقرية ، يرسل قدامه منادي حتّى يستعدوا لقبوله بالإكرام والتبجيل ، فيخرجون جميعهم للقائه بثياب العز الفاخرة ، مع بخور وعطور ، والنساء بالتهليل ، ويزمرون آية الفرح ، وعند دخوله تكون مزايدة العشر في البيت الذي يحل فيه . أما بقية أهل البلد أو القرية فيقدمون له هداية فضة ، كل واحد على قدر لياقته » [4] ، وذلك إن الرجل الذي يرسب البدل عليه ، يدعو السنجق إلى داره فينصبه في أبرز موضع ، متكئاً على مساند خاصة « كما في الصورة السابقة ص ٤٢ » ويسرج حوله الشموع ، ويجلس القوالون عن يمينه وعن شماله ، ومعهم الپيرة « أو الپيورة ، وهي مفرد پير » والشيوخ فيرتلون الأناشيد الدينية الخاصة ، ويباركون للزائرين الحفاة بحسب درجاتهم ، ولا ينقطع قرع الطبول والعزف بالشبابات خلال هذه الفترة .

اما الناس فيتدفقون من جوانب القرية التي حل الطاووس فيها ، وهم حفاة ، إذ يحرم عليهم لبس شيء في أرجلهم يوم مجيء الطاووس ، فيطوفون حوله سبع دورات — أي بعدد آلهتهم السبعة — وذلك بخشوع واحترام وإجلال ، واضعين ايديهم فوق صدورهم ، ومقدمين الهدايا والنذور ، كل حسب طاقته . وكثيراً ما يتشدد القوالون في طلب المزيد من النذور ، ويحجبون « البراتا » عن الزائرين حتّى

---

(١) جمع (قوال) — كشداد — أي كثير القول . ويتراوح بدل الالتزام من ٢٠٠٠ إلى ٣٥٠٠ دينار . فاذا امحلت السنة ، اعطي بالامانة . وعندها يذهب وكيل عن الأمير مع القوالين لجباية الصدقات .

(٢) لعله أراد خلاط ، قصبة ارمنية الوسطى ، ليستقيم المعنى .

(٣) أي بلاد روسية السوڤياتية .

(٤) هذا نص ما جاء في كتابهم المقدس « مصحف رش » .

يقدموا ما يرضيهم من النذور » وعندئذ يسمح لهم بشرب الماء من اناء الطاووس ويسمونها « طاسة السنجق » وتناول الطعام على مائدة صاحب الدار [1] حتى إذا تمت الزيارة ، فصلوا السنجق قطعاً ، ووضعوه في كيس يسمونه هكبة « بالكاف الفارسية » وهي محرّفة من حقيبة كما يظهر ، وانتقلوا إلى قرية أخرى ، وهكذا دواليك .

أما بقية السناجق « أي الثلاثة المتباقية » فبعد إخراج الأربعة على الصورة المذكورة ، يحفظ اثنان في مقام الشيخ عدي ، ويبقى الثالث في « قرية بحزاني » ليطاف به في « قرى الشيخان » . ولا بد من غسل هذه السناجق بماء السماق في ليلة اخراجها لرفع الصدأ عنها ، ثم مسحها بزيت الزيتون لتلميعها .

٣ ـ (المحرمات)

١ ـ يحرم على اليزيدية أكل الخس ، واللهانة (الملفوف) والقرنابيط ، وبعض الخضروات التي تسمّد بعذرة الانسان ، ولا سيما الخس « فإنه عندهم من أخس ما خلقه الله على وجه الأرض . ومجرد رؤيته حرام ، حتى إذا أرادوا ان يعنوه قالوا ذلك الوحش » [2] وإذا أراد أحدهم ان يهين يزيدياً قال له « خسّ الموصل في فمك » .

ويحرم عليهم من اللحوم ، لحم الخنزير ، ولحم السمك على اختلاف انواعه ، وكذا لحم الغزال . كما يحرم على الشيخ وتلامذته أكل لحم الديك ، احتراماً لإلههم طاووس ملك . وقد جاء في كتابهم المقدس « مصحف رش » ما نصه :
(ثم حرام علينا أكل الخس ، لانه على اسم نبيتنا الخاسية ، والسمك علينا حرام ، احتراماً ليونان النبي ، والغزال ، لأنه غنم أحد انبيائنا ، والشيخ وتلامذته حرام عليهم أكل الديك ، لطاووس إلهنا ، والقرع ايضاً ما يأكلوه هؤلاء المذكورين) إ هـ .

٢ ـ يحرم على اليزيدي حلق شاربيه أو استئصالهما بالمقص ، غير أنه يستحب تخفيفهما . أما اللحية فيجوز فيها كل ذلك ، بل يستحب ، والعادة اليوم عند اليزيدية

---

(١) تفرض الشريعة اليزيدية على كل مؤمن بها ، ان يزور « الطاووس ملك » ولو مرة واحدة في السنة . ومن تخلف عن ذلك كان كافراً ، وحلت عليه وعلى آله وذويه لعنة الطاووس .

(٢) الأب انستاس ماري الكرملي في مجلة المشرق «٢» ١٨٩٩ ص ٥٥١ .

ان تحلق العامة لحاها ولا تقص شواربها . أما القوالون ، والفقراء ، والپيرة ، والشيوخ ، فلا يجوز لهم ذلك ، شأنهم في هذا الأمر شأن رجال الدين في بقية المذاهب والشيع ، وقد جاء في « مصحف رش » .

« وايضاً من قوانيننا ان القوالين لا يعبّروا موس على وجوههم » اه .

٣ — يحرم على اليزيدي ان يتعلم القراءة والكتابة مطلقاً ، إلا أنهم يجيزون ذلك لعائلة واحدة من سلالة الشيخ حسن البصري [١] ، احدى سلالتهم . ويعلل المطلعون والباحثون السر في هذا التحريم ، بخشية الرؤساء اطلاع ابناء المذهب على الحقائق الدينية عند الطوائف الأخرى ، الأمر الذي يؤدي حتماً إلى وقوع خلاف مذهبي فيما بينهم ، قد ينتهي إلى نبذ عقيدتهم الدينية او ابدالها بغيرها ، ولما كان اسناد فعل المنكر إلى أحد رجال الدين ، والبحث عن أسرار الديانة اليزيدية ، وعللها ، من المحرومات عندهم ، فقد تقبلوا نواهي رؤساء بعدم جواز التعلّم على مضض .

على ان الشيوخ بدأوا يسمحون لأبناء الطائفة بالدخول في المدارس الحكومية ، وارتشاف مناهل العلم العذبة ولكن على مضضٍ ، مجاراة للظرف والزمان ، وكأمر لا بد منه في هذه الأيام . وقد تخرج بعضهم في بعض المدارس الراقية . كدار المعلمين العالية ، والمعاهد والكليات حتى الجامعات كثّر الله عدد المتعلمين منهم .

٤ — يحرم على اليزيدي أن يتغيب عن بلده أكثر من سنة ، فإذا اضطر إلى ذلك غير باغ حرمت عليه زوجته ، كما حرم عليه الاقتران من امرأة اخرى ، وإن تسامحوا في ذلك مؤخراً .

٥ — يعتقد اليزيديون ان الحمّام ، والمرحاض من ملاجيء الشيطان ، في نظر المسلمين ، فلا يدخل اليزيدي مرحاضاً ، ولا يغتسل في حمام [٢] وان تسامحوا في ذلك

---

(١) « ويزعمون ان الشيخ حسن البصري كان كاتباً عند الشيخ عدي ، وقد حرّم الشيخ عدي القراءة على هذه الطائفة وحصرها في اسرته ... وهذا الاعتقاد وان كان يبدو غريباً لكن له صلة بالحقيقة اذ نعلم ان الشيخ حسناً واضع هذه الديانة كان قد حرّم التعلّم على هذه الطائفة وحصرها في آل بيته » ا ه . الدملوجي ص ٣٨ .

(٢) أدخلت الحكومة العراقية تعديلاً على قانون انتخاب النواب أوجب حصر النيابات في المناطق بأهلها فكان مطّو أغا خلف أحد شيوخ سنجار نائباً في الدورة الانتخابية الحادية عشرة لسنة ١٩٤٧ وقد زرناه في الفندق الذي حلّ فيه في بغداد ولما سألنا صاحب الفندق عن كيفية قضاء هذا النائب اليزيدي حاجته ، أطلعنا على آنية وضعها في خزانة غرفته لهذا الغرض .

بعض التسامح في الآونة الأخيرة . كما يحرم عليه ارتياد مجالس الانس والطرب ، تذليلاً للنفس ، وانكاراً للذات .

٦ – يحرم على اليزيدي النظر إلى وجه المرأة غير اليزيدية ، ومداعبة المرأة التي حرمتها الشريعة عليه من جنسه (١) .

٧ – يرى اليزيديون أن الملائكة تتصل فيما بينها في شهر نيسان ، لهذا فإنهم يحرمون الزواج وتعمير البيوت في الشهر المذكور ، ويقولون أن كثيراً « من الذين تزوجوا بهذا الشهر ماتوا ، وهكذا الذين عمروا بيوتاً بهذا الشهر وما نجحوا » (٢) .

٨ – لا يجوز لليزيدي أن يدخل مساجد المسلمين ، ولا مدارسهم الدينية التي يذكر فيها اسم الله ، ولا أن يرى المسلم يؤدي صلاته لا في هذه المساجد ، ولا في غيرها من مواضع العبادة ، لأنه إذا سمع المصلي يتعوذ من الشيطان ، وجب عليه أن يقتله فوراً أو ينتحر . فان لم ير سبيلاً إلى ذلك صام أسبوعاً ، وقدم ضحية للطاووس . وقد جاء في (مصحف رش) .

« ولا يجوز لأحد منا أن يلفظ اسمه – اسم الشيطان أي طاووس ملك – أو يشابه اسمه كالشيطان ، وقيطان ، وشر ، وشط ، وما يشابه ذلك . ولا لفظة ملعون ، أو لعنة ، أو نعل ، وما يشابه ذلك جميعاً ، حرام علينا أولاً ثم احتراماً له » ا هـ .

٩ – لا يجوز لليزيدي أن يبصق على الأرض ، ولا على وجه انسان أو حيوان ، لما في ذلك من رمز الإهانة لطاووس ملك « الشيطان » ولا أن يستخدم الفرس والحصان في حمل الأثقال ، ولا أن يلقح فرسه من حمار ، أو يقتني فرساً لقحت من حمار . ولا أن يلبس لباساً أزرق اللون (٣) ولا أن يقلّم أظافره ، ولا أن يغتسل من جنابة ،

---

(١) صديق الدملوجي في كتابه « اليزيدية » ص ٢٩١ وقد نقلها ونقل الكثير أمثالها من مخطوطة للقس اسحق لدينا نسخة منها دون ان يشير إلى المصدر .

(٢) اسماعيل چول ، في كتابه « اليزيدية قديماً وحديثاً » ص ٨٧ .

(٣) ذكر الزمخشري في (كتاب الكشاف ٢ – ٣١) « ان الزرقة أبغض شيء من ألوان العيون إلى العرب ، لأن الروم اعداؤهم وهم زرق العيون . ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد ، أصهب السبال ، ازرق العين » ا هـ .

ولا تزال القبائل الكردية في الشمال تكره الأزرق من اللباس ، ولا سيما اذا كان مصبوغاً ، اي لم يكن اصله نيلياً ، أما اليزيديون والصابئون فقد حرموا الأزرق لأسباب لا تزال مجهولة لدينا فهل من مرشد عليم ؟ .

ولا أن يستنجي بعد قضاء الحاجة ، ولا أن يحلق عند غير اليزيدي ، ولا أن يستعمل الموسى الذي حلق به غير يزيدي ، ولا أن يقتل ، أو يزني ، أو يكذب ، ولا أن يبيع ملكه لغير يزيدي ... الخ .

١٠ ــ لا يجوز لليزيدي أن يبول وهو واقف ، ولا أن يلبس سرواله وهو جالس ، ولا أن يدخل نبع ماء حار ، ولا أن يخرج شيئاً من داره لمدة اسبوع إذا ولد له مولود جديد ، ولا أن يسند فعل منكر إلى أحد رجال الدين ... الخ .

١١ ــ يأثم اليزيدي إذا مدّ رجله أمام جليسه ، وإنما عليه أن يجلس متربعاً على الأرض .

١٢ ــ ويحرم على الفقراء والكواچك النوم على السرير ، كما يحرم على الرضيع أن يرضع عند غير اليزيدية . ويحرم على الأفراد ارتياد محلات الانس ، والطرب ، أو الجلوس على الفراش الوثير ، ويستثنى الأمير من ذلك كله .

عادات أخرى

١ ــ من عادات اليزيدية انهم يقدسون بعض الأشجار فيحيطونها بالسياج ، ويطلونها بالخضاب ، ويشدون بها الخرق ونحوها . ومنهم من يأخذ ورقها ابتغاء الابلال من علة فيه . وعدد هذه الأشجار ليس بضئيل ، ومنها : « شجر الست نفيسة » في قرية « بعشيقا » وشجرة توت بالقرب من نبع ماء في قرية (بحزاني) يقال لها « شجرة الشيخ مند » وشجرة بلوط كبيرة تقع في الطريق المؤدية إلى مرقد الشيخ عدي ، بينه وبين قرية عين سفني ، يقال لها « شجرة الكواچك » وشجرة في أعلى جبل هكان ، وأخرى بالقرب من قرية (ميركي) أمـــام جبل مقلوب ، واخرى في قرية (بريستك) بين القريتين (عين سفني) و (باعذرا) [١] .

---

(١) الذي يكون له سخونة ، حالا يتضرّع إلى الست نفيسة ، وهي شجرة في قرية بعشيقا ، أو يطلب من شجرة « عبدي رشو » وهي شجرة التوت في قرية كبركي ، وهي قرية واقعة جنوب دهوك ، على بعد ثلاثة أميال تقريباً . وكذلك الذي يكون أصفر اللون يقصد « كاني زركي » وهي كلمة كردية ، معناها العين الصفراء ، والذي به ورم ، يذهب إلى بيت الپير في قرية « مام رشا » وهكذا فان جميع الأمراض لها وسائط لإشفائها إ هـ .

القس إسحق ص ٣٩

٢ ـ ومن سننهم أنهم يختنون أطفالهم كالمسلمين [1] ويغسلونهم من دنس الولادة ، غسلاً يسميه النصارى المجاورون لهم (تعميداً) وذلك بأن يغطس الشيخ الطفل ثلاث مرات في عين ماء تقع بالقرب من مرقد الشيخ عدي يقال لها (العين البيضاء) [2] ويكون هذا الغسل عندما يبلغ الطفل اسبوعاً من عمره ، فان تعذر ذلك ، أجلوه إلى الفرصة المؤاتية ، ولا صحة لما يقال عن تحديد هذه الفرصة ، فقد تكون سنة ، أو سنتان ، أو أربع سنوات ... الخ . ويقول الذين شهدوا أو حضروا تعميد أطفال اليزيدية ان الشيخ الذي يتولى غطس الطفل في « العين البيضاء » يقول له بعد الفراغ من الغطس « لقد صرت خروفاً ليزيد فعسى أن تكون شهيداً لطريقته » .

٣ ـ ومن عاداتهم انهم لا يشربون بالكوز ، ولا بكل آنية لها رقبة ، ولا يأكلون فضلة غريب ، ولا سيما إذا كان من غير ديانتهم . وعلّة ذلك عندهم « ان منصور الحلاج لما قتله الخليفة المقتدر بالله وألقى رأسه بالماء ، طافت الروح على وجه الماء المذكور ، وان الخليفة كان قد أعطى أخت منصور الحلاج حريتها ، وأنها أخذت جرّتها وذهبت إلى الماء وملأتها وشربت ، فدخلت روح أخيها المذكور في بطنها ، وهي لم تدر عاقبة أمرها ، إلى أن ظهر حبلها وولدت ووضعت أبناً يشبه أخيها ـ كذا ـ كما كان ، وصار الشيخ المذكور ابنها من النسب ودائر لها من الحسب [3] .

٤ ـ وفي سنجار عادة عند اليزيدية ، غير معروفة لدى يزيدية الشيخان . ذلك ان السكان اليزيديين يرمون قطعاً من النقود الفضية الدارجة في شق بجبل سنجار ،

---

(١) يكون الختان بين السنة الثالثة والسنة الرابعة من عمر الوليد . ويتحتم على وليه ان يشتري الألبسة الجديدة ، والأحذية الفاخرة ، ليوزعها على معارفه وأصدقائه ، ليشهدوا حفلة الختان . وقد يصحب زواج أحد أفراد العائلة ختان أولاد تلك العائلة . أما التعميد فهو يشمل الذكور والاناث على حد سواء ، حيث يؤخذ الوليد إلى مرقد الشيخ عدي ، ومعه امه وابوه وشيخه ، فيتسلمه البير ويغطسه ثلاث مرات ، ثم يلبسه بدلة من حساب الشيخ عدي . أما الذين يولدون في سنجار والمحلات النائية الاخرى ، فيزورهم القوالون بين حين وآخر ، ويقدسوهم بالماء ، الذي يحملونه بالقرب من منبعه الأصلي بالشيخ عدي .

(٢) وهي شعبتان احداهما للذكور ، والأخرى للاناث . وقد زرناهما مراراً عديدة آخرها في العاشر من شهر تشرين الأول سنة ١٩٥٥ وكان اليزيديون يطهرون فيهما الأشياء التي مستها ايدي المسلمين وغيرهم ، اعتقاداً منهم ان كل شيء يلمسه غير اليزيدي يتنجس فلا بد من تطهيره في « العين البيضاء » وتسمى بالكردية « كاني آسي » .

(٣) كتاب اليزيدية قديماً وحديثاً ص ٨٩ .

بين قريتي يوسنان والبكدان ، ينتهي إلى هاوية لا يعرف مداها ، ولا منتهاها ، فلا يجرأ سارق على الوصول اليها لأنه يقتل فوراً ويهدر دمه . وهم يعتقدون بأن مهديهم المنتظر – وهو شرف الدين – سيظهر قريباً ويلتقط ما ادخره أصحابه له من نقود ، فيستعين بها على تطهير الأرض من الرجس والفساد . أما الشق المذكور فلا يعرف موضعه غير أسرة « البابير » وهي تتسلم النقود وترميها ، ويسمى الشق « خزاناء شرف الدين » .

٥ – إذا ولد لأحدهم مولود فلا يجوز له إخراج شيء من بيته ، ولا مباشرة أي عمل من أعماله مدة سبعة أيام .

٦ – ومن عوائدهم الحلف . وهم يحلفون بالله وبطاووس ملك ، وبالشيخ عدي ، وبالشيخ عبد القادر [١] وبالخرقة السوداء ، وبلابسيها ، وبرؤوس أصحابها .

وهم لا يحنثون بيمينهم « وإذا أراد الواحد أن يتأكد أمراً من صاحبه بغير طريقة اليمين ، يرسم حوله دائرة . ويقول له ها أنت في خيس يزيد – أي في دائرته وطريقته وسنته – فان كنت صادقاً فيما تقوله وتدعيه ، قل – أخرج من خيس يزيد على أن ما أقوله هو عين الحقيقة – فإذا كرر المسجون في الدائرة هذا الكلام تحقق صاحبه انه لا يكذب ، وألا يفوه ببنت شفة ، وحينئذ يتحقق هذا الأول كذب هذا الثاني . وليس من الممكن عندهم ان واحداً من اليزيدية يكذب بهذه الطريقة » [٢] .

٧ – ومن أنبل عادات اليزيدية ، تقديسهم (الكرافة) وهي أن يتخذ اليزيدي من معروفه أو من صديقه ، كريفاً (أي قريباً) وذلك بأن يضع طفله في حجره ، أثناء ختانه ، فان سقطت قطرة دم من الطفل المراد ختنه على ثوب ماسكه ، أصبح (كريفاً) ومؤاخياً ، فلا يناله ضيم ، ولا يخشى غدر أحد ، لأن الكريف يكون بمثابة الفدائي له ولأفراد عائلته . ويجوز أن يكون (الكريف) يزيدياً أو مسلماً ، لا فرق بين الاثنين ، ولكن لا يكون مسيحياً أو يهودياً ولا من أية ملة اخرى . وإذا

---

(١) يذكر اليزيديون الشيخ عبد القادر الكيلاني في عباداتهم كثيراً ، ويجلونه كثيراً ، إذ يعدونه من خيرة أصحاب الشيخ عدي .

(٢) المشرق ٢ – ١٨٩٩ ص ٧٢٣ .

كانت الكرافة بين يزيديين فقد يدخل الواحد في محرمات الآخر مثل أخ الرضاعة إلى خمسة أجيال ، وربما إلى أكثر من ذلك [1] .

٥ ـ « الموت والجناز »

لليزيدي أن يستشفي حيث يشاء ، وله أن يتناول من العلاج ما يشير به الأطباء ، ويحل له أن يأكل ما يتطلبه مرضه من طعام حتى وإن كان محرماً .

ولليزيدية وضع خاص في احتفالات الجنائز ، ولهم عقيدة خاصة بتناسخ الأرواح .

وتبدأ مراسم الجنازة بالموت ، فاذا احتضر يزيدي ، حضره شيخه واخوه واخته الأبديان [2] فأذاب الشيخ شيئاً من تراب مرقد الشيخ عدي ، المجبول بماء عين زمزم ، وهو (البراتا) في قليل من الماء ، وشرع في صب قطرات من هذا الماء في فم المحتضر ، ورش قطرات أخرى على وجهه ، على نحو ما يفعله المسلمون في حالة احتضار موتاهم ، فان لم يجدوا شيخه ، أحضروا أحد أفراد عائلته للقيام بهذا الواجب الديني ، فاذا مات المحتضر ، سكب الشيخ أو نائبه ، الماء على جسده ، وغسله غسلاً دينياً ، ووضع قليلاً من « البراتا » في كفيه وفي عينيه ، ثم ذرّ على مقاديمه شيئاً من التراب المذكور ، كما يذرّ المسلمون الكافور على مقاديم موتاهم ، ثم ربط رأسه بمنديل ابيض ، ثم حشي منافذ جسمه بالقطن ، وألبسه افخر ثيابه البيض ، على نحو ما يفعله النصارى في حالة موت أحدهم ، ثم كفنه بنسيج بلدي ، واخاط الكفن عليه ، وشده عند قمة رأسه ، والمعارف والأرحام محيطون به ، إحاطة السوار

---

(١) جاء في كتاب تاريخ اديان للكاتب التركي ، أحمد مدحت أفندي ، ان المغول يقدسون الدم ، ويعدونه اكبر أداة لعقد العهود والمواثيق بينهم ، وذلك بأن يشرب الواحد من دم الآخر بضع قطرات ، يستخرجها من جسده . وأكبر يمين لديهم أن يذبحوا قرباناً ويشربون من دمه . واخوة الدم معروفة عند جميع الأقوام المتشعبة من المغول ، ويطلقون عليها بالتركية « قان قارداشغلي » . ـ ذكره صديق الدملوجي في كتابه اليزيدية ص ٦٤ ـ

(٢) حتمت التقاليد اليزيدية على كل يزيدي أن يتخذ له أخاً وأختاً من رجال الدين يكل امره اليهما ، ويرجو بهما الشفاعة يوم الآخرة ـ كما قدمنا ـ وتتولى « اخت الآخرة » فتح جيب ثوب اليزيدي عند خياطته وتجعله مستديراً ويسمونه « طوق يزيد » أي ان محبة يزيد تكون طوقاً في عنقه .

بالمعصم ، أو الهالة بالقمر ، وهم ما بين نادب وباك ، ومولول ، فإن اكتفوا من ذلك ، رفعوه على عودين معمدين في ماء زمزم ، وساروا به إلى مثواه الأخير ، يتقدمه قوالان ، يضرب أحدهما على دفه بنغمات الحزن ، ويشاركه الآخر بشبابته [١] بالنغمات ذاتها ، والمشيعون خلفه ما بين لاطم ومدمدم ، والنساء يولولن ويصحن « هاو . هاو . هاو . » فاذا كان الفقيد شيخاً كبيراً ، أو شاباً عزيزاً ، أطلقوا النار في الفضاء ، إكباراً لموته ، وحرقوا البخور عند حمله توديعاً له ، وتعطيراً لروحه . فإن كانت المتوفاة عروساً أو في سن الزواج ، ألبسوها أفخر لباسها ، ووضعوا عليها بعض حليّها . فاذا وصلوا الجبانة استقبل النعش خادمها الذي حفر له قبره فيها ، ثم جاء القوالان وشرعا في تلاوة التلقينة ويسمونها « الطرقينة » وهي : ان الانسان لا بد أن يموت عاجلاً أو آجلاً . ولكن طوبى لمن أرضى الله والناس ، ودخل القبر بوجه أبيض . ثم يتقدم الشيخ فيحل عقدة الكفن ، ويأمر بإنزال الميت إلى قبره ، فيلقيه على ظهره متجهاً نحو المشرق ، حيث يوارى التراب . ويعطى الكواچك الذين يحضرون الدفن نقوداً للترحّم على روحه ، وبيان مصيره ، وينصرف المشيعون مقدمين التعازي بقولهم (دايم الله) [٢] وعلى كل لا يجوز نقل الميت من داره في غسق الليل ، اي لا بعد غروب الشمس ولا قبل شروقها .

وتقع قبور اليزيدية بالقرب من مزاراتهم ، وهيآت هذه القبور لا تختلف عن تلك التي لدى المسلمين ، إلا أن اليزيديين يلتزمون بتجصيصها ، ووضع بعر الغنم عليها ، اتقاء لها من الحيوانات . وهم يسرجون شعلا من النار عندها ليلا ، ظاهرها « ابتهاجاً بذلك القادم » [٣] وحقيقتها ارهاب الكواسر من نبشها . وإذا كان المتوفي شخصية معروفة ، وضعوا له فراشاً في القبر .

---

(١) الشبابة آلة للعزف الديني كالصافرة أو كالـ « فيفرة » . العربية ولعل أحسن كلمة نطلقها عليها « الناي » .

ويقدس اليزيديون « الشبابة » لأن جبرائيل — على زعمهم — نفخ بها في اذن صورة آدم ، فصارت الصورة انساناً ناطقاً . والعادة عندهم اليوم إذا أصيب أحدهم بصمم ، أو ألم برأسه ألم ، جاءه القوال بشبابته ونفخ بها في أذنه فيبرأ في الحال كما يزعمون .

(٢) والعادة عند اليزيدية في سنجار ان يقصوا ذوائب المتوفى . رجلاً كان أو امرأة ، ويعلقونها على قبره إلى ان تبلى .

صديق الدملوجي في كتابه « اليزيدية » ص ٧١

(٣) علي الشرقي في مجلة العرفان الصيداوية « ١١ — ١٩٢٥ ص ٨١٩ » .

ولا تنقطع مراسم الجنازة عند دفن الميت ، فان أيام المناحة تستمر ثلاثة أيام متتاليات ، فتذهب النساء مرتين في اليوم إلى قبر الفقيد ، يتقدمهن الدف والشبّابة ، ومعهن الطعام للحاضرين . فاذا وصلن الجبانة ، أخذن باللطم والبكاء ، ثم عدن إلى ديارهن ، وهن في أشد الحالات من الحزن والجزع ، وقد يأتين في المرة الأخيرة من أيام النياحة ، وهذه عادة تصادف وقت الغروب ، بطعام يضعنه على قبر الفقيد اعتقاداً منهن ان الميت يحتاج إلى الأكل ، ولكن الحيوانات تأتيه ليلاً فتأكله .

وفي كل يوم من الأيام الأربعة ، التي تلي الأيام الثلاثة المذكورة ، يذهب أهل الفقيد إلى قبره ، دون دف ولا شبابة ، إلا أن القوالين يلحقون بهم لإنشاد اناشيدهم الدينية بغية الحصول على دريهمات منهم ، وفي اليوم الأربعين يذهب الرجال والنساء للمرة الأخيرة ، وبذلك تنتهي المراسم .

وقد قرأنا للأب انستاس ماري الكرملي [1] وللاستاذ المحامي عباس العزاوي [2] وللسيد صديق الدملوجي [3] ان اليزيديين ينحتون لمن كان من خاصتهم أو كبارهم خشبة يلبسونها أفخر ثيابه ، التي كان يلبسها في حياته ، ثم يطوفون حولها بالدفوف والشبابات ، ولم نشاهد في طقوسهم شيئاً من ذلك . وقد حضرنا والاستاذ كوركيس عواد حفلة دفن « حمه قاسكي » رئيس قبيلة الهبابات ، وأحد رؤساء يزيدية سنجار البارزين ، الذي قتل في سنجار ليلة الخامس عشر من نيسان سنة ١٩٤٧ م ، فلم نر أثراً لخشبة له ، كما أن الرؤساء الذين سألناهم ، نفوا وجود مثل هذه العادة عندهم . والظاهر أن أصحاب المقالات تناقلوا هذه الأسطورة عن بعضهم البعض دون التثبت من صحتها .

٦ - « عريضة اليزيدية الرسمية »

لعل خير ما نختم به فصل « السنن الاجتماعية » عند اليزيدية ، نشر العريضة التي رفعها رؤساؤهم إلى حكومة الاستانة ، بواسطة المشير رؤوف باشا والي بغداد في ١١ آذار سنة ١٢٨٩ رومي « ٢٨ شباط ١٨٧٢ » ليتخلصوا من الجندية فهي على جانب من الأهمية ، وقد كتبت في عهد حرص اليزيديون على ان لا يخالطوا أحداً

(١) مجلة المشرق البيروتية « ٢ - ١٨٩٩ ص ٦٥٣ » .

(٢) كتاب تاريخ اليزيدية واصل عقيدتهم ص ١٥٣ بغداد ١٩٣٥ م .

(٣) كتاب اليزيدية ص ٧١ الموصل ١٩٤٩ .

من غير أبناء جلدتهم . وسنتعرض إلى أسباب تقديمها في «الفصل الآتي » وهذا نصها على علاتها لأنها ليست فصيحة الإنشاء .

البند الأول :

بحسب ديانتنا اليزيدية ، لازم على كل فرد من طايفتنا صغير وكبير وامرأة وبنت في كل سنة ثلاث مرات . يعني أولاً من ابتداء شهر نيسان الرومي إلى آخره ، وثانياً من ابتداء شهر أيلول إلى آخره ، وثالثاً من ابتداء شهر تشرين الثاني إلى آخره ، إذا لم يزر شكل طاووس ملك جلّ شأنه ، يكفر .

البند الثاني :

كل نفر من طايفتنا صغير وكبير إذا ما زار حضرة الشيخ عادي بن مسافر قدس الله اسرارهما العالية في السنة مرة واحدة ، يعني من خامس عشر من شهر ايلول الرومي إلى العشرين ، بحسب ديانتنا يكفر .

البند الثالث :

لازم على كل فرد من طايفتنا كل يوم في وقت طلوع الشمس ، أن يزور موضع شروق الشمس بشرط أن لا يوجد واحد من المسلمين والنصارى واليهود أو غير ذلك ، وإذا ما يعمل واحد منهم ذلك يكفر .

البند الرابع :

يلزم على كل فرد من طايفتنا كل يوم أن يبوس يد أخيه ، أخ الآخرة . يعني خادم المهدي ، ويد شيخه ، أو پيره ، وإذا لم يؤدي ذلك ، يصير عليه كفر .

البند الخامس :

شيء ما يمكن احتماله ، بحسب ديانتنا ، عند الصباح لما يبدون المسلمين في الصلوة يقولون كلام حاشا ، اعوذ بالله إلى آخره ، وإذا سمعها واحد مننا يلزم أن يقتل نفس القايل ، أو يقتل نفسه ، وإلا يصير كافراً .

البند السادس :

وقت الذي يموت واحد من طايفتنا إذا ما كان موجود عنده أخو الآخرة ، وشيخه أو پيره ، وواحد من القوالين يقول عليه ثلاثة أقوال ، يعني يا عبد الطاووس ملك جل شأنه ، لازم تموت على دين معبودنا وهو طاووس ملك جل شأنه ولا

تموت على دين غيره ، وإذا جاك أحد وقال لك من دين الإسلام ، أو دين النصارى ، أو دين اليهود ، أو على أديان غير ذلك من الملل ، لا تصدقهم ولا تؤمن بهم ، واذا صدقت ، أو آمنت من دون دين معبودنا طاووس ملك جل شأنه ، فتموت كافراً .

البند السابع :

عندنا شيء يسمى « بركة الشيخ عادي » يعني تربة الشيخ عادي قدّس سره ، لازم على كل نفر من طايفتنا يكون موجود عنده مقدار وموضوع في جيبه ، ويأكل منه عند كل صباح ، وإذا ما أكل منه تعمداً يكفر . وأيضاً لما يموت عند قرب الموت ، إذا لم يكن موجود من ذلك التراب المبارك تعمداً ، يموت كافراً .

البند الثامن :

من خصوص صيامنا كل فرد من طايفتنا إذا أراد أن يصوم ، يلزم أن يصوم في محله ، لا في غير محل ، من سبب كل يوم من أيام الصيام وقت الصباح يروح إلى بيت شيخه وپيره يمسك الصيام . ثم وقت الافطار أيضاً يلزم يروح إلى بيت شيخه وپيره ، يفطر على الخمر المقدس مال ذلك الشيخ أو الپير . وإذا ما شرب مقدار قدحين ثلاثة من ذلك الخمر ، صيامه غير مقبول ويصير كافر .

البند التاسع :

إذا واحد من طايفتنا سافر إلى غير محل ، وبقي هناك أقل المدة سنة كاملة، وبعده رجع إلى محله ذلك الوقت امرأته تحرم عليه ، وما أحد منا يعطيه امرأة، وإذا أحد أعطاه يكفر .

البند العاشر :

من خصوص ملبوسنا ، مثل ما ذكرنا في بند الرابع ، على انه كل فرد من طايفتنا له أخ الآخرة ايضاً له اخت الآخرة . فبناء على ذلك واحد مننا اذا أراد أن يعمل له قميص جديد ، يلزم أن المذكورة أخته الآخرة تفتح زيقه بيدها ، اي ذلك القميص وإذا لم تفتح في يدها زيقه إذا لبسه يكفر .

البند الحادي عشر :

إذا واحد من طايفتنا عمل له قميص ، أو لباس جديد ، من غير ما يعمده في الماء المبارك الموجود في حضرة الشيخ عادي قدس سره ، ما يمكن يلبسه وإذا لبسه يكفر .

البند الثاني عشر :

لباس الكحلي ما نقدر نلبسه قطعاً . وفي مشط المسلم والنصراني واليهودي أو غير ذلك ما نقدر نمشّط رأسنا أبداً ، ولا في موس الذي يستعمله غيرنا نحلق رؤوسنا فيه ، إلا إذا أردنا أن نغسله في الماء المبارك ، الموجود في حضرة الشيخ عادي ، ذلك الوقت إذا حلقنا رؤوسنا فيه جايز ، وإذا لم يكن مغسولا في ذلك الماء المبارك وحلقنا رؤوسنا نكفر .

البند الرابع عشر :

كل نفر يزيدي ما يقدر يدخل إلى الطهارة ، ولا يروح الحمام ، ولا يأكل في ملعقة المسلم ، ولا يشرب في مشربة المسلم أو غيره من الملل السايرة . وإذا دخل الحمام ، أو الطهارة ، أو أكل وشرب في معلقة المسلم ، والذين ذكرناهم ، يكفر .

البند الرابع عشر :

من طرف الأكل كثير فرق بيننا وبين ساير الملل ، مثل لحم السمك ، وقرع ، وبامية ، وفاصولية ، ولهانة ، وخس ، ما نأكلهم حتى مكان الذي مزروع فيه خس ، ما يمكن ان نسكنه .

لأجل هذه الأسباب وغيرها ، ما نقدر بأن ندخل في الخدمة العسكرية . اسامي أصحاب الإمضاء :

رئيس طايفة يزيدية – أمير شيخان حسين. شيخ روحاني طايفة يزيد ناحية شيخان – شيخ ناصر – مختار موسكان – مراد – مختار قرية مام رشان – پير سليمان . مختار حتارة – أيوب . مختار بيبان – حسين . مختار دهكان – حسن . مختار خوزران – نعمو . مختار باقصره – علي. مختار باعشيقه – حمّو. مختار خوشابا – الياس . مختار كرى بحن – صفد . مختار كباره – كوچك قاسو . مختار سينا – عبدو . مختار عين سفني – كركو . مختار قصر عز الدين – شيخ خيرو . مختار كبرتو – طاهر [1] .

---

(١) راجع هذا النص الرسمي لعريضة اليزيدية في :
The American Journal of Semitic Languages and Literatures 1909 Vol. XXV, P. 155.

بيان هام

كنا رجونا صديقنا أمير الشيخان تحسين بك أن يأمر خاصته بمراجعة كتابنا هذا الذي تكرّر طبعه ، فتفضل مشكوراً ودفع بالكتاب إلى هيأة يرأسها الا « بابا شيخ » فدققته وأدخلت عليـــه تصويبات هامة جداً . فكل اختلاف يجده القارىء بين الطبعات السابقة وهذه الطبعة الجديدة ، مردّه التصويبات التي اجرتها هذه اللجنة في مواد الكتاب . وقد كان للجنة استاذ فاضل من اليزيدية انفسهم هو الشيخ حسين بن الشيخ ابراهيم البحزاني الذي ورد اسمه في عدة هوامش من صفحات الكتاب .

الاعياد الدينية

لليزيدية أعياد دينية ذات رونق وطابع قبلي خاص ، بعضها يشترك فيه اليزيديون كافة ، وبعضها يقتصر على علماء دينهم حسب ، لان دينهم ليس إلاّ مجموعة الأعمال التي يمارسونها في هذه الأعياد ، وفي طليعة هذه الأعياد ، عيد رأس السنة ، ويسمونه بلغتهم الكردية « سري صال » وهي كلمة مركبة من « سري » بمعنى رأس و « صال » أي سنة .

١ ـ (عيد رأس السنة)

تبدأ سنة اليزيدية في أول شهر نيسان الشرقي « ١٤ نيسان الغربي » ويقع عيد الـ « سري صال » في يوم الأربعاء الأول من الشهر المذكور . فإذا كان اليوم الأول من شهر نيسان الشرقي يوم الخميس ، فإن العيد عندهم يبدأ يوم الأربعاء الموافق ٧ منه (أي يوم الأربعاء الموافق ٢٠ نيسان الغربي) ويزعم اليزيديون أن « طاووس ملك » هبط في مثل هذا اليوم إلى الأرض ليخلص موسى (ع) وصحبه من كيد الفراعنة .

وفي ليلة الـ (سري صال) ترتدي الصبيات والشابات أفخر الثياب ، ويتحلين بانواع الحلى ، ويبكـّرن إلى الحقول والجبال المفترشة بالحلل السندسية البهجة ، والمرصّعة بمختلف الأوراد والأزهار ، فيقطفن النَوَرْ الأحمر (شقائق النعمان) ويركزنه بالطين على أبواب بيوتهن ، أو على جدران الدور الخارجية ، في ثلاث بقع متساوية البعد عن بعضها البعض ، وقد يغالين فيضعنه على مدخل كل حجرة من حجرات الدار ، وبعضهن يركزنه بقشور البيض الملونة أيضاً ، زاعمين ان ذلك يسهل على الملائكة تمييز دورهم عن دور أهل الأديان الأخرى .

وتكثر في هذا العيد المقامرة بالبيض الملوّن ، وبالدراهم أيضاً . فكل زائر قصد يزيدياً في داره ، لا بدّ أن يقدّم اليه صحناً من البيض المصبوغ بالألوان الزاهية المختلفة ، فيشرع في المقامرة به مع صاحب الدار ، ومع الحاضرين معه ، كما أن الطرقات ، عامة كانت أم خاصة ، تكون ملأى بالمقامرين بهذا البيض ، وبالمتفرجين أيضاً ، وقد اختلط الرجال بالصبيان ، والأطفال بالبنات ، إلا أن المقامرة تقتصر

على الذكور دون الإناث .

ولا بد لكل بيت يزيدي أن يشتري لحماً ، أو يذبح ثوراً ، أو خروفاً ، أو دجاجة في ليلة عيد رأس السنة ، ويطبخ أفخر أنواع الأكل ، ويقسم كل ذلك في اليوم الثاني على الفقراء ، والمساكين ، والمارّة ، وعابري الطرق ، وقد تذهب بعض النسوة بالطعام إلى الجبّانة ليوزعنه عن أنفس الموتى ، والترحّم عليهم فيلحق بهنّ القوالون حيث ينفخون لهنّ بالناي وهن واقفات باكيات ، فأكل اللحم واجب على كل يزيدي في هذا العيد .

ويعتبر اليزيديون شهر نيسان الشرقي كله عيداً مقدساً ، فلا يتزوجون في النصف الأول منه ، ولا يحفرون أرضاً ، ولا يقيمون بناء ، ولا يشيدون نزلاً جديداً ، ولا يكتبون عقداً ببيع أو شراء أو نحوهما ، ويجرون طوافات شعبية رائعة في كل جمعة من أيام جمعه ، في المزارات القريبة والبعيدة على نحو ما سنذكره في ختام هذا الفصل ، فيرقصون رقصاً رائعاً يشترك فيه الرجال والنساء على شكل حلقات ، أو على هيأة هلالات (أهلّة) ويتبادلون المغازلات على أصوات الطبول والزمور ، ويحتسون الخمر بإفراط ، ويولمون الولائم ، ويهبون الهبات ، ويصفون حساباتهم ، ويدفعون « العشور » المستحقة عليهم للصندوق العالي . ويذهب القوالون إلى الجبانة بطبولهم ، ويدورون بين القبور بأناشيدهم لاستنزال شآبيب الرحمة على موتاها ، فينالون أجراً من آلهم وذويهم . أما الفقراء فيأخذون الشيوخ إلى قبور موتاهم للترحم عليهم بدق الطبول دون الترنم بالغناء المقتصر على القوالين .

ويقولون إن في منتصف رأس السنة (تأتي ملائكة السماء ويجلسون ويسومون على العباد هذه العبادة والخيرات ويسجدون ، والعلماء وأهل الكرة يسجدون عند مجيء هؤلاء الملائكة بتلك الليلة ، حيث وظيفتهم على الحيّ والميت من جنس البشر ، ومخلوقات الله ، لان الله جالس على الكرسي ويأمرهم ان يجتمعوا اليه المعروفين والمقربين ... ويقول لهم انا انزل على الأرض بالتسبيح ، ويقومون جميعهم ويفرشون قدّام الله ويلقون قرعة التعشير عليهم ويختم بختم الله عليهم والفاهمين عنده ، ويعطي الله الكبير إلى ملك طاووس ينزل على الأرض ويسلم بيده السلطة أن يصنع كل شيء بإرادته) [1] .

---

(١) اسماعيل چول ، في كتابه « اليزيدية قديماً وحديثاً » بيروت : المطبعة الأميركانية ١٩٣٤ م ص ٨٢ .

٢ ـ (عيد مربعانية الصيف)

لهذا العيد عدة أسماء عند اليزيدية : منها عيد الشيخ عدي ، والعيد الكبير ، وعيد مربعانية الصيف ، ومدته خمسة أيام تبتدىءمن اليوم الحادي عشر من شهر تموز الشرقي ، وتنتهي في اليوم السادس عشر منه ، وفيه يذهب الكواچك وبعض رجال المذهب اليزيدي ، إلى مرقد الشيخ عدي ، ليصوموا ثلاثة أيام ، ثم يعودوا إلى آلهم وذويهم ليتموا صيام أربعين يوماً ، لانهم يعتقدون ان الشيخ عدي كان يصوم أربعين يوماً في الصيف ، وأربعين يوماً في الشتاء [١] ولكنهم قلما يتمون هذه المدة ، لان الصائم إذا بات بنية الصوم ، وقدّم اليه أحد المعارف شيئاً ما في صباح اليوم التالي ، وطلب اليه ان يأكل على بركة احد المشايخ ، أو على بركة أحد السناجق ، وجب عليه الافطار فوراً ، وأصبح في حلّ من هذه الفريضة ، أو من إتمامها . فإذا قاربت هذه المدة الانتهاء ، عاد الصائمون إلى مرقد الشيخ عدي ، فصاموا الأيام الثلاثة الأخيرة من الأربعين يوماً ، وعادوا إلى قراهم ، فرحين مستبشرين . ويتولى أهل قرية بحزاني تنظيف المرقد بعد انصراف الناس .

٣ ـ (عيد القربان)

هذا عيد يجاري فيه اليزيديون مجاوريهم من المسلمين ، مجاراة لا تديّناً ، وهو يقع في أول يوم من حلول عيد الأضحى عند المسلمين ، ولهذا يسمونه عيد الحج ، وعيد القربان ، ويقولون ان الله تعالى امر ابراهيم الخليل في هذا اليوم ، ان يذبح ولده اسماعيل ، ثم هيأ له كبشاً فداه به ، وان صورة ذلك الكبش لا تزال محفوظة في « خزينة الرحمان » في قرية « باعذرا » مقر الامارة اليزيدية في الشيخان .

فقبيل حلول هذا العيد ، يذهب رجال دينهم إلى مرقد الشيخ عدي ، فيضرعون بالدعاء لان يقبل حجّهم ، ويغفر لهم ذنوبهم ، ثم ينصرفون إلى عاداتهم الموروثة ،

---

(١) الأربعون من الاعداد التي لعبت أدواراً هامة على مسرح الدين ، وعينت وقائع خطيرة في التاريخ ، فقد هطلت مياه الطوفان أربعين يوماً ، وتاه بنوا اسرائيل أربعين سنة في البرية ، وصام موسى وايليا أربعون يوماً ، وحددت الشريعة الموسوية أربعين ضربة لمعاقبة المجرم . الخ. ولعل زيارة الأربعين عند الشيعة الأمامية من هذا القبيل ، وهي اليوم الذي أعيد فيه رأس الامام الحسين بن علي عليهما السلام من مدينة دمشق ، حيث كان بعث به إليها والي الكوفة عبيد الله بن زياد ، إلى العراق .

فينشدون أناشيدهم الدينية ، ويمرحون مرحهم القبلي ، ويعطون أحدهم (ويسمى الچاويش) طبقاً من الخبز الرقاق ، فيصعد به وإياهم جبلاً يشرف على « وادي ليلش » يقال له عندهم « جبل عرفات » ويرتقي الچاويش حجراً ناتئاً في أعلى قمة الجبل المذكور ، وعلى رأسه طبق الخبز ، فيرميه من شاهق في الفضاء ، فيتهافت عليه هؤلاء . فكل من حصل على قطعة منه ، وخفّ إلى نبع الماء الذي يبعد عن الموضع ، الذي هم فيه ، مسيرة ربع ساعة قبل غيره ، فبلّ فيه القطعة المذكورة ، قبل حجه ، ونال جائزة الأمير المخصصة لهذا الغرض بواسطة الپير . ثم يأخذون باللهو والقصف طوال الليلة الأخيرة من أيام الحج ، فإذا كان الصباح أجروا مراسيم العيد بالمصافحة ، وانصرفوا إلى ديارهم . وبما أن عدد الذين يسهمون في السير إلى نبع الماء كبير جداً فإن الپير يقف عند مدخل العين فمن سبق أقرانه ، خطف ما على رأس الپير ليعرف به .

٤ ـ (عيد الجماعية)

ربما كان « عيد الجماعية » من أهم أعياد اليزيدية طراً ، ومن أعظمها شأناً ، وأكثرها خطورة ، وهم يقولون ان في هذا العيد تغفر الخطايا والذنوب ، وتستنزل شآبيب الرحمة والبركة ، ويستدل على كنه السنة المقبلة ، إن خيراً وإن شراً . وهو عبارة عن سلسلة احتفالات دينية تستمر سبعة أيام ، واجبة على كل يزيدي ويزيدية ، تبتدىء من اليوم الثالث والعشرين من شهر أيلول الشرقي (٦ تشرين الأول الغربي) تنتهي في الثلاثين منه « ١٣ تشرين الأول الغربي » وفيه يهرع اليزيديون من كل صقع وبلد ، وهم بأفخر ثيابهم ، والنساء بأعز حليهنّ ، فيحيون (عيد الجماعية) في مرقد الشيخ عدي في لهو وقصف متواصلين ، ويحجون بقية المزارات المحيطة به ، دون أن يسوغ لأحد منهم احتذاء شيء في قدمه ، ودون أن يحمل معه غير كفايته من الخبز والبصل والجريش [1] فان لكل مزار سادناً أو مقيماً ، وعلى كل سادن أو مقيم أن يعدّ أكلة واحدة (تسمى سماط) لمريديه ، من غلّة أوقاف صاحب ذلك المزار ، ومما به من النذور والصدقات والهبات . إذ المفروض على كل

---

(١) وإذا يتجاسر أحدهم وطبخ خفية ، فهذا يحرم ويدعي كافراً . لأن في هذه الأيام يكون مطبخ الشيخ مفتوحاً وسفرته جاهزة لتغذية العموم .

القس اسحق في مخطوطته ص ٤٠ .

يزيدي يزور كل مرقد من هذه المراقد في هذا العيد ، أن يقدم مقداراً من الدراهم لسادن ذلك المرقد ، ومن لم يهده شيئاً لا يقبل له حج ، ولا تغفر له خطيئة[1] وهم إلى ذلك لا يصطادون طيراً ، ولا يقتلون وحشاً ، ولا يقطعون شجرة ، ولا يؤذون أحداً مهما كانت العداوة بينهما ، لأن وادي لالش محرّم ، حرمة مكّة المكرمة عند المسلمين ، وعلاوة على ذلك يجب أن يتخطوا عتبات المراقد كلها فلا يسمح لأحد أن يطأها بقدمه، ولا أن يقتربوا نساءهم (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج)[2] إلا أن التقاليد تبيح لهم تهريب النساء والفتيات ، ما داموا في حمى الشيخ عدي . ويصعد الكواچك مرتين في كل يوم من أيام هذا العيد السبعة إلى جبل عرفات ليجمعوا الحطب لمضيف الشيخ عدي وينزلون به محمولاً على ظهورهم .

وهنالك عدد من المزارات والحجرات على عدد أسماء أوليائهم معدّة للزائرين ، يعطي أمير الشيخان أبوابها بالالتزام إلى شيوخ القبائل اليزيدية ، ويپورتها عن طريق المزايدة فيحج اليها مريدوا الشيوخ والپيرة ، فإن لكل پير عدداً من المريدين والمريدات — كما قدمنا — وكثيراً ما تضيق هذه المزارات والحجرات بساكنيها فيتركها الرجال للنساء والأطفال ، ويقضون أوقاتهم في افناء المرقد ، أو في شعاب الجبل وكهوفه ، حيث يطربهم القوالون بأنغامهم الشجية آناء الليل وأطراف النهار ، ويتلقون منهم النقود بغير حساب .

أما الأعمال والطقوس التي تتم في هذا العيد فهي :

(أ) القاباغ :

(القاباغ) كلمة كردية ، أو تركية ، يراد بها إطلاق الرصاص بالجملة ، وهي عند اليزيدية علم لأحد الأعياد ، فاذا انتهى اليوم الخامس من عيد الجماعية وحل اليوم التالي ، تسلق اليزيديون الجبال المحيطة بمرقد الشيخ عدي ، وشرعوا في إطلاق الرصاص بالجملة ، ابتهاجاً بحلول اليوم المذكور ، ويضمن أمير الشيخان ثمن الطلقات . ثم ينحدرون إلى فناء المرقد ، فيرقصون رقصهم القبلي المعروف بـ (الدبكة) مختلطين رجالاً ونساء على شكل حلقات مستديرة تسر الناظرين ، و (القوالون)

---

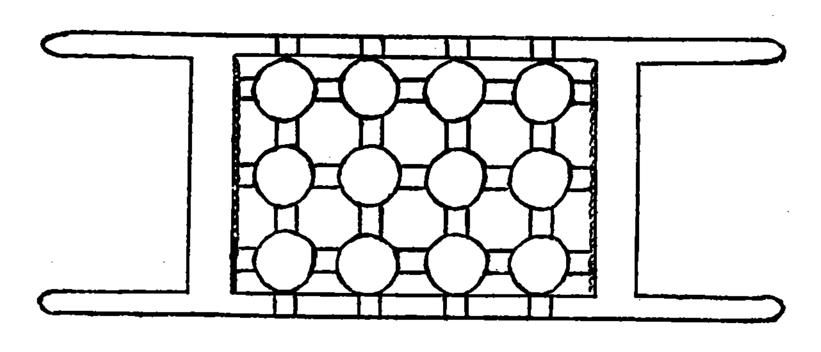
(١) ويأخذ امير الشيخان حصته من هذه الهبات عادة .
والعادة أن يجلس أمين عند كل عتبة لجمع الصدقات من كل عابر .

(٢) سورة البقرة الآية ١٩٧ .

يضربون بدفوفهم ، ويزمرون بشباباتهم فرحاً وحبوراً . ويجيء أمير الشيخان ثوراً كبيراً أبيض اللون ، يكون قد أمر بربطه في مرقد الشيخ عدي مدة أربعين يوماً ، فيطلب إلى الحاضرين أن يحموه من أذى الغير ، فيتسلمه الشبان المدججون بالسلاح من عشيرة تسمى (المamوسية) والقاديانيه ، والترك ، ويأخذونه إلى مزار الشيخ شمس ،وهو قريب من مرقد الشيخ عدي ، فيرددون أوراداً واذكاراً لا يفهمها غيرهم ، ويتعهدون باعادة الثور إلى مرقد الشيخ عدي سالماً من كل أذى . ويندس بينهم في تلك الآونة شخصان من اليزيدية ، فيحتال أحدهما على الثور فيسرقه ، فتحصل ولولة بين القوم ، ويسترجعون الثور فوراً ، دون أن يدلّوا أحداً على السارق ، متجاهلين اسمه ، متغافلين عن وجوده بينهم ، ثم يقتادون الثور إلى مرقد الشيخ عدي بين التهليل والتكبير ، وعندها تقف القبائل في الموضع المسمى « ميدان الجهاد » أو (السوق الكبير) ويتقدم عشرة من البواسل للمحافظة على الثور ، فيعلن الأمير هربه ، ويطلب إلى الحاضرين الإنصراف إلى شؤونهم الخاصة ، لانتفاء الحاجة اليهم . ولكن الرجل الذي سبق له أن سرق الثور ، يدخل إلى المرقد ، مع زميله الذي اندس معه من قبل ، موهمين الناس أنهما من اتباع الأمير المناط بهم أمر المحافظة على الثور ، فيهربان به إلى مزار الشيخ شمس ، على مقربة من مرقد الشيخ عدي ، ويوسعانه مع أتباعهما ضرباً مبرحاً بالسياط والعصي ، ثم يذبح الثور سراً ، ويعطي لحمه إلى سادن الشيخ شمس ، معلنين إنه لحم نذر ، فيطبخه حتى يتهرّى ، وكل من استطاع الحصول على قطعة منه ، مهما صغرت ، نال الأجر والثواب .

(ب) نصب تخت الشيخ عدي :

(تخت عدي) عبارة عن حلقات قديمة مفرغة من معدن البرنز الأصفر يبلغ عددها الستين حلقة ، مع عودين طويلين مقدسين ، وسجادة رثة بالية ، يعتقد اليزيديون أنها التخت الذي كان يجلس الشيخ عدي عليه ، ويسمونه (برشباكي) وهو لا يزال في حوزة رجل من قرية بحزاني يسمى « الشيخ بريم » فإذا حلّ اليوم الأخير من عيد الجماعية، يعلن أمير الشيخان وضع نصب التخت في المزايدة العلنية، فيتسابق رؤوس القبائل على شرف هذا النصب ، فهو عندهم فخر دونه كل فخر . فاذا انتهت هذه المزايدة ، بدأ (القوالون) بضرب الدفوف ، والعزف بالشبابات ، والدوران حول التخت ، وشرعت القبيلة التي دفعت أغلى الثمن لنصبه ، في رصف الحلقات المذكورة فوق السجادة البالية ، على ابعاد متساوية ومتقاربة ، ثم يربطون



– تخت يزيد ويسمونه « برشباكي » –

بعضها إلى بعض بخيوط قديمة معمدة في « بئر زمزم » ويوثقونها إلى العودين الطويلين المقدسين ، وعندها يحضر شيوخ القبائل لحمل التخت إلى (حوض الكلوكي) في ساحة الشيخ عدي ، وتعميده فيه ، فيتهافت الناس على لمسه وتقبيله ، لأنهم يعتقدون ، أو يرون في هذا التقبيل ، واجباً دينياً لا يسوغ أن يحول الازدحام أو الضرب المبرح ، الذي يركن المسؤولون عن حفظ النظام والأمن اليه ، دون أدائه ، وقد يغلو البعض فيتسلق الأشجار ، ويرمي بنفسه على التخت فيموت ، وهو يعتقد أنه مات شهيداً في سبيل أداء هذا الفرض الديني ، فاذا تمت مراسيم التعميد وسننه بنجاح ، استبشر القوم واستدلوا على خصب السنة المقبلة وبركتها ، أما إذا حالت شدة الازدحام دونه ، فانهم يعودون بقلوب كسيرة ، وزفرات تتصاعد إلى السماء ، لأن عدم الوصول إلى الماء دليل الجدب وانتشار المرض في السنة الجديدة . وسواء أنجحت عملية التعميد أم لم تنجح ، فان الأمير يهدي القبيلة التي تشرفت بنصب « تخت الشيخ عدي – برشباكي – » هدية سنية كعباءة أو نحوها ، وأن المتفرجين يطلقون العيارات النارية بكثرة ابتهاجاً بنصب هذا التخت .

(ج) سماط جلميره :

يقول يزيديوا (عين سفني) انه كان للشيخ عدي أربعون تلميذاً باراً ، يخدمونه باخلاص ، ولا يترددون عن تضحية أرواحهم في سبيل المحافظة على روحه ، وان (فخره چلميره) كبير هؤلاء التلاميذ كان من قرية « عين سفني » ولهذا اوجدوا له مقاماً هناك ، فاذا انتهت أيام عيد الجماعية ، قدّم رجال عين سفني ثوراً على محبة (فخره چلميرة) يسمونه (سماط جلميره) ثم يذبحونه ويطبخونه حتى يتهرّى

لحمه ، فيجتمع اليزيدية كافة ، للمطالبة بحصة لهم من هذا اللحم ، فلا ينالون منالهم إلا بشق الأنفس ، إذ يأخذ كل من الأمير ، والشيخ الوزير ، والبابا شيخ ، قطعة كبيرة من القدر ، ويرميها فوق الرؤوس ، فيتلقفها الواقفون بشوق زائد ، ويتقاسمونها بتهالك ، ليفوز كل واحد بلقمة ، وإن كانت صغيرة ، وكثيراً ما يضطر البعض إلى مد يده في الماء المغلي لينال مرامه ، معتقدين أن كل من أكل من هذا اللحم ، ولو قليلاً ، أصابه شيء من الإيمان . « فاذا انتهوا من كل ذلك ، عصب وكيل الأمير برؤوسهم عصائب بيضاء يدفعون أثمانها ثم يعودون في ذلك اليوم زرافات ووحداناً ، ويبقى أهل قرية بحزاني لتنظيف المحل من أوضار القوم وقماماتهم » [1] .

(د) الاغتسال في زمزم :

في لحف الجبل الذي يرقد فيه الشيخ عدي بن مسافر الأموي ، نبع ماء رقراق يصل إليه من نفق لا يتسع لغير شخصين ، ولا تنيره غير كوتين ، يقال له (بئر زمزم) تفنن اليزيديون في سبب تسميته بهذا الاسم ، كما تفننوا في ذكر علاقة الشيخ عدي بهذا النبع ، وقد لخص الأب انستاس ماري الكرملي أقوالهم وآراء غيرهم في الكلمات التالية :

(وعمق هذه العين متر تقريباً ، وقطرها متران ، ويسمونها عندهم (بئر زمزم) لان الشيخ عادي — كذا وصحيحه الشيخ عدي — كان قد جاء يوماً إلى هذا المحل ولم ير فيه ماء ، فطلب منه المتشيعون له أن يجترح لهم آية ، فأخذ الشيخ عكازته وضرب الصخرة وقال للماء بالعربية « زم ، زم » فزمّ . وفي رواية انه قال اريد ماء زمزماً أي كثيراً ، فكان كذلك ... وقال آخر ان الشيخ عادي — كذا — بعد أن أنبع الماء أجرى إليها شيئاً من ماء القدس الشريف ، وقال آخر بل من مـــاء الاردن ا هـ) [2] .

وقد حاولنا عبثاً الوصول إلى هذا النبع الجاري ، على الرغم من المساعدات القيّمة التي أسداها لنا أمير اليزيدية تحسين بك بن سعيد بك ، وجدّته ميان خاتون ، في زيارتنا لمرقد الشيخ عدي ، في يوم الخميس الموافق ١٧ نيسان ١٩٤٧ م . ويقول

(١) عبد الله صديق في مجلة « المجلة » الموصل ١ — ٧٥١ .

(٢) مجلة المشرق البيروتية (٢ — ١٨٩٩ م ص ٣١٠) .

(ايمسن) Empson انه حاول مثل هذه المحاولة ، يوم زار المرقد المذكور سنة ١٩٢٨ م . فأخفق في مسعاه ، وان G. P. Badger الذي سبقه إلى هذا الموضع قبل تسعين سنة ، كان قد أخفق في هذه المحاولة أيضاً [١] .

وعلى اي فان اليزيدية يهتبلون فرصة (عيد الجماعية) فيدخلون إلى الجبل ، وينزلون في ماء زمزم إلى ركبهم ، ويغسلون به ايديهم ووجوههم لتتم مراسيم الحج . وكل من صحب شخصاً غير يزيدي إلى البئر المذكور حرم ، هو وسكان القرية التي هو من أهلها ، من اتمام مراسيم الزيارة والاغتسال في زمزم ، واخرجوا من المرقد بالقوة . أما ما يزعمه المسيحيون عن اتيان اليزيدية كل منكر في هذه البئر فلا صحة له على ما تحققناه من اليزيديين أنفسهم [٢] .

٥ ـ (عيد يزيد)

يعتقد اليزيديون أن حكم الصيام ، الذي جاء به القرآن ، لم يفهمه المسلمون على حقيقته . فقد نزل باللغة الكردية (سه روز) أي ثلاثة أيام لا (سي روز) أي ثلاثون يوماً ، وانهم لهذا السبب يصومون أيام : الثلاثاء والاربعاء والخميس ، التي تسبق أول يوم جمعة من شهر كانون الأول الشرقي ـ أقصر أيام السنة وأبردها ـ ويجعلون اليوم الرابع (الجمعة) عيداً عاماً يسمونه (عيد صوم يزيد) زاعمين أن يزيد الذي يسمونه باسمه ، وينتسبون اليه ، ولد في اليوم المذكور ، فيقيمون الولائم والأفراح ، ويشتركون في الرقص والمغازلات ، ويتبادلون أطيب التهاني والتبريكات ، ويعملون خبزاً يسمونه (صووك) فيوزعونه جزافاً ، ويزورون قبور موتاهم لاستنزال شآبيب الرحمة عليهم ، ويحتسون الخمر بإفراط .

---

(1) R. H. W. Empson — the cult of the Peacock angel, P. 127.

(٢) زعم الراهب بهنام الموصلي السرياني ، اليزيدي أصلاً ، الكاثوليكي مذهباً . في مجلة المشرق البيروتية ص ٣٨ ـ ٤٦ لسنة ١٩٥٢ .

ان اليزيدية يجتمعون ليلة معينة عندهم في كل سنة ، عند مدخل مغارة سرية يحيونها في الاكل والشرب واللهو اكراماً للطاووس ملك ، وهي الليلة المعروفة عندهم بليلة الخفشة ، ثم يختمونها بارتكاب اشنع المنكرات واقبح المساوىء ... وان هذا الأمر هو مؤكد لا ريب فيه لأني أنا حضرت تلك الحفلة .

المشرق البيروتية ص ٣٨ لسنة ١٩٥٢

٦ ـ (عيد بلندة)

يقع هذا العيد في اليوم الخامس والعشرين من شهر كانون الأول الشرقي ، أي بعد عيد يزيد بخمسة وعشرين يوماً ، حيث يستقبلون فيه تساقط الثلوج ، ويسمونه عيد بلندة (أو عيد الميلاد) ويقولون في أصله : أن الشيخ عدي ولـد في اليوم المذكور ، فيوقدون النار في دورهم واصطبلاتهم مساء ، ويتخطاها كل واحد من أفراد العائلة ثلاث مرات ، متبركين بها ، وماسحين جباههم بلهيبها ، ثم يرمون فيها القسب والزبيب ويأكلونه مشوياً .

٧ ـ (عيد العجوة)

يقع هذا العيد في اليوم السابع من شهر كانون الثاني الشرقي (٢٠ كانون الثاني الغربي) أي بعد مرور ١٢ يوماً على عيد الميلاد ، ويعملون فيه رغيفاً كبيراً من الخبز يضعون فيه نواة أو قسبة أو زبيبة ، ويجعلونه على ظهر أحد أولادهم ، وبعد يوم أو يومين يستدعون أحد أفراد العائلة ، من خارج البيت ، ويكلفونه بتوزيع هذا الرغيف على أهل البيت كافة ، فكل من اصابته القطعة التي فيها النواة أو القسبة أو الزبيبة « ويسمونها عجوة » ، كان صاحب السعد والطالع عندهم في ذلك العام ، ونال جائزة الأمير المعدة لهذا الغرض .

٨ ـ (عيد مربعانية الشتاء)

يقع هذا العيد في العشرين من شهر كانون الثاني الشرقي من كل سنة (٣ شباط الغربي) أي بعد حلول عيد العجوة بخمسة عشر يوماً ، ويجري فيه ما يجري في عيد (مربعانية الصيف) من صوم ، وإفطار ، وزيارة ... الخ . ويزعم اليزيديون أن في هذا العيد قرّب الشيخ عدي إليه أربعين من رجاله الصادقين فعلمهم أصول الدين اليزيدي وحل الرموز .

٩ ـ (عيد خضر الياس)

يقع هذا العيد في أول يوم خميس من شهر شباط الشرقي ، وقد يصوم البعض من اليزيدية الأيام الثلاثة التي تتقدمه (أي أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء) وقد يصومون يوماً واحداً فقط . إلا أنه يتوجّب الصيام ثلاثة أيام على كل من كان يدعى ألياس .

وكأنّ هذا العيد مقتبس من عيد خضر الياس عند النصارى ، حيث يسمونه عيد مار بهنام . فكلا العيدين يقع في وقت واحد . أما الصوم الذي يصومه النصارى في هذا العيد فيسمى عندهم « الباعوثة » ومدته ثلاثة أيام كما هو عند اليزيدية . ومن عادة يزيدية سنجار انهم يقلون الحبوب في هذا العيد ويعملونها سويقاً ويوزعونه على الآل والمعارف .

١٠ ـ (عيد المحيي)

من أعياد المسلمين المعروفة ، أو من الليالي المباركة عندهم ، ليلة النصف من شعبان [١] يحيونها حتى الصبح . وقد قلّد اليزيديون مجاوريهم من المسلمين في إحياء ليلة النصف من شعبان ، ويسمونها ليلة القدر ، فترى رجال دينهم وكبار رؤسائهم يهرعون إلى مرقد الشيخ عدي ، يصلون ويتعبدون ، ويتلون آي الذكر العظيم ، متجهين نحو قبلة المسلمين منذ المساء حتى مطلع الشمس. أما العوام فإنهم يحيون هذه الليلة في بيوتهم ، دون أن يشتركوا في الصلاة التي تقام في معبدهم . كما انهم يعظمون ليلة القدر الإسلامية ويجلونها كثيراً ، ولكنها عندهم في ليلة ١٥ رمضان من كل عام.

١١ ـ (الطوافات)

عند اليزيدية طوافات محلية (مفردها الطوافة) هي بمنزلة الأعياد عند سائر أهل المذاهب والأديان . ففي ليلة يوم الجمعة الذي يلي عيد رأس السنة (السري صال) يجتمعون في (قرية بعشيقا) للتعبد وللطواف حول مرقد الشيخ محمد [٢] مختلطين رجالاً ونساءً ، شيوخاً وأطفالاً ، من أول الليل حتى مطلع الشمس ، فإذا أصبح

---

(١) ولد الامام محمد بن الحسن (ع) الامام الثاني عشر لدى الشيعة الامامية ، المعروف بالغائب والمهدي والمنتظر ، ولد في ليلة النصف من شعبان سنة ٢٥٦ هجـ (٨٦٩ م) .

(٢) باعشيقا كلمة آرامية اصلها «بيت شحيقي» اي دار المنكوبين. وهي قرية كبيرة تبعد عن الشمال الشرقي لمدينة الموصل ٢٦ كيلو متراً ، وقد ذكرها ياقوت الحموي في معجمه ٢ ـ ٤١ فقال ـ (وهي مدينة من نواحي نينوى في شرقي دجلة . لها نهر جار يسقي بساتينها ، وتدار عليه عدة أرحاء ، وبها دار امارة ، ويشق النهر في وسط البلد . والغالب على شجر بساتينها الزيتون ... وبها قبر الشيخ ابي محمد الراذاني الزاهد) .

هذا ما ذكره ياقوت ، ولكن اليزيديين ينسبون هذا القبر إلى محمد بن الحنفية ، ويقولون انه صاحب كرامات لا تعد ولا تحصى .

الصبح كانت (بعشيقا) مائجة بالرجال والنساء ، وبدأ الرقص القبلي (الدبكة) واحتساء الخمرة ، وإقامة معالم الزينة والأفراح ، واستمرت الحال على هذا المنوال حتى وقت العصر ، فينصرفون إلى آلهم وذويهم بعد أن يكونوا قد أعياهم التعب .

وفي ليلة الجمعة الثانية يجتمعون في قرية دراويش [1] للطواف حول مرقد حسن فردوش ، فيأتون ما أتوه في (بعشيقا) من رقص ونحوه .

وفي يوم الأحد الذي يلي الجمعة الثانية ، يطوفون حول (سيعد ومسعود) ، وفي يوم الأربعاء يطوفون حول مرقد (ملك ميران) .



(رقص اليزيدية القبلي في الطوافات وهو المعروف بالدبكه)

وفي ليلة يوم الجمعة الثالثة يجتمعون في قرية بحزاني [2] للطواف حول مرقد الشيخ أبي بكر ، وفي يوم الأحد الذي يليه ، يطوفون حول (مرقد ناسر دين — ناصر الدين —) وكل هذه المراقد في بعشيقا وبحزاني . أما في ليلة الجمعة الرابعة فيكون الاستعداد للطواف في (قرية باعذرا) مركز الإمارة اليزيدية . وهم في جميع هذه

---

(١) دراويش قرية في شرقي الموصل قبيل باعشيقا .

(٢) بحزاني قرية بجوار بعشيقا ، بينهما مسيرة عشر دقائق . فيها مزارات اليزيدية ومساكن رؤسائهم ومشايخهم .

الطوافات يحتسون الخمر ، ويذبحون الذبائح ، ويأكلون أفخر الطعام ، ويتبادلون أنواع المغازلات إذ المفروض أن يهيء وجهاء القرية التي تجري الطوافة فيها أفخر الطعام وادسم الذبائح للوافدين .

ومن ظريف ما يجري في (الطوافات) انهم يجمعون رؤوس الذبائح ، ويضيفون إليها قطعة من اللحم ، تؤخذ من موضع مخصوص من الذبيحة ، تسمى (شيخ مند شيخ فخر) فتوضع في المزايدة ، ويتزايد الناس عليها بأثمان باهظة ويطعمون منها آلهم وذويهم فلا يلقون في حياتهم غير السعادة والرفاه .

١٢ - (في أيام الجمع)

يعطل اليزيديون أشغالهم في أيام الجمع كالمسلمين ، ويحرّمون الاشتغال فيها مطلقاً ، ويقولون انهم كانوا يعطلونها في أيام الأربعاء ، ولكنا لم نعثر ، فيما قرأناه وتحققناه ، على ما يؤيد صحة هذا الادعاء ، ففي ليلة كل جمعة يعتلي أحد سدنة المقامات سطح داره ، ليدعو الناس إلى زيارة المقام الفلاني في اليوم التالي ، فتجري احتفالات دينية رائعة في المزارات التي يعنيها الأمر ، وتولم الولائم لهذا الغرض .

(عيد حضور السنجق)

ليس لهذا العيد يوم معين ، أو زمن معروف ، ولكن لا بدّ من وقوعه أكثر من مرة في كل سنة [١] ويكون ذلك عند مجيء السنجق وقضائه ليلة واحدة في كل قرية من قرى اليزيدية ، حيث يستقبله الأهلون بالفرج والابتهاج ، ومظاهر الاجلال والاكرام ، وهم حفاة . أما النساء فيلبسن افخر ثيابهن ، ويستقبلنه بالزغاريد والتهاليل ، ثم يذهبن به إلى دار من دفع أغلى الثمن فينصب في محل مرتفع ، ويجلس القوالون عن يمينه فيضربون بالدفوف والشبّابات ، ويدور الناس حول السنجق واضعين أيديهم على صدورهم سبع مرات ، ويقدمون النذور والهدايا بسخاء . ويزعم القوم « ان روح الله تحل في القرية التي يحل فيها السنجق » فإذا كان في تلك القرية نزاع أو خصام أو حادثة قتل موقوفة ، فيجب أن يزول كل أثر لهذا الخصام في ليلة مبيت السنجق في القرية .

---

(١) يطوّف بالسنجق في المناطق اليزيدية ثلاث مرات في السنة : مرة في الربيع ، وأخرى في الصيف ، وثالثة في الشتاء . ويسمى الدخل الذي يحصل من هذه الزيارات تبرّعات الطاووس .

الفصل التاسع

مراقد اليزيدية المقدسة

« توطئة »

نظر البشر إلى هذا الكون فبهره ما يحيط به من مظاهر الطبيعة وعجائب الكون ، ورأى نفسه موجوداً صغيراً عاجزاً عن رد طوارىء الطبيعة ومجابهة أحداثها . فأكبر العاصفة ، وارتعدت فرائصه للصاعقة ، ورأى في كل تلك المظاهر قوة مدركة ، وحياة خاصة قاسها بما له من وجود وإدراك وحياة ، ورآها مثالاً للقوة التي تستحق الانقياد والخضوع ، فنشأت من هنا فكرة العبادة لمظاهر الكون ، وشرع البشر في تأليه كل ما يخاف منه ، وكل ما يجهل كنهه ، أو يرى فيه شيئاً غريباً .

ثم ظهرت عبادة الأسلاف ، والأبطال ، والأحجار والأشجار ، والحيوانات ، والأوهام ، فآمن البشر بها وصار يرهبها ويحيطها بمكارم الاجلال والإكبار ، ويتقرب اليها بمختلف الطرق .

ولليزيدية عقائد خاصة في مشايخهم ، ورجال دينهم ، وفي بعض الاضرحة المقامة في ديارهم ، وبعض الأحجار الناتئة بين قبور موتاهم ، أو على مقربة من مساكنهم . إذ لا يجوز لهم أن يقيموا في أرض لا نصب فيها لأحد أئمتهم ، أو لا ضريح فيها لأحد مشايخهم . وهم يتقربون إلى هذه النُصب والأضرحة بمختلف أنواع العبادة دفعاً للشرور المتوقعة ، وطمعاً في الشفاعة .

وإذا ما تجوّل الغريب في وادي ليلش المقدّس في امسيات أيام الأربعاء والخميس « خاصة » شاهد الشموع والسرج تنير المسالك ، وتهدي الضالّ ، وترشد التائه . فهم يسرجون القناديل المليئة بالزيوت على أعتاب المزارات والأضرحة ، وفي مسالك الوادي المختلفة ، وقرب القباب المقدسة ...

ولا يمكن للأجنبي أن يحيط علماً بكافة هذه المواضع المقدسة ، لأن ذلك يتطلب وقتاً طويلاً ، وتضحيات لا بدّ منها . وقد وجدنا في رسالة القس اسحق قائمة بهذه المزارات نقلها الأستاذ صديق الدملوجي إلى كتابه الكبير « اليزيدية » ص ١٧٧ دون أن يشير إلى المصدر ، فاضطررنا إلى نقلها في الصفحات الآتية نقلاً عن رسالة القس

اسحق . وكانت هذه الرسالة مصدر الدملوجي في معظم ما كتبه عن هذه الطائفة دون أن يشير اليها .

وقد سبق أن قلنا في موضع آخر : أن كتاب اليزيدية للقس اسحق كتاب سرياني وجد في دير ألقوش سنة ١٩٠٠ م فنقله إلى اللغة العربية الياس خوشا باشكوانا سنة ١٩٣٢ م ، وأن لدينا نسخة من هـــذه الرسالة باللغة العربية ولكن ترجمـــة شخص آخر .

وفيما يلي قائمة بأسماء مزارات اليزيدية في القضاءين : الشيخان وسنجار كما جاءت في كتاب القس اسحق :

(المراقد الموجودة بقضاء الشيخان)

١ – محمد رشان : يقع في سفح جبل مقلوب ، محاذياً لقرية « كليشين » وهو من أصحاب الشيخ عدي . ذكره صاحب « قلائد الجواهر » باسم محمد رشا .

٢ – عبد رش : العبد الأسود ، وكان خادماً للشيخ عـــدي ، وهو في قرية « كندالة » .

٣ – شيخ محمد : في قرية « كرخالص » يعتقدون أن ترابه يفيد القروح والرمد .

٤ – شيخ حنتوش : في قرية « عين سفني » ويسمونه « حنتوش عربي » .

٥ – الشيخ شمس : ويريدون به الشيخ شمس الدين أبو محمد الحسن بن عدي الثاني في قرية « عين سفني » الذي يعزي اليه وضع الديانة اليزيدية ، وله عدة مقامات في الشيخان وفي سنجار .

٦ – الشيخ مَند : في قرية « عين سفني » ويقال أن له مزاراً في حلب .

٧ – الشيخ خان شمسان : في قرية « عين سفني » .

٨ – الشيخ امشلح : في قرية « اشكفتيان » يقال انه من تلامذة الشيخ عدي .

٩ – الشيخ فخر الدين : في قرية « مام شقان » .

١٠ – الشيخ سن : في قرية « ايسيان » .

١١ – الحاج رجب : في « بيرستك » – ذكرها صاحب قلائد الجواهر بيرستق – .

١٢ – پيراقات : في قرية « كيس قلعه » .

١٣ – پيرمند : في قرية « الجراحية » – شرق قرية باعذرا .

١٤ – شيخ محمد : في قرية « دوغات » .

١٥ – الحاج فارس : في قرية « خطاره » – ويسمونه حاجي فيرس –

١٦ – الشيخ سيباطي : في قرية « باطط » المسلمة .
١٧ – شهسوار : في قرية « بيبان » وهو تحريف « شاه سوار » أي فارس الفرسان .
١٨ – مهدار : في قرية « بوزان » وفيها مراقد جمهرة من الصلحاء القدماء .
١٩ – شرف الدين : في قرية « بيت ناز » .
٢٠ – الشيخ عنزروت : في قرية على قمة الجبل بين مرقد الشيخ عدي واشكفتيان .
٢١ – الشيخ شمسان : في قرية قرب سفح جبل مقلوب .
٢٢ – ملك ميران : في قرية « بعشيقا » ويُعد من صلحاء اليزيدية .
٢٣ – ناصر الدين : في قرية « بعشيقا » .
٢٤ – الشيخ محمد : في قرية (بعشيقا) ويزعمون انه « محمد بن الحنفيّة » .
٢٥ – الشيخ شيدك : في قرية « بعشيقا » وتنسب اليه الكرامات .
٢٦ – الشيخ أبو قحوف : قرب قرية بجزائي وتنسب اليه المكرمات . .
٢٧ – الشيخ شمس ٢٨ – الشيخ حسن ٢٩ – الشيخ أبو بكر ٣٠ – الشيخ سجادين ٣١ – الشيخ مند ٣٢ – الشيخ ناصر الدين ٣٣ – الشيخ عبد القادر ٣٤ – الشيخ عبد العزيز ٣٥ – عبد رش ٣٦ – ست خجيجي ٣٧ – ست جيبي ٣٨ – سيعد ومسعود ٣٩ – الشيخ زندين – تحريف زيد الدين – (وكل هذه القرى تقع في قرية بجزاني القريبة من بعشيقا) .
٤٠ – الشيخ محمد العمري : في قرية باطط المسلمة ، مقرّ الشيخ سيباطي .
٤١ – الشيخ موسى صور : ويقولون انه ملك الهواء ورفيق عبد رش . ٤٢ – الشيخ ابراهيم الختمي ٤٣ – الشيخ طوكل ٤٤ – الشيخ كراس ٤٥ – لكمدين بابا ٤٦ – بهلوك بلك دانا ٤٧ – الشيخ ابراهيم الخوزستاني ٤٨ – خاتونة فخر ٤٩ – هسن – حسن – جلال – ٥٠ – اندريس خياط ٥١ – بوقطار بابا ٥٢ – أومر – عمر – خاله ٥٣ – الشيخ بايزيد البسطامي ٥٤ – بلال الحبشي ٥٥ – الشيخ اسماعيل العنترلي ٥٦ – الشيخ عبد القادر الكيلاني ٥٧ – پير همالي ٥٨ – پير ايسيبيا ٥٩ – مام إسيان ٦٠ – پير مندكور ٦١ – پير حسن ممان ٦٢ – ميمي اليسيا .

(لكل من هؤلاء الأولياء مقام في الشيخ عادي)

٦٣ – ستون مزاراً : اسم لصخرة كبيرة على هيأة الاسطوانة رابضة في مرقد الشيخ عدي يعتقدون أن الشيخ وضعها خصيصاً لتعيين الحظوظ . فكل من استطاع

أن يحتضنها فهو صاحب الحظ السعيد .

٦٤ ــ الشيخ محمد الرحماني ٦٥ ــ پير خوشابه ٦٦ ــ بوي قلندر ٦٧ ــ ماركوركيس ٦٨ ــ الشيخ بابك ٦٩ ــ زينل باك ٧٠ ــ شيخكي دوملي ٧١ ــ كوچاك لالش « أي لالش الصغير » . (ولكل من هؤلاء الأولياء مقام في مرقد الشيخ عدي) .

٧٢ ــ الشيخ حسن « في قرية مام شفان » .

(المراقد في قضاء سنجار)

٧٣ ــ الشيخ شرف الدين : بين قريتي « البيتونية » و « على دينا » .

٧٤ ــ الشيخ آمدين : « لعله الشيخ عماد الدين » في قرية « مهركان » .

٧٥ ــ الشيخ شمس : في قرية « بشتكيري » .

٧٦ ــ شيبو قاسم : لعله الشيخ أبو القاسم أحد السادة العلويين .

٧٧ ــ چلميران : بين قريتي « سم استر » و « كولكان » .

٧٨ ــ الشيخ بركات : في قرية « نخسي عوج .

٧٩ ــ الشيخ شمس : في قرية « جفرية » .

٨٠ ــ الشيخ حسن : في قرية « كاباره » .

٨١ ــ الشيخ دقيق : له مقام بين قريتي « حمسكي » و « باره » .

٨٢ ــ الشيخ عبد القادر : في قرية « المجنونية » .

٨٣ ــ محمد رشان : في شمالي قرية « تبه » .

٨٤ ــ الشيخ رومي السنجاري : قرب قرية « آديكه » .

٨٥ ــ علي بن هاب : مزار إسلامي تشترك قبيلة « الهبابات » اليزيدية في تقديسه .

٨٦ ــ الشيخ أسود : قبره وسط خرائب سنجار يقصده اليزيديون والمسلمون على السواء .

٨٧ ــ الست زينب : يقع مقامها على ربوة عالية في المدينة .

٨٨ ــ سلمان پاك : في مغارة بمضيق « قجراغ » قرب سنجار .

٨٩ ــ كاني پير آخايي : ينبوع ماء كبير في قرية « كوالكان » قرب استر .

هذا معظم ما لليزيدية من المقامات المقدسة في القضاءين : الشيخان وسنجار . وقد تفضل أمير اليزيدية مشكوراً فيسّر لنا مشاهدة معظم المزارات في الشيخان ، وتيسر لنا زيارة بعض مزارات سنجار بصفتنا الشخصية وبمساعدة بعض المعارف .

الفصل العاشر

الاحصاء والسكن وغيرهما

(النفوس)

لا يوجد إحصاء رسمي لنفوس اليزيدية ، لا في العراق ولا في خارجه ، لأن حكومات الشرق العربي ، التي يعيش معظم اليزيديين في كنفها ، لم تقم باحصاء سكان بلادها إحصاءاً علمياً دقيقاً على النحو الذي تقوم به الحكومات الكبرى في الغرب .

وقد ورد في ص ٥٧ من تقرير اللجنة الأممية التي أوفدتها عصبة الأمم إلى العراق في سنة ١٩٢٥ م ، لدرس الخلاف بين العراق وتركية حول عائدية ولاية الموصل ، ان عدد اليزيدية في العراق يتراوح من ٢١,٠٠٠ إلى ثلاثين الف نسمة (نظراً إلى الإحصاءات البريطانية والعراقية ، وأقل من ١٨,٠٠٠ نظراً إلى بيانات الترك) [١] ويقطن زهاء خمس هذا العدد في قضاء الشيخان ، حيث مراقد أئمتهم ، ومساكن أمرائهم ، وقرى مشايخهم ، كما يقطن ثلاثة أخماسهم في قضاء سنجار ، حيث المناعة الطبيعية ، والهواء الطلق ، والماء العذب [٢] أما الخُمس الباقي فمتفرّق بين قرى القضاءين دهوك وزاخو ، وفي بعض القرى الأخرى .

---

(١) تقرير الحدود : مطبعة الحكومة بغداد ١٩٢٥ م . وقد أجرت الحكومة العراقية إحصاءاً عاماً لنفوس العراق في ١٩ تشرين الأول ١٩٤٧ م فتبين منه ان نفوس اليزيدية في العراق في هذه السنة كان (٣٢٤١٠) نسمات منهم (١٥٠٠٢) من الذكور و (١٧٤٠٨) من الأناث وان هنالك ٢٧ يزيدياً يقيمون إقامة جبرية في خارج لواء الموصل الذي يقطن اليزيديون في أقضيته ونواحيه . أما الاحصاء الذي تم في العراق في تشرين الأول سنة ١٩٥٧ فدل على ان نفوس اليزيدية كان ٥٥,٨٨٥ نسمة منهم (٢٨,٢١٠) من الذكور (٢٧,٦٧٥) من الأناث . وكان آخر إحصاء عام جرى في العراق هو الذي تم في ١٠ تشرين الأول ١٩٦٥ وظهر فيه ان نفوس اليزيديين فيه كانت ٦٥,٧١٥ نسمة منهم ٣٣,٢٣٧ من الذكور و ٣٢,٤٧٨ من الاناث .

(٢) لم يكن في سنجار يزيدية يوم اتخذ الشيخ عدي بن مسافر مقامه في وادي ليلش بالشيخان ، ولكن رجلاً من أصحابه أصابه عنت في الشيخان ، فانتقل إلى سنجار ومعه ٤٠٠ أسرة فكانت سنجار وطناً ثانياً لليزيدية . وليس لدينا تاريخ مضبوط لهذه الهجرة — مع الاسف —

وينقسم يزيدية « قضاء الشيخان » إلى قسمين رئيسيين :

(١) الروحانيون – بمختلف رتبهم الدينية – وهم الذين ينتسبون إلى السلالات الدينية المعروفة .

(٢) المريدون – وهم عامة أفراد اليزيدية – الذين يكدّون ويشقون لإسعاد رؤساء دينهم . وهؤلاء ينتمون إلى عدة قبائل أشهرها القائدية ، والدنادية ، والماموسية ، والروزكي .

كما ينقسم يزيدية « قضاء سنجار » إلى قسمين رئيسيين أيضاً ، ولكنهما من نوعين آخرين ، فهما فريقان كبيران :

الجوانا والخوركان ، ولكل منهما أفخاذ وفروع [١] ويرتدي الجوانا قبعاً طويلاً من الصوف ، يلفّ فيه يشماغ أحمر أو كوفية سوداء ، ويظفر شعره في جدائل طويلة مرسلة فيتميز بذلك عن الخوركان ، ويدعي أنه أقدم عهداً من الفريق الثاني بالظهور في جبل سنجار ، ولهـذا فإنه يحتفظ بتقاليد وآداب قد لا يقرّه عليها الخوركانيون ، وهو يترفع عن تزويج ابنته من الخوركان مهما بلغ مقامه ، كما يترفع عن اتخاذ الفتاة الخوركانية زوجة له .

أما عدد اليزيديين في خارج العراق فغير معروف أيضاً ، ولعله لا يقل عن عددهم فيه ، إلا أنه آخذ بالتناقص جيلاً بعد جيل ، لكثرة ما لقيهم من الاضطهاد – كما سنبحث ذلك في الفصل القادم – ولاعتقادهم أن اليزيدي يجب أن يخلق يزيدياً من أب وأم يزيديين ، دون أن يداخلهما دم أجنبي .

(المواطن)

لم يكن اليزيديون قديماً منحصرين في بقاع ضيقة ، كما هم الآن ، إذ المعروف أنهم كانوا يؤلفون وحدة جغرافية واسعة الرقعة وقائمة بنفسها [٢] أما اليوم فيكادون

---

(١) أشهر فروع الـ « جوانا » اثنا عشر فرعاً وهي : ١ – الهبابات . ٢ – ملا محيي . ٣ – ملا خضر . ٤ – نلكان . ٥ – مهر كان . ٦ – ملا عيسى . ٧ – آدى دله . ٨ – ملا علي فرا . ٩ – هسكاليه . ١٠ – ملا خالتي . ١١ – مسقورة . ١٢ – عالدنيا .

أما أشهر فروع (الخوركان) فهي الفقراء والقيروان وسموقة وهسكلن وجقرية وحليفه والالدحية وجلكان ورزكان والكور كوركه وجلكا (أي أحد عشر فرعاً أيضاً) .

(٢) راجع تقرير لجنة الحدود – المتقدم ذكره – ص ٥٩ .

ينحصرون في العراق في نواحي الموصل على يمين دجلة « في سنجار » وعلى يساره « في الشيخان » عند محجّهم الأكبر ، مرقد الشيخ عدي ، وفي القرى المنعزلة في القضاءين دهوك وزاخو .

وأما في خارج العراق فهم منتشرون في المناطق الآتية :

(١) منطقة ديار بكر ، وماردين ، وجبل الطور .

(٢) منطقة حلب ، حول كلّس وعينتاب .

(٣) البلاد الأرمنية الواقعة على الحدود بين تركية وروسية ، ولا سيما في المنطقتين قارص وأرَوان ، وحول تفليس ، وباطوم .

ويقال إن في الهند ، وفي إيران ، بعض طوائف من اليزيدية ، ولكنهم يعرفون بأسماء أخرى . كما أن معظم اليزيدية في روسيا تخلّوا عن الكثير من عقائدهم وتقاليدهم ، نتيجة لاختلاطهم بأقوام هم أرقى منهم ، ولا سيما وهم مجبرون على ارتشاف مناهل العلم والعرفان في تلك الديار ، أسوة بسكان الإتحاد السوفياتي [١] .

ونظراً للاضطهادات التي توالت على هذا الفريق من الناس ، فقد أصبحوا رجال حربٍ ، يتمرّنون على البندقية من حداثتهم ، ويحرصون على اقتناء الأسلحة التي يفاخرونَ بها كأجمل زينة لهم مفاخرة المرأة بزينتها ، ولهذا فان أكثرِيتهم يسكنون جبل سنجار ، المعروف بمناعته الطبيعية ، فهو صعب المنال لا يمكن اجتيازه بسهولة ، وترى قرى اليزيدية مبثوثة عند أول الجبل ، فاذا داهمهم خطب ، أو شعروا بضيق ما ، هجروا قراهم إلى المغاور والكهوف ، فلا يخرجون منها إلا متى شعروا بزوال الشدة والخطر ، وهم يعدون « جبل سنجار » شبه دارعة حربية مصفحة بالفولاذ ، يعتصمون بها كلما نزلت بهم نازلة أو أحاق بهم خطر .

واليزيدية حَضَرْ ورُحّل ، مثلهم في ذلك كمثل بقية القبائل العراقية المعروفة . أما الحضر فهم الذين يأوون إلى المساكن المبنية بالطين والآجر ، أو بالحجارة ،

---

(١) زرنا الاتحاد السوفياتي في آب ١٩٦٠ لحضور مؤتمر المستشرقين الخامس والعشرين الذي عقد في موسكو بين التاسع والسادس عشر من الشهر المذكور ، وحضره العلماء والكتاب والمؤرخون من سائر أطراف العالم ، ولما سألنا المستشرقين الروس عن اليزيديين القاطنين في الاتحاد السوفياتي ، أجابوا أنهم أصبحوا خبراً من الاخبار حتى ان « دائرة المعارف السوفياتية » لم تشر اليهم إلا إشارة عابرة

سواء كانوا في القرى أم في القصبات ، وأما الرحّل فهم ، الذين يظعنون لارتياد مساقط الغيث ، ومواطن العشب ، ويسمونهم الكواچر ، — بالجيم الفارسية — .

« المهنة واللباس »

ولقد حرّم اليزيديون على أنفسهم البيع والشراء ، وتجنبوا التجارة والصناعة والملاحة ، لأن من شأن هذه الأمور أن تدفع بالانسان إلى ارتكاب جريمتي الغش والكذب ، فينتج منهما السب واللعن ، ومرجعهما طاووس ملك « الذي يطلق عليه أهل سائر الأديان اسم الشيطان » ، وقد سبق أن أوضحنا في موضع آخر من هذا الكتاب أن كلمة الشيطان أصبحت عندهم احتقاراً وإذلالاً لمعبودهم « طاووس ملك » وكما أنهم لا يلفظونها البتة ، فهم لا يريدون أن يلفظها الغير أمامهم ، وقد يستحلّون دم من يتعمد ذكرها أمامهم . كما أنهم لا يلفظون كلمة « اللعن » وما اشتق منها كالنعل ، واللعنة ، والنعلبند [1] وما شاكلها لهذا الغرض .

ونستطيع أن نقول أن مهن اليزيدية الأصلية تنحصر في الزراعة ، وتربية الماشية . أما مزروعاتهم فهي الحنطة ، والشعير ، والذرة ، والحمص ، والعدس ، وسائر البقول ، وأما ماشيتهم فهي البغال ، والحمير ، والأغنام ، وهم ينتفعون بأثمان صوفها ولبنها وبعرها ولحمها .

قلنا أنه يحرم على اليزيدية لبس الأزرق من اللباس فما هو لباسهم ؟

يعتقد اليزيديون أن البياض لباس أهل الجنة فلا يرضون عنه بديلاً ، وعلى هذا يقتصر لباس اليزيدي على ثوب أبيض يزرّ من أحد جانبيه ، أي لا يجوز أن يكون صدر الثوب من الأمام ، وعلى سروال من خام أبيض ، ومنطقة من الصوف يتمنطق بها . هذا إذا كان من العامة ، أما إذا كان من رجال الدين ، فيكون اللباس أسود في أحايين كثيرة ، ويزيد « الفقير » إلى الثوب والسروال قطعة سوداء من الصوف يعلّقها على صدره كالصدرية تسمى « خِرقة الفقير » وهي مقدسة لا يجوز الحلف بها كذباً ، كما لا يجوز خلعها إلا إذا مات الفقير أو بليت فيستبدلها بغيرها .

أما لباس النساء فالثوب والسروال المنسوجان من القطن البلدي الأبيض ، والقناع المعمول من الشاش الأبيض ، مع عمة بيضاء على الرأس . والمشهور أنه متى

---

(١) وهو الحذاء الذي يحذي ارجل الخيل بالحديد .

تخلّت المرأة اليزيدية عن رمزها الروحي « أي سروالها » فإن ذلك دليل خروجها من من الدين اليزيدي ، على أن لنساء بيت الإمارة أن يلبسن ما طاب لهنّ من السندس ، والحرير ، والاستبرق ، ولكنهن لا يلبسن الأزرق مطلقاً .

ولباس الرأس للرجال هو الكوفية « اليشماغ » الأحمر والعقال ، أو الكوفية الحمراء وحدها ملفوفة على هيأة ما يسمى في بغداد بال « چرّاوية » وللنساء العمة البيضاء ، أما يزيدية جبل سنجار ، ولا سيما الجوانا فإن لرأسهم ملبوساً خاصاً هو القبّع الذي أشرنا إليه في صدر هذا الفصل .

وإذا وجدنا اليوم بين اليزيدية من يتعاطى البيع والشراء خلسة ، أو يتساهل في لبس الأزرق من اللباس أحياناً ، أو لا يشقّ جيب قميصه من أحد جانبيه ـ كما يجب أن يفعل ـ فليس معنى ذلك أن الديانة قد أباحت له شيئاً من ذلك ، ولكن اليزيديين أخذوا يشعرون بما ولدته لهم هذه القيود من آثار سيئة ، فصاروا يتخلون عنها بالتدريج . شأنهم في ذلك شأن جماعة الصابئة التي تخلّت عن الكثير من طقوسها وآدابها الدينية نتيجة لتطور الزمان والمكان .

(الغذاء والشراب)

لا يختلف الغذاء الذي يتناوله اليزيدي في الأرياف ، عن ذلك الذي يتناوله فيها جاره المسلم ، أو صنوه المسيحي ، فالكل في الهواء سواء ، ولكن اليزيدي يكثر من أكل الجبن والبصل [1] كما أنه يستعمل « الكشك » في الشتاء بكثرة ، وهو يفضّل خبز الشعير على خبز الحنطة إغراقاً منه في الزهد ، وإمعاناً في التقشف وإنكار الذات ، كما أنه يمتنع عن أكل الخس ، والملفوف ، والقرنابيط ، لأنها تسمد بعذرة الانسان . أما اللحم فلا يأكله إلا نادراً ، وإلا إذا حلّ السنجق في الديرة التي هو فيها أو بالقرب منها ، حيث تنحر الخراف دون حساب ، وتقام الولائم اكراماً لطاووس ملك .

أما في القرى والأرياف ، فالزهد والتقشف أهم ميزة تلاحظ في غذاء اليزيدي

---

(١) وللبصل والجبن عندهم قيمة كبرى ، وذلك انهم يحملون معهم البصل والجبن ويتخذونه غذاءهم . ومن ضرب أمامهم البصل بجمع فكسر رأسه ، يخشى عليه أن يقتل ويمرد رأسه كما فعل بالبصل .

رواه العزاوي في ص ٧٢ نقلاً عن « اوليا چلبي في سياحته » في ج ٤ ـ



(جماعة من يزيدية سنجار وترى جدائلهم على اكتافهم والقبع فوق رؤوسهم)

حتى أنه يجمع سمن أبقاره وأغنامه فيبيعه ولا يستعمله لنفسه . فهو لا يأكل من اللحوم غير القليل ، لكنه يكثر منها عندما يكون الـ « طاووس ملك » في ضيعته أو قصبته، حيث تقام الولائم العامة، وتطهى المأكولات من دون حساب . أما لحم الخنزير فمحرّم عندهم تحريماً مطلقاً . وهم لا يأكلون السمك « احتراماً ليونان النبي » . ولا الغزال « غنم أحد أنبيائهم » ويحرم على الشيوخ وتلامذتهم أكل الديك « احتراماً للطاووس ملك » .

ويشرب اليزيديون النبيذ ، ولا سيما العرق، وسائر المشروبات الروحية، بإفراط ، إذ لا تتم أعراسهم وأفراحهم وطوافاتهم ونحوها بغير المشروب، على الرغم من أن هذه المشروبات محرمة عليهم من الوجهة الدينية .

(الاحوال الشخصية)

نصت المادة الثالثة والسبعون من « القانون الأساسي العراقي » الصادر في عام ١٩٢٥ على ما يلي :

(للمحاكم المدينة حق القضاء على جميع الأشخاص في العراق ، في كل الدعاوى والأمور المدنية والجزائية ، والتي تقيمها الحكومة العراقية ، أو تقام عليها ، عدا الدعاوي والأمور الداخلة في اختصاص المحاكم الدينية ، أو المحاكم المخصوصة...

وقسمت المادة الخامسة والسبعون من هذا القانون المحاكم الدينية إلى المحاكم الشرعية ، والمجالس الروحانية الطائفية .

وخصت المادة السابعة والسبعون (المحاكم الشرعية وحدها بالنظر في الدعاوي المتعلقة بأحوال المسلمين الشخصية ، والدعاوي المختصة بإدارة أوقافهم) .

وكانت الحكومة العثمانية تعتبر (الطائفة اليزيدية) فرقة من الفرق الإسلامية الضالة ، وتطبق بحقها أحكام الشريعة الإسلامية السمحة ، وتنظر إلى أفرادها نظرها إلى بقية المسلمين . لهذا كانت ترفض قبول البدل النقدي عن الخدمة في الجيش ، وهو البدل الذي كانوا يجوّزون أخذه من الامم غير المسلمة (أي الذمية) .

ولما تألفت الحكومة الملكية العراقية في ٢٣ آب ١٩٢١ م — وهي التي ورثت حكم العراق من الترك العثمانيين — نهجت منهجاً آخر تجاه الأقليات غير المسلمة في العراق ، فنصت المادة (١٣) من قانونها الأساسي على ما يلي :

« الإسلام دين الدولة الرسمي ، وحرية القيام بشعائره المألوفة في العراق على اختلاف مذاهبه محترمة لا تمس ، وتضمن لجميع ساكني البلاد حرية الاعتقاد التامة ، وحرية القيام بشعائر العبادة ، وفقاً لعاداتهم ، ما لم تكن مخلة بالأمن والنظام ، وما لم تناف الآداب العامة » إ هـ .

وبهذا النص الصريح نفت الحكومة العراقية عن الطائفة اليزيدية صفة الاسلام ، لأن الطقوس اليزيدية لا تعدّ مخلة بأمن الدولة ونظامها ، ولا منافية للآداب العامة .

ولقد ذكرنا في موضع آخر من هذا الكتاب : ان أمير اليزيدية مصون غير مسؤول ، وأنهم يولّونه القضاء المطلق على أبناء الطائفة ، وأن من يعتدي على أوامره ، أو ينال من كرامته ، أو يخالط من غضب عليه ، يعرض نفسه للقصاص الصارم ، وهو استباحة بيته ، وماله ، وإسقاطه من حقوقه المدنية والروحية ، فكيف يولى الأمير مثل هذه السلطات الواسعة وليس في القانون الأساسي العراقي ما يمنحه سلطة القضاء على الناس ؟ ولا النظر في الأحوال الشخصية لطائفته اليزيدية ؟ هذا ما نريد أن نستنتجه من الحوادث التالية :

* * *

كان « أمير اليزيدية » سعيد بك بن علي بك (١٩١٣ — ١٩٤٤) قد أسرف في الفساد ، واستبدّ بالخيرات والصدقات ، وأثار حفائظ الرؤساء ، فانشقت الطائفة

ورشح حسين بك نفسه للامارة ، بصفة كونه أحد أفراد عائلة الأمير ، الذين يحق لهم تولي منصب الإمارة ، بحسب التقاليد اليزيدية ، وصار يدعو إلى نفسه في الجهر وفي الخفاء ، فقوي حزبه ، واتسع أمره ، وفي الوقت نفسه أخذ رؤساء اليزيدية في جبل سنجار يدعون إلى أنفسهم ، وينافسون حسيناً في دعوته لنفسه ، فكان « الفقير حموشيرو » والشيخ خلف الهسكان ، والشيخ خضر القيراني ، وهم الذين كانوا يتمتعون بنفوذ حكومي واسع منذ الاحتلال البريطاني الأول لسنجار في عام ١٩١٨ م ، في مقدمة من طالب بمنصب الامارة ، وإن كانت التقاليد الدينية لا تسمح لهم بذلك .

وصادف وصول السنجق « طاووس ملك » إلى سنجار في عام ١٩٣٠ م للطواف به بين القرى اليزيدية ، وجمع الصدقات والخيرات السنوية ، فطارده « حموشيرو » وصادره قسراً من القوّالين الذين كانوا يطوفون به ، فبذلت الحكومة المحلية جهوداً مضنية لحمل المومى اليه على تسليمه إلى حسين بك (مرشح الشيخان) ولكنه كان يماطل ويسوّف ، حتى صار يطالب أخيراً بإعلان إمارة حسين بك ، بدلاً من سعيد بك ، ليتسنى له تسليم السنجق إلى الأمير الجديد على صورة شرعية صحيحة ، وما لبث أن أعلن عن استعداده لحماية حسين بك إذ انتقل إلى قرية (جدّالة) في قضاء سنجار ، وتسليم السنجق اليه ، فيكون هذا المعبود قد انتقل من الشيخان إلى سنجار .

* * *

وبناء على تقدم ، رفع سعيد بك عريضة إلى الملك فيصل الأول بتاريخ ١٤ تشرين الأول ١٩٣١ م سجلت في مجلس الوزراء برقم ٤٤٦٧ ادعى فيها « ان متصرف لواء الموصل في تلك الحقبة ، السيد عبد العزيز مظفر ، أخذ منه (أحد السناجق الثلاثة ووعده قاسماً بشرف الحكومة وشرفه ان يعيده) ولكنه سلّمه إلى حموشيرو رئيس الفقراء في سنجار » ثم يضيف إلى ذلك قوله :

وحيث ان السناجق الثلاثة كانت محفوظة عندي ، وعند آبائي وأجدادي ، محافظاً عليها بصفتي رئيساً روحانياً لطائفة اليزيدية في العراق ، وفي البلاد السورية ، وبضمنها الشام وحلب ، وفي تركية ، علاوة على رئاستي الروحانية لجميع المقيمين في البلاد الروسية من المنتسبين إلي . هذا وحيث ان رئاسة الطائفة لا تكون إلا في أولاد أحفاد يزيد عليه السلام حسب أحكام الدين ، وأن هناك نفراً قد ضلّوا الطريق ومرقوا من الدين ، فأدخلوا السياسة في الأمور الدينية البحتة ، وبدأوا يصطادون في الماء العكر ، فخلقوا من بينهم من لا دين لهم . أناس دأبهم دس الدسائس وايجاد

الفنّ لهـذه الطائفة التي كانت ولا تزال ، باستثناء هؤلاء ، عـلى أتم وفـاق فيما بينها ، وعلى أحسن ما يرام في حياتها الدينية والدنيوية ، مطيعة مخلصة للحكومة العراقية على الدوام . وحيث كنت ولا أزال رئيساً روحانياً للملة اليزيدية بأجمعها ، ومتولياً على أوقاف الشيخ عادي عليه السلام ، وحيث أن موارد هذه الأوقاف هي مما يتجمع من الأهلين أثناء طوفان السناجق ، وبيدي فرامين التولية ... جئت بعريضتي مسترحماً إعادة السناجق المأخوذة مني ... الخ ... »

وفي الوقت نفسه قدّم رؤساء قضاء سنجار طلباً آخر إلى الملك فيصل بجعل السناجق في حوزتهم [1] .

وأدرك سعيد بك الخطر الذي بدأ يتهدد نفوذه . وما هي إلا عشية وضحاها حتى انسحب حسين بك من ترشيح نفسه لمنصب الامارة ، وصالح الأمير سعيد بك، بعد أن شعر أن التعرّض له يمس أصلاً من أصول الدين، لأن « الأمير مصون غير مسؤول » ولأنه لا يجوز عزله بصورة مطلقة ، ولكن الطاووس بقي في حوزة حموشيرو المقيم في سنجار .

وفي غمرة هذه الأحوال المتباينة ؛ ارتأت الحكومة أن يشكل مجلس من رؤساء السلالات اليزيدية المعروفة لوضع نظام قضائي لاحوال الطائفة الشخصية ، وللبت في شؤونها القضائية ، ولكن مصالحة حسين بك للأمير سعيد بك أفسدت المشروع ، فأصبح يزيدية سنجار لا يعترفون بالأحكام التي يصدرها أمير الشيخان في الأحوال

---

(١) تقول الآنسة G. BELL في كتابها Review of the Civil Administration of Mesopotamia P 50 London 1920

« كان أمير اليزيدية الحالي هو سعيد بك ، وكان ابن عمه اسماعيل قد اتصل بنا قبل احتلال الموصل وزارنا في بغداد ، كما كان مفيداً لنا في تدابير الحملة الاستطلاعية التي قام الكبتن هدسن في جبل سنجار سنة ١٩١٨ م . وعلى هذا كنا مدينين له وخاصة بمعاملتنا له كرئيس لليزيدية كما كان يدعى على الدوام.وقد دبّر للتوفيق بين ادعاءات اسماعيل — چول — وسعيد المتعارضة ان نعطي ثلاثة من الطواويس المقدسة التي كانت تملكها ، يعطي الحق بجمع الإعانات الدينية من الأتباع إلى اسماعيل بك . على ان هذه الترتيبات لم تكن قابلة للتطبيق لأنها تشابه وجود بابوين إثنين متخاصمين في إقيومين . وقد ثبت ان إسماعيل لا يؤتمن ، وغير مقتدر على الامتناع عن الدسائس الحقيرة من أي نوع كان ، فوجد أنه من الضروري إرساله إلى بغداد فاستعاد الرئاسة من غير شريك » ا هـ .

الشخصية العائدة ليزيدية جبل سنجار ، وإذا حدثت قضية نكاح مثلاً في سنجار ، فإن الموظف الاداري لا يستطيع أن يبت فيها ، إذا أحالتها المحكمة عليه ، فيضطر لارسالها إلى أمير الشيخان ، وقد سبق القول ان يزيدية سنجار لا يتقيدون بأحكام أمير الشيخان ، كما أن محكمة التميز لا تعترف بصفة قانونية للأمير ، ولا تقرّ الصلاحيات التي يمارسها في القضاء على الرعية ، ولا سيما في قضايا النكاح والقسّام والطلاق ... الخ .

وبعد جهود كثيرة ومحاولات عديدة أعاد (حموشيرو) السنجق إلى دار الامارة في شيخان ، بواسطة السلطات الحكومية ، فعاد (طاووس ملك) إلى (خزينة الرحمن) في (باعذرا) في يوم ٢٠ أيلول ١٩٣٢ م أي بعد سنتين من مصادرته . وفي تموز ١٩٤٤ م لبّى الأمير سعيد بك دعوة ربه ، فخلفه ولده تحسين بك ، ولما كان هذا دون سن الرشد ، فقد نصبت جدّته « ميان خاتون بنت عبدي بك » وصية عليه حتى يبلغ الثامنة عشرة من عمره ليرى يزيدية جبل سنجار رأيهم فيه ، فإن وجدوه كأبيه – سعيد بك – بقوا على قطيعتهم مع دار الإمارة ، وإلا عادت صلات الولاء والاحترام ، وتقديم النذور والخيرات سيرتها الأولى .

ومن الغريب أن تستصدر (مديرية الأوقاف العامة) إرادة ملكية بتولية أمير اليزيدية تحسين بك على أوقاف الشيخ عدي بن مسافر الأموي ، وهي تعلم أن الأمير يزيدي ، والشيخ مسلم . ولكن الذي يزيل هذه الغرابة صورة عريضة لدينا كان أمير الشيخان رفعها إلى المندوب السامي البريطاني في العراق في ٢٢ تموز ١٩٣٠ م ، وهذا نصها بحروفها :

فخامة المندوب السامي المحترم

لا يخفى على فخامتكم أن مرقد الشيخ عادي الكائن في قضاء الشيخان ، منذ ألف سنة هو مختص إلى عبادة ملة اليزيدية ، وتحت تولية أمير ملة اليزيدية . وحيث ان دائرة أوقاف الموصل قد تشبثت بوضع يدها على اوقاف المشار اليه ، ولكون ان أوقاف الملل الغير المسلمة هي مستثناة من مداخلات دائرة الأوقاف ، وهذا ثابت بالعيان ، وبحسن النظر ، وبقيود الرسمية ، فعليه مبدئياً نسترحم إعطاء الأمر القطعي بعدم مداخلات دائرة الأوقاف في شؤون هذا الوقف ، ولأجل تسجيل أوقاف المرقد المشار اليه باسم الوقف مجدداً ، وتحت تولية المير ، إعطاء الأمر أيضاً إلى دائرة طابو الموصل بلزوم إجراء التخريط ، والكشف ، وربط الأوقاف المذكورة بسندات

رسمية كما عرضنا آنفاً . وبهذه الوسيلة تتحافظ حقوق الوقف هذا والأمر لفخامتكم سيدي .

١٩٣٠/٧/٢٢ الرئيس الروحاني لعموم ملة اليزيدية : أمير الشيخان : سعيد .

* * *

ولعلَّ من المفيد ان ننشر هنا قائمة بمعدل واردات « أمير اليزيدية » السنوية من الطواف بالسناجق المقدسة ، ومن بدلات التزام المواضع المقدسة . وهذه هي الواردات بالدنانير :

٤٠٠٠ بدل ضمان سنجق سنجار لمدة سنة يطاف به خلالها مرتين .
١٥٠٠ بدل ضمان سنجق الشيخان لمدة سنة يطاف به خلالها ثلاث مرات .
١٥٠٠ بدل ضمان مرقد الشيخ عدي .
٥٠٠ بدل ضمان مرقد الشيخ شمس .
٥٠٠ بدل ضمان العين البيضاء « كاني آسي » .
٥٠ بدل مرقد الشيخ مند في بعشيقا .
٥٠ بدل مرقد فخرية خاتون « خاتونه فخر » .
٤٠ بدل مرقد الشيخ آمدين .
٣٠ بدل مرقد الشيخ ناصر دين .
١٥ بدل مرقد حسن ممان

٨١٨٥ المجموع .

وهناك دخول وواردات من القرى والمزروعات الموقوفة على مرقد الشيخ عدي ، وكذا الهبات والعطاءات التي ترد إلى أمير الشيخان دون انقطاع ، مع مهور الفتيات اللاتي يتزوجن وليس لهن من يتولاهن ، والغرامات التي يفرضها الأمير على أتباعه ، والرسوم المفروضة على الأبقار ، والأنغام ، فيكون المجموع الكلي عشرة آلاف دينار في السنة .

الفصل الحادي عشر

اضطهاد اليزيدية

« تمهيد »

أتينا في مواضع عديدة من الفصول المتقدمة على أن أجداد اليزيدية كانوا على دين مخالف للتوحيد ، وانهم اعتنقوا الإسلام بعد حلول الشيخ عدي بن مسافر الأموي بين ظهرانيهم ، وانتشار تعاليمه الصوفية فيهم ، تلك التعاليم المبتنية على وجوب الانقطاع إلى عبادة الواحد الأحد ، وضرورة ترك الخلافات المذهبية والقومية جانباً ، وتجنب عادة اللعن والسب التي كانت منتشرة في هاتيك الأطراف عصرئذ ، وقلنا إن الضلال والزيغ في معتقداتهم ظهرا بعد وفاة الشيخ الصالح المذكور ، وانبعاث براعم الدين القديم ، الذي كان قد اختفى بعد إسلامهم ، وقد رجّح الكتاب والمؤرخون وقوع ذلك في زمن الشيخ حسن ، المعروف عندهم بالبصري ، وهو الحسن بن عدي بن أبي البركات بن صخر بن مسافر الأموي ، لهذا لا عجب إذا وجدنا القوم يتعرضون إلى نقمة الملوك والأمراء حتى الشعوب ، بعد خروجهم من الإسلام ، وإنقيادهم إلى تعاليم وآراء ليس في إمكان أحد أن يتصورها او يقول بها ، وهل في العالم اليوم من يرضى بعبادة الشيطان واعتباره شريكاً لله تعالى في تدبير الملك وفي إدارة شؤون الكائنات ؟

يضاف إلى ذلك ان معظم اليزيديين ــ كقبائل رُحّل ــ اعتادوا قطع الطرق ، ونهب السابلة ، ومهاجمة القرى النائية كلما سنحت لهم الفرصة ، أما المتوطنون منهم فقد اعتادوا الامتناع عن تأدية الضرائب الأميرية بغير القوة ، والتأخّر في تسديد الرسوم والأعشار الحكومية بدون مطالبة أو إلحاح ، الأمر الذي زاد في نقمة الحكام عليهم ، وعودوهم على تجريد الحملات التأديبية لحملهم على إطاعة النظام ، وإبراء ذممهم بانتظام .

وفي الأسفار التاريخية المخطوطة ، والاخبار المدونة الصحيحة ، ان اليزيدية كانوا يتعرضون للحكام في أويقات مختلفة ، ويفسدون عليهم خططهم دون مسوّغ ، فيعرضون أنفسهم إلى الاضطهادات المريرة ، والعقوبات التي تبقى آثارها عالقة في

الاذهان زمناً طويلاً . وليس في الإمكان ان ننشر كشفاً متسلسلاً بالحوادث التي مروا فيها، والعقوبات التي أنزلت فيهم، لأن ذلك يكوّن كتاباً قائماً بنفسه، لهذا ارتأينا أن نأتي على ثلاث حوادث حصلت لهم قبل أن يؤول حكم العراق إلى العثمانيين، وعلى حوادث ثلاث أخرى حصلت لهم أيام العثمانيين أنفسهم، وعلى حادثة واحدة وقعت في أيام الحكم الوطني في العراق « في عام ١٩٣٥ م » .

وقد حاولنا – في ذكرنا لهذه الحوادث – أن نسجل الوقائع كما وقعت، مستندين في ذلك إلى الأسانيد التاريخية، والوثائق التي لا طعن لطاعن فيها .

١ – (خنق الشيخ حسن بوتر في الموصل)

(حوادث السنة ٦٤٤ هـ ١٢٤٦ م)

قال محمد بن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ (١٣٦٢ م) في ص ٢٤٢ من المجلد الأول من كتابه (فوات الوفيات) في ترجمة الشيخ حسن ما نصه :

« الحسن بن عدي بن أبي البركات بن صخر بن مسافر، الملقب بتاج العارفين، شمس الدين أبو محمد شيخ الأكراد، وجدّه أبو البركات، هو أخو الشيخ عدي « رحمهما الله تعالى » . وكان شمس الدين من رجال العالم رأياً ودهاء، وله فضل وأدب، وشعر وتصانيف في التصوف، وله أتباع ومريدون يبالغون فيه . قال الشيخ شمس الدين الذهبي : وبينه وبين الشيخ عدي من الفرق كما بين القَدم والفَرق [١] ، وقد بلغ من تعظيم العدوية له أنه أقدم عليه واعظ فوعظه حتى رقّ قلبه وبكى وغشي عليه، فوثب الأكراد على الواعظ فذبحوه، ثم فاق الشيخ حسن فرآه يتشحط [٣] في دمه، فقال ما هذا ؟ فقالوا وأيش هذا من الكلاب [٢] حتى يُبكي سيدنا الشيخ، فسكت حفظاً لدسته ولحرمته، وخاف منه بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل [٤] فقبض عليه وحبسه ثم خنقه بوتر بقلعة الموصل خوفاً من الأكراد،

---

(١) الفرق الأول واحد الفروق، والفرق الثاني أصله موضع فرق الشعر من الرأس وأراد به هنا الرأس .

(٢) يتشحط في دمه يتضرج به ويضطرب فيه .

(٣) في « أسماء الأعيان من تاريخ الذهبي » المخطوط في دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٧٦ (الكلاب) بدل الكلام ..

(٤) آخر الملوك الاتابكيين في الموصل .

لأنهم كانوا يشنون الغارات على بلاده ، فخشي أن يأمرهم بأدنى إشارة ، فيخربون بلاد الموصل . وفي الأكراد طوائف إلى الآن يعتقدون ان الشيخ لا بد ان يرجع ، وقد تجمعت عندهم زكوات ونذور ينتظرون خروجه ، وما يعتقدون أنه قتل ، وكانت قتلته سنة أربع وأربعين وستمائة ، وله من العمر ثلاث وخمسون سنة رحمه الله تعالى ورضي عنه » إ هـ [1] .

والمعروف أن شمس الدين هذا دفن في رباط العدوية في شارع الفاروق في الموصل في محلة باب الجديد « محلة باب العراق في الموصل قبلا » ، ولما كان هذا الرباط قريباً من دار الحاج عبد الله ، والد الملا عثمان ، وكان الشيخ أحمد بن الملا عثمان قد اتخذه مسجداً أو تكية للمولوية ، سعى الملا عثمان لدى باب المشيخة الاسلامية في استانبول لتخصيص مبلغ ما لتعميره فتم تعميره سنة ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) وصار يسمى « جامع شيخ شمس الدين العدوي » أو « رباط شمس الدين » . وما تزال على مدخله رخامة عليها هذين البيتين :

عن باب شمس الدين لا تبرحوا   واستفتحوا منـــه فنعم السموح
خطت يـــد الهمـــة تاريخـــه   بباب شمس الدين راق الفتوح
سنة ١٣٢٨ هـ

٢ - « حرق عظام الشيخ عدي »

(حوادث السنة ٦٥٢ هـ - ١٢٥٤ م)

قال أبو الفضل عبد الرزاق الفوطي البغدادي المتوفى سنة ٧٢٣ هـ (١٣٢٣ م) في ص ٢٧١ من كتابه (الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة) في حوادث السنة ٦٥٢ هـ (١٢٥٤ م) ما نصه :

« في هذه السنة جرت بين أصحاب الشيخ عدي بن مسافر ، وأصحاب بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل محاربة ، كان سببها أن بدر الدين كان كثير التثقيل على أولاد الشيخ عدي ، ويكلفهم مالاً على وجه المساعدة ، فأطلقوا ألسنتهم فيه ، فأرسل طائفة من عسكره اليهم فقاتلوهم قتالاً شديداً ، فانهزمت الأكراد العدوية ، وقتل منهم جماعة كثيرة ، وأسروا منهم جماعة ، فصلب بدر الدين منهم مئة ،

---

(١) فوات الوفيات ٢٤٢/١ .

وذبح مئة ، وأمر بتقطيع أعضاء أميرهم وتعليقها على أبواب الموصل ، وأرسل من نبش قبر الشيخ عدياً من ضريحه وأحرق عظامه » إ هـ [1] .

٣ ـ (حفر قبر الشيخ عدي)

(حوادث عام ٨١٧ هـ ١٤١٤ م)

نقل الاستاذ عباس العزاوي عن الجزء المخطوط من كتاب (السلوك لمعرفة دول الملوك) لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي المتوفي سنة ٨٤٥ هـ (١٤٤١ م) كلاماً مشوّهاً عن حادث حدث لقبر الشيخ عدي في عام ٨١٧ ولما كان هذا الكتاب قد طبع [2] فقد آثرنا نقل الكلام المذكور عن الأصل المطبوع وهذا هو بالحرف الواحد :

في هذه السنة ٨١٧ هـ ـ ١٤١٤ م . « أحرق قبر الشيخ عدي بجبل هكار من بلاد الأكراد . وهذا الشيخ عدي ، هو عدي بن مسافر الهكاري ـ بتشديد الكاف ـ صحب عدة من مشايخ الصوفية وسكن جبل الطائفة الهكارية من الأكراد ، وهو من أعمال الموصل ، وبنى له به زاوية فمال اليه بتلك النواحي من بها ، واعتقدوا صلاحه ، وخرجوا في اعتقاده عن الحد في المبالغة ، حتى مات عن تسعين سنة في سنة سبع ـ وقيل خمس ـ وخمسين وخمسمائة فدفن بزاويته ، وعكفت طائفته المعروفة بالعدوية على قبره ، وهم عدد كثير ، وجعلوه قبلتهم التي يصلّون اليها ، وذخيرتهم في الآخرة التي يعولون عليها ، وصار قبره أحد المزارات المعدودة والمشاهد المقصودة لكثرة أتباعه وشهرته في الأقطار . وصار أتباعه يقيمون بزاويته عند قبره شعاره ، ويقتفون آثاره ، والناس معهم على ما كانوا عليه زمن الشيخ من جميل الاعتقاد وتعظيم الحرمة . فلما تطاولت المدة تزايد عدد أتباعه فيه حتى زعموا أن الشيخ عدي بن مسافر هو الذي يرزقهم ، وصرّحوا بأن كل رزق لا يأتي من الشيخ

---

(١) ابن الفوطي « الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة » ص ٢٧١ .

(٢) يقع هذا الكتاب في أربعة مجلدات كل مجلد في ثلاثة أقسام ، وقد طبعت « دار الكتب المصرية » المجلد الأول في ثلاثة أقسام في السنوات ١٩٣٤ و ١٩٣٦ و ١٩٣٩ م ، كما طبعت المجلد الثاني في ثلاثة أقسام أيضاً وذلك في السنوات ١٩٤١ و ١٩٤٢ و ١٩٥٨ م . أما المجلد الثالث فقد طبعت أقسامه الثلاثة في السنوات ١٩٧٠ و ١٩٧٠ و ١٩٧٢ م وطبع القسمان الأول والثاني من المجلد الرابع في عام ١٩٧٢ أما القسم الثالث من هذا المجلد الرابع فقد طبع في عام ١٩٧٣ .

عدي لا نرضاه ، وان الشيخ عدي جلس مع الله — تعالى عن قولهم — وأكل معه خبزاً وبصلاً ، وتركوا الصلاة المفروضة في اليوم والليلة وقالوا الشيخ صلّى عنّا ، واستباحوا الفروج المحرّمة ، وكان للشيخ عدي خادم يقال له حسن التراب ، فزعموا أن الشيخ لما حضرته الوفاة ، أمر حسن هذا أن يلصق ظهره بظهره فلما فعل ذلك ، قال له الشيخ ، انتقل نسلي إلى صلبك ، فلما مات الشيخ عدي ولم يعقب ولداً ، صارت ذرية الشيخ حسن البواب تعتقد العدوية فيها انها ذرية الشيخ عدي وتبالغ في اكرامهم حتّى انهم ليقدمون بناتهم إلى من قدم عليهم من ذرية الشيخ حسن فيخلوا بهن ويقضي منهن الوطر ... فلما شنّع ذلك من فعلهم ، انتدب لهم رجل من العجم يتمذهب بمذهب الشافعي ويعرف بجلال الدين محمد بن عز الدين يوسف الحلواني ودعا لحربهم ، فاستجاب له الأمير عز الدين البختي صاحب جزيرة ابن عمر ، والأمير توكل الكردي صاحب شرانس ، وجمعوا عليهم كثيراً من الأكراد السندية ، وأمدّهم صاحب حصن كيفا بعسكر . وأتاهم الأمير شمس الدين محمد الجردقيلي ، وساروا في جمع كبير جداً إلى جبل هكار فقتلوا جماعات كثيرة من اتباع الشيخ عدي ، وصاروا في هذا الوقت يعرفون بين الأكراد بالصحبتيه ، وأسروا منهم خلائق حتّى أتوا الشرانق ، وهي القرية الّتي فيها ضريح الشيخ عدي ، فهدموا القبة المبنية عليه ونبشوا ضريحه وأخرجوا عظامه فأحرقوها بحضرة من أسروه من الصحبتية وقالوا لهم : انظروا كيف أحرقنا عظام من ادعيتم فيه ما ادعيتم ولم يقدر أن يدفعنا عنه ، ثم عادوا بنهب كبير فاجتمعت الصحبتية بعد ذلك وأعادوا بناء القبة » ا هـ [1] .

٤ ـ (سبي يزيدية سنجار)

(حوادث السنة ١١٢٧ هـ ١٧١٥ م)

جاء في صفحة ٣٧ — ٣٨ من مخطوطة « حديقة الزوراء » للشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ عبد الله الشهير بالسويدي المتوفي سنة ١٢٠٠ هـ (١٧٨٥ م) في حوادث السنة ١١٢٧ هـ (١٧١٥ م) .

« وفي السنة المذكورة ظهر عصيان أهل سنجار ، ونجم طغيانهم في الليل والنهار ،

(١) كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ص ٢٩٤/٢٩٣ القسم الأول من الجزء الرابع .

وهؤلاء قوم يقال لهم اليزيدية ، يحبون زيد بن علي [1] ويعظمون الشيطان ويعضدونه ، وينهون النازلين بهم عن أن يشتموه او يسبوه ، ... وحتى ان المنلا حيدر ، رجلا من علماء الأكراد ، كان يغزوهم بتلامذته وأهل صَنيعته، وقريته ، وهم متحصنون بذلك الجبل الشامخ ، معتقلون بمعقله الباذخ ، ولم يجر عليهم حكم حاكم ، ولا يتبعون قول عالم ، ينكرون الشريعة الغراء ، ويعتقدون المسلمين من جملة الأعداء ، وقد عجزت عنهم العمال ، وذلت دون صولتهم الرجال ، فلما كثر إضرارهم ، وزاد على نهب القرى إصرارهم ، غزاهم الملك المظفر ، والأسد الغضنفر ، بعساكر كالسيل،وجحافل رجال وخيل، فلما قارب جبلهم،وكاد أن يصرم من احتصانهم به حبلهم ، ابتدروه بالنزال ، وقابلوه بالحراب والنبال ، وقاتلوه بالاحزاب والأبطال ، فاشتعلت بينهم نيران الحرب ، وكثر بين الفريقين الطعن والضرب ، لكن حزب الله هم الغالبون ، وأولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ففرّت أعداء الله من بين أيديهم ، وولت هرباً تاركين تليد أموالهم وطريف ذراريهم . وصعد الدستور بنفسه على الجبل بحماته ، وكثر الرهج والقتل في أعداء الدين وعصاته ، فمن نجا منهم بعياله وخيله ورجاله ، ذهب إلى قلعة صغيرة هناك يقال لها الخاتونية أهلها مسلمون ، وفيها المساجد العامرة على ما ينقلون ، لكنها لما كانت في تلك الناحية ، كانت تحت تصرف فئة باغية ، فتحصن من نجا فيها ، وحاصر بناديها ، فقابلها الوزير من جميع جهاتها ، وأرى العطب لمن كان في حمايتها بالطوب المزعج ، والتفك المرهج ، فخرج أهلها المسلمون بأطفالهم ، ودخلوا على الدستور بعيالهم

---

(١) حصر النسابون خلافاتهم في أصل اليزيدية في أربع روايات : ففريق نسبهم إلى يزيد بن معاوية الأموي ، وفريق آخر نسبهم إلى يزيد بن أنيسه الخارجي ، وآخرون قالوا أن كلمة يزيدية مشتقة من (يزد) المدينة الفارسية التي كانت مركز المجوس وديانتهم فانتقلت هذه الديانة إلى شمالي الموصل ، وغيرهم حاول ان يجد في كلمة « يزدان » التي تعني الله أصلاً لهذه الفرقة ، وقد سادت الرواية الأولى « أي نسبة اليزيدية إلى يزيد بن معاوية الأموي » على بقية الروايات ، ولم نجد من نسب هذه الطائفة — من مسلمين وغير مسلمين — إلى زيد بن علي غير السويدي في حديقته ، ويظهر ان ما كتبه السويدي عن حادثة سنجار معظمه مترجم عن « كلشن خلفاء » وعلى كل فقد حقق الدكتور صفاء خلوصي الأستاذ بجامعة بغداد مخطوطة السويدي « حديقة الزوراء » وطبعها في إحدى مطابع بغداد سنة ١٩٦٢ م وقد نقلنا ما جاء اعلاه عن الصحيفتين ٦٥ و ٦٦ من هذا المطبوع .

وأموالهم ، فآمنهم وآواهم اليه ، وعذرهم عما عولوا عليه . ثم ان أولئك البغاة هلك أكثر خيلهم والرجال ، من بندق التفك ورشق النبال ، فدخل القرية عنوة ومحقهم بسيف الانتقام ، وحصل بذلك للمسلمين الانتظام ، وأسر النساء والأطفال ، واغتنم الجند الأموال ، وابتاعوا نساءهم وبناتهم وإماءهم وعاد الوزير منصوراً مؤيداً ، محبوراً مسدداً » إ هـ .

٥ ـ « أمير راوندوز يحاول ابادة اليزيدية »

(حوادث سنة ١٢٤٧ هـ ١٨٣١ م)

يتناقل الموصليون حادثة تاريخية خطيرة وقعت ليزيدية الشيخان في حدود سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) وذكرهـا هنري لايارد في كتابـه v. 1. Nineveh and its Remains, London 1849, P. 276 خلاصتها ان قد كانت هنالك عـداوة قديمـة بين أمير اليزيدية علي بك ، وبين رئيس قبيلة الالقوشيين علي آغا البالطي ، وكان الأمير يتربص الدوائر بغريمه للفتك به ، فدعاه ذات يوم إلى داره في « قرية باعذرا » بحجة انه يختن ولده في حجره ، ليتخذ منه (كريفاً) في حياته . والظاهر ان الرئيس البالطي كان غبياً ، أو أنه كان حسن الظن حتى بخصومه ، بحيث انطلت عليه الحيلة فلبى هذه الدعوة ، وبصحبته خمسة من رجال حاشيته ، دون ان يفكر في العواقب ، فما كاد المقام يستقر به في دار الأمير اليزيدي ، حتى فاجأه جماعة الأمير ، وفي ايديهم سيوفهم البتارة ، فقتلوه وثلاثة من أصحابه ، وهم في ضيافة الأمير ، واستطاع الشخصان الباقيان ان يفلتا من الغدر بأعجوبة .

عزّ على قبيلة علي آغا البالطي ان يقتل رئيسها على هذه الصورة المفجعة ، وبغدرٍ لا تسوّغه سنن القبائل ، ففكرت في الثأر ، ولكن أنّى لها ذلك وقد كان العدو أقوى عدة وعدداً ؟

وكان للقتيل ولد أخ يدعى الملا يحيى المزوري ، اشتهر بين قومه بالزهد والتقوى ، فاستنجد بأمير العمادية للثأر لعمه فلم ينجده ، فاستجار بوالي بغداد فلم يجرْه ، فلم ير بداً من الالتجاء إلى أمير راوندوز محمد باشا المعروف بمير كوه فكان عند حسن ظنه فيه . إذ جهز جيشاً عرمرماً قاد زمامه بنفسه « واجتاز الزاب الأكبر إلى منطقة اليزيديين ، فهجم عليهم هجوماً شديداً ، وأوقع بهم ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وشتت من بقي منهم ، فالتجأ قسم منهم إلى جبال الجودي ، وطور

عابدين ، وسنجار ، واعتصم قسم برؤوس الجبال وأعماق الوديان . وقسم آخر توجه نحو الموصل »[1] للاحتماء بأهلها ، ولكنهم وجدوا الجسر قد أزيح من محله ، لأن مياه الفيضان ــ وقد كان الوقت ربيعاً ــ كانت قد طغت على الضفتين فلم يكن هنالك بد من رفع الجسر ، لهذا التجأ اليزيديون إلى طلول قوينجق ، على ضفة دجلة اليسرى وتحصنوا فيها ، واستطاع فريق صغير ان يعبر النهر سباحة ، ويدخل الموصل آمناً[2] . ولكن جيوش أمير راوندوز ما لبثت ان طاردت هؤلاء المساكين ، وحاصرتهم في المواضع التي تحصنوا فيها عدة أيام ، ولم تفسح المجال لأحد بالإفلات من المصير الذي كان ينتظره ، كما ان أمير اليزيدية ، علي بك لم ينج من القتل ، وإن نجا ولده حسين بك بأعجوبة .

ولم يمض طويل وقت على هذه الحادثة حتى تعرض « يزيدية سنجار » إلى مجزرة أخرى في الحملتين اللتين شنهما عليهم محمد رشيد باشا ، وحافظ باشا . ويقول لايارد في ص ٢٧٧ « ان ثلاثة أرباع السكان كانوا قد أبيدوا . فإن اليزيديين كانوا قد احتموا بالكهوف ، فحاصرهم الجند فيها ، وأبادهم قتلاً بالرصاص والقنابل ، وخنقاً بالدخان ... فاضطر الناجون أن يهجروا قراهم ويشكلوا عصابات لقطع الطرق ، ونهب السابلة ، ومهاجمة القرى » .

٦ ـ (جعل مرقد الشيخ عدي مدرسة دينية)

(حوادث سنة ١٣٠٨ هـ ١٨٩٠ م)

كان اليزيديون يمتنعون عن الخدمة الفعلية في الجيش العثماني لأسباب دينية تمنعهم من ذلك على اعتقادهم « منها الاضطرار إلى لبس الأزرق ، والدخول إلى المرحاض ، وهما من أشد الكفر عندهم ، والعيش بين جنود مسلمين يتوقع كل آن تعوّذهم من الشيطان ، أو لعنتهم إياه عمداً أو بلا عمد ، وسماع كلمة نعل وشط وغير ذلك من الكلمات التي ينفرون منها ، فكانوا يدفعون بدلاً نقدياً كاليهود ، والنصارى ، ولكن حكومة عبد الحميد أرادت ان تجبرهم إلى التجنيد الفعلي ، كما كانت تفعل مع سائر الفرق الإسلامية المنحرفة كالنصيرية ، والاسماعيلية ، والدروز ، وغيرهم لتحققها انهم أيضاً طائفة من المسلمين ، كانوا على الدين القويم ، ثم ضلوا

---

(١) محمد أمين زكي في كتابه « خلاصة الكرد وكردستان » ص ٢٤٤ .

(2) A.H. Layard, P. 275 - 276 V. I.

بإغواء بعض المضلين ، وأوفدت لإرشادهم نقيب ديار بكر الحاج مسعود بك فلم ينجح . وصادف ان كتب من الموصل ، في ولاية عبد القادر كمالي باشا ، بلزوم إرسال قائد عسكري يخوّل صلاحية فوق العادة لأجل قمع العصاة ، والتنكيل بالعتاة ، وردع أرباب السلب والنهب ، وإصلاح ما وجب إصلاحه ، فأجابت القسطنطينية إلى ذلك ، وانتدبت الفريق عمر وهبي باشا لهذا الغرض »[1] ، وقد حددت في الأمور الثلاثة الآتية :

أولاً — تحسين أحوال الجند ، وتحصيل ما بقي من الخراج في ذمم الأهلين .

ثانياً — إخضاع قبيلة شمّر العاصية ، وإسكانها في بعض الأراضي الصالحة للزراعة والفلاحة .

ثالثاً — تهذيب اليزيدية وإرجاعهم إلى حظيرة الإسلام بأسلوب حسن وإرشاد متين .

« فدخل الفريق المذكور مدينة الموصل في ٥ حزيران سنة ١٨٩٠ (١٣٠٨ هـ) في ولاية عثمان باشا[2] ، وبدأ في إنجاز هذه المهمة ، وأول ما فعله أنه اتهم أعضاء مجلس الإدارة باختلاس أموال أميرية فسجنهم مع بعض الأعيان في حبس العامة ... كي يخافه سواد الشعب ... وبعد هذا شكل لجنة تحصيلية تنظر في جميع ما تبقى على الأهالي من الديون الأميرية ... فجمع في مدة قصيرة عن ثماني سنوات سالفة اموالاً طائلة بلغت ٥٢,٠٠٠ ليرة ونيفاً من باقي التزام ، وضمان ، وبدل عسكري ، وخراج ، وتعداد اغنام ، إلى غير ذلك ... وبعد فراغه من جمع الأموال ، عمد إلى إخضاع العشاير العاصية من عربٍ وَشَبَكْ ، وأخذ يبذل لهم الوَرِق والعين في سبيل إسكانهم وتدريبهم على زراعة الأراضي . ثم احضر شيوخ القبائل والزعماء وأمرهم بتسليم ما عِندهم من أسلحة فلبوا طلبه »[3] ، ثم شرع في إنجاز الأمر الثالث ، وهو إرجاع اليزيدية إلى حظيرة الإسلام بالإرشاد المتين والأسلوب الحسن .

---

(١) الدكتور داود الجلبي في كتابه « مخطوطات الموصل » ص ٢٥٢ .

(٢) وصل الفريق عمر وهبي للموصل يوم ١٠ ذي الحجة سنة ١٣٠٩ (٥ تموز ١٨٩٢) كما في مذكرات الخوري بدرية الموصلي — محمد صديق الجليلي —

(٣) القس سليمان صائغ في كتابه « تاريخ الموصل » ١ ٣١٥ — ٣١٦ .

والظاهر ان الباشا اخفق في هذا الأمر ، فأثار حفائظ الذين آلمهم بإجبارهم على تسديد ما عليهم من الديون ، ومكّن لفيفاً من الأجانب بالوشاية ضده لدى الباب العالي ، فآل الأمر إلى عزله بعد زمن قصير .

وتفصيل الخبر انه استدعى رؤساء اليزيدية في الشيخان فلبوا دعوته ، وهم يجهلون اسبابها ، ولم يكن في الإمكان رفضها ، لما وقع من هيبته وخوفه في قلوب الأهلين كافة ، ولما قربوا المدينـــة خرج لاستقبالهم على رأس كتيبتين من الجنـــد المسلح والموسيقى العسكرية ، ومعه العلماء ، والسراة ، والفضلاء ، حتى اذا دخلوا دار الحكومة « تلا عليهم قاضي المدينة آية التوحيد فكان منهم من أطاع ، وهم أمير الشيخان ميرزا بك ، وأخوه الصغير بديع بك ، وإثنان آخران من العوام ، والبقية جميعهم امتنعوا فزجهم في السجن ، وأخذ في تعذيبهم ، وأرسل بقيادة ابنه الملازم الأول عاصم بك قوة كبيرة إلى الشيخان ، فنهب قصر الامارة ، واستولى على المقدسات والسناجق ، وهدّم قباب الأئمة والمشايخ ، وأجرى في مرقد الشيخ عدي من المنكرات والموبقات ما يكلّ عنه الوصف ، فهاج اليزيدية وماجوا ، وأخذوا يفرون بدينهم وأرواحهم إلى الأماكن البعيدة » (١) .

وفي أثناء ذلك أرسل الشيخ المدعو بأمين أفندي القره طاغي إلى معبد الشيخ عدي ، حيث فتحت هناك مدرسة دينية ، وعين له وللطلاب رواتب ، وأمره بالتدريس والإرشاد ، تلبية للذين اظهروا الاسلام ، فقرأ على هذا المدرس بعض الأكراد المسلمين من القرى المجاورة ، وبعض فقراء طلبة الموصل من سنة ١٣١٠ هـ إلى سنة ١٣٢٢ هـ حيث اقنع الوالي نوري باشا الباب العالي بترك اليزيدية وشأنهم ، وقبول البدل النقدي منهم كالسابق ، عوض الخدمة في الجيش ، والغى مدرسة الشيخ عدي .

« هذا ما كان من جهات يسار دجلة ، اي شرقي الموصل وشمالها الشرقي . أما ما كان في يمينه ، أو بالتعبير الأصح ما حدث في سنجار ، غرب الموصل ، فإن اليزيدية هناك لم يخضعوا للاصلاح ، وقاتلوا كعادتهم الجيش الذي ارسله الفريق ، وتحصنوا في الجبال ، ودحروا العساكر العثمانية . ولما سار بنفسه لتأديبهم ، انتهز وكلاء الدول الأجنبية في الموصل فرصة غيابه عنها ، فأخبروا سفراءهم في الاستانة ،

---

(١) صديق الدملوجي في كتابه « اليزيدية ص ٧٥٠ .

وبينوا لهم أعمال عمر باشا الفريق ، فلم ترق طبعاً هذه الأعمال الاصلاحية لاولئكم السفراء كما لم يرتاحوا إلى هذه السياسة القائلة بإرجاع هاتين الطائفتين ، الشبك واليزيدية ، إلى حظيرة الاسلام ... فوشى هؤلاء السفراء بالفريق لدى الباب العالي ... فأصدر إرادته بعزل الفريق » [1] .

٨ ـ « ثورة اليزيدية على الحكومة العراقية »

(حوادث السنة ١٣٥٤ هـ ١٩٣٥ م)

كانت الحكومة العراقية قد شرّعت قانوناً للتجنيد الاجباري في سنة ١٣٥٣ هـ ١٩٣٤ م . واستصدرت الارادة الملكية اللازمة لتنفيذه بتاريخ ١٢ حزيران ١٩٣٥م ، فامتنع رؤساء اليزيدية في سنجار عن تسجيل ابنائهم لغرض تنفيذ أحكام هذا القانون ، للأسباب التي بسطناها من قبل « حوادث السنة ١٣٠٨ هـ ١٨٩٠ م » راجع ص ١٤١ .

ورأت الحكومة ان تستميل هؤلاء المتمردين للتقيد بأحكام القانون فمنّتهم بالوعود وسهلت لهم الأمور ، ومن ذلك أنها وافقت على جمع المجندين من اليزيديين في فوج خاص ، يتميز عن بقية الأفواج العسكرية بلباسه ، ومعاشه ، وبسكنه وتدريبه ، وبكل ما يجعله مطمئناً إلى أن الأسلوب الذي تتمشى عليه الحكومة العراقية في تجنيد للعراقيين ، يختلف كل الاختلاف عن ذلك الذي كان متبعاً عند العثمانيين [2] . ولكن الدعايات السيئة ، والمطامع الأجنبية، كانت تحول دون حمل هؤلاء السذّج على إطاعة النظام واحترام القانون . وسرعان ما تطور هذا العناد أو التمرد إلى عصيان مسلح فصاروا يسلبون المارة ، ويقطعون الطرق ، ويطلقون النار في الفضاء لإرهاب الموظفين ، فرأت الحكومة أن تعالج الموقف بالعزم والحزم ، فجردت بعثاً خليطاً من أفراد الشرطة والجيش برآسة أمير اللواء الركن حسين فوزي اشتبك مع العصاة في معركة كبرى استمرت من فجر اليوم السابع من تشرين الأول سنة ١٩٣٥ حتى مساء اليوم المذكور ، وقتل فيها أكثر من مئة من اليزيدية ، وأقل من مئة من قوات الحكومة . ولما رأى اليزيديون أن لا قبل لهم على المقاومة ، لأن أساليب القتال كانت

---

(١) عبد المنعم العلامي في رسالته « بقايا الفرق الباطنية في لواء الموصل » ص ٥٦ .

(٢) خدم افراد من اليزيدية في الجيش العراقي فعلا « كمتطوعين » بأجور ، كما خدم غيرهم في وحدات الليفي التي كانت تنفق عليها الخزينة البريطانية .

قد تبدلت ، ولأن آليات الحكومة كانت مستعدة للقضاء على مقاومة العصاة ، مهما امتد أجلها ، فقد رأوا ان يستسلموا للقضاء والقدر ، ويلقوا السلاح عن طيبة نفس قبل ان تبيدهم القوات النظامية ، وفي ذلك يقول البلاغ الحكومي ما يلي :

« بلاغ رسمي »

طوّحت بعض الأيدي المفسدة بفريق من اليزيديين في منطقة سنجار ، برئاسة داود الداود ، ورشو قولو ، للتمرّد ضد الحكومة ، ولم تفد معهم النصائح المتكررة التي بذلتها السلطات المحلية ، وأمير الطائفة نفسه ، فبقي ذلك الفريق معتزين بمناعة تلك المنطقة . وقد استنكرت الطائفة اليزيدية عملهم هذا ، وأعلن رئيسهم انهم أصبحوا خارجين عن ديانتهم ، وعلى أثر ذلك باشرت القوات التأديبية المؤلفة من وحدات الجيش ، والشرطة ، وبعض الطيارات أعمالها . وبعد الاصطدام احتلت قراهم ، فاعتصم قسم من العصاة بالكهوف ، ولجأ القسم الآخر إلى المضايق الحصينة ، كما ذهب آخرون إلى المنطقة الموالية ، فاضطرت الحكومة إلى اعلان الأحكام العرفية ، لتسريع عملية التعقيب والتطهير ، فاستسلم بنتيجة ذلك الملتجئون إلى الكهوف والمضايق ، بعد مناوشات ، وبلغ مجموع الذين عرضوا دخالتهم مع اسلحتهم ما يقارب الـ ٣٠٠ وقد سلم امس آخر الفارين برئاسة رشو قولو ، البالغ عددهم ٢٢٤ نفراً مع اسلحتهم ، وفر داود الداود مع ولديه ، وزوجته ، وأربعة من اتباعه إلى المنطقة السورية ، وهو جريح مع ولديه ، وقد تم بذلك تطهير المنطقة وانتهت الحركات التأديبية .

بغداد ١٧ تشرين الأول ١٩٣٥ — مدير الدعاية والنشر (١)

وشرع المجلس العرفي العسكري في سنجار في تدقيق أوراق المحالين عليه من محاربين وغيرهم ،فعثر على وثائق خطيرة تدين بعض المثقفين المسيحيين «في الموصل» بالتحريض لهؤلاء المنكوبين على القيام بحركة العصيان المسلح ، فلم يتوان المجلس عن إجراء محاكمتهم ، ولا سيما بعد ان توفرت لديه الأدلة على وجود علاقة بين هؤلاء المحرضين ، وبين السلطات الفرنسية في سورية ، وكان من بين الذين حوكموا : المحامي عبد الله فائق بن سلمان بولص الموصلي ، وعبد الكريم قره كله ،فاصدر

---

(١) السيد عبد الرزاق الحسني في كتابه « تاريخ الوزارات العراقية » الطبعة الخامسة ١٦٧/٤ .

بحقهما حكم الاعدام شنقاً ، وقد نفذت هذه العقوبة فيهما فعلاً في سنجار صباح يوم الخميس الموافق ٧ تشرين الثاني ١٩٣٥ م ، كما نفذت في سبعة من مختاري القرى اليزيدية كانوا يموّنون المتمردين بالسلاح — الخراطيش والغذاء — [١] . وبلغ عدد الذين صدرت بحقهم أحكام السجن أو الإبعاد أو الغرامة ٣٨٩ نسمة ، وبقيت الادارة العرفية معلنة في منطقة الحركات العسكرية في سنجار من يوم ١٢ تشرين الأول سنة ١٩٣٥ إلى يوم ١٤ تشرين الثاني من السنة نفسها . فلما هدأت الأحوال وعادت الأمور إلى مجاريها الطبيعية ، استصدرت الحكومة ارادات ملكية منفردة بإعفاء المحكومين عما تبقى من مدد محكومياتهم ، والسماح للمبعدين عن مناطق إقامتهم بالعودة اليها ، فدللت بذلك على حسن نواياها وجميل صنعها ، كما أخذ الرؤساء يقدمون اولادهم لخدمة العلم .

ان هذه الحملة اعادت اليزيديين إلى حظيرة الطاعة فصاروا يؤيدون الضرائب المنوعة — ومنها ضريبة الدم — كبقية العراقيين ، ولكنهم عادوا سيرتهم الأولى بعد حوادث الشهرين : نيسان وايار عام ١٩٤١ م حينما احتل البريطانيون العراق ثانية ، ومنّوا الأقليات العنصرية والمذهبية بالمنافع والمكاسب ، إذا هم تمردوا على حكومتهم واقلقوا بالها .

يقول بلاغ الحكومة العراقية الصادر في ١٦ ايلول ١٩٤١ .

« كان قد حصل نزاع في قضاء سنجار بين أهالي قريتي : رمبوسي شمالي ، واجمة إسلام ، أدى إلى قيام اهالي القرية الأولى بنهب قسم من أغنام أهالي القرية الثانية . وعندما بلغ الحادث قائم مقام القضاء السيد يونس عبد الله ، خرج فوراً إلى

---

(١) تنص المادة التاسعة من « مرسوم الإدارة العرفية » رقم ١٨ لسنة ١٩٣٥ على ان لا ينفذ حكم الإعدام إلا بعد تصديق قائد القوات العسكرية ، فلما أصدر المجلس العرفي في سنجار أحكام الإعدام بحق المشار اليهم اعلاه ، صادق عليها قائد القوات العسكرية حالاً فنفذت فوراً ، وكان السفير البريطاني في العراق قد اعترض على هذه الاحكام ، وقال انه يخشى ان يكون للعاطفة الدينية اصبع فيها ، فأمر وزير الداخلية بجلب اوراق الحكم إلى بغداد وتدقيقها من قبل وزير العدلية ، ولما لم يجد فيها ما يستلزم التدخل اعيدت الأوراق بعد ان نفذ الحكم ولكن صدر تعديل للمادة التاسعة من مرسوم الإدارة العرفية نص على ان لا ينفذ حكم الإعدام إلا بعد اقترانه بالإرادة الملكية .



ثلاثة من يزيدية جبل سنجار بجدائلهم المظفورة وقبّعهم الخاص

محل الحادث للتحقيق واسترداد الأغنام المنهوبة . غير انه فوجىء باطلاق نار عليه وهو في الطريق ، مما أدى بمزيد الأسف إلى استشهاده مع شرطيين . وعلى أثرها قامت الحكومة بإرسال قوة لتأديبهم ، ولكن رؤسائهم انتهزوا فرصة وجود معالي وزير الداخلية في الموصل ، فحضروا وعرضوا عليه طاعتهم وولائهم ، وتعهدوا في الوقت نفسه بتسليم المجرمين والغرامات المفروضة عليهم ، وباشروا فعلاً بتنفيذ هذا العهد ، إذ دفعوا القسط الأول من الغرامة . وهكذا حسمت القضية ، وعادت الأمور إلى حالتها الطبيعية في جبل سنجار »[١] .

ولما جرى تعديل قانون انتخاب النواب على أساس الدائرة الانتخابية ، أصبح ليزيدية سنجار نائب في المجلس النيابي ، كما اصبح بين اليزيديين اليوم الاستاذ ، والمدرس ، والموظف ، والشرطي ، والجندي ، والمهذّب .

(١) تاريخ الوزارات العراقية ج ٦ ص ٣٧ الطبعة الخامسة .

الفصل الثاني عشر

كلمات الختام

– ١ –

لليزيدية رئيسان كبيران : أحدهما زمني يعتقدون بحلول جزء إلهي فيه ، فلا يخالفون له أمراً ، ولا ينكرون عليه حقاً ، حتى ان ما يستحسنه يصير فرضاً واجباً على كل فرد من افرادهم . والآخر روحي يمثل السلطة الدينية : فيحدد اصولها وفروعها ، وآدابها وسننها ، بالمشاورة والمفاهمة مع الرئيس الزمني . ويقولون ان رئيسهم الزمني يرتقي بنسبه إلى يزيد بن معاوية ، الذي تنتمي للطائفة اليه ، وتسمى باسمه ، ويدعونه مير شيخان « أي أمير الشيخان » . أما الثاني فلا بد ان يكون من سلالة شيخي فخرا « أي الشيخ فخر » ويسمونه « بابا شيخ » .

ولقد استغلّ الرؤساء الزمنيون السلطات التي اسبغتها عليهم الشريعة اليزيدية كالقول بعصمتهم ، وعدم جواز الاعتداء على أوامرهم ، أو النيل من كرامتهم ، أو مخالطة المغضوب عليه من قبلهم ، وبالتالي منحهم حق القضاء المطلق على افرادهم ، أقول لقد استغل الرؤساء المذكورون هذه الصلاحيات المطلقة ، وكونهم لا يخطئون فيما يصدرونه من أوامر وأحكام ، فحرموا على أفراد الطائفة تعلم القراءة والكتابة ليبقوهم في ضلالهم يعمهون ، ويجعلوهم كالبهائم يكدّون ويشقون لإسعاد رؤسائهم ، وتأمين الغذاء والكساء وسائر ملذات الحياة لهم . فلو كانت القراءة قد ابيحت للطائفة من قبلهم ، لاطلع أفرادها على تطورات الفكر البشري ، ولأدركوا سرّ جهالتهم ، وعلة بقائهم فيما هم فيه من جمود وخمول ، ولأضحوا عناصر مفيدة في المجموعة البشرية ، لهم ما لسائر أفراد البشر من حقوق ، وعليهم ما على هؤلاء من واجبات .

والظاهر ان الحكومات التي تعاقبت على حكم القرى اليزيدية فيما مضى — ولا سيما في العراق — استساغت الإبقاء على هذه الحالة لعدم استكنانها فوائد التهذيب والتعليم ، وتأثيرهما في قلع جذور الغباوة والجهالة من نفوس القوم ، فإنها لو فعلت ذلك لما تكبدت المتاعب والخسائر في سبيل حمل هذه الطائفة على إطاعة القوانين واحترام نُظم الحكومة وأوامرها بين الحين والحين .

وفي اعتقادنا انه لا يزال في الوقت متسع لخدمة اليزيدية ، والاستفادة منهم في المجموعة البشرية ، وذلك ببث روح العلوم والمعارف بين ظهرانيهم ، وحمل الرؤساء والمتنفذين منهم على إرسال اولادهم وبناتهم إلى المدارس للارتشاف من مناهل العرفان والمعرفة ، مما سيؤدي حتماً إلى زوال الغباوة التي لصقت بأبصارهم ، والضلالة التي لازمت قلوبهم ولعلّ « قانون محو الأمية » سيحقق ذلك .

أما المانع الذي يعدونه أساساً من أسس الدين في تحريم القراءة والكتابة ، فالظاهر انه مانع وهمي لا يستسيغه العقل السليم ، ولا يقرّه الواقع الحكيم . إذ سبق لاسماعيل بك چول – أحد أمراء الأسرة الحاكمة – أن أرسل أولاده إلى المدارس الحكومية ، فتعلموا ، وتهذبوا ، وأصبح أحدهم – عبد الكريم بك – مدرساً في المدرسة الأميرية . وقد اجتمعنا به في باعذرا – قرية مشايخ اليزيدية سنة ١٩٤٧ م ، فوجدناه على جانب كبير من حب الإطلاع ، يستنكر التقاليد الرثة التي ورثها قومه ولا تزال تفتك في طائفته ، ويتمنى زوالها من صميم قلبه ، كما أن شقيقته الآنسة ونسه درست في الجامعة الأميركية في بيروت ، وتهذبت تهذيباً راقياً ، وقد اجتمعنا بها سنة ١٩٤٣ م في معتقل العمارة الذي زجت فيه مجموعة كبرى من سكان الألوية العراقية كافة ، فيها اليزيدي ، والصابئي ، والنسطوري ، وفيها المسلم،والمسيحي ، والاسرائيلي ، فكانت على جانب من دماثة الخلق وحسن المعشر ، وسعة المعرفة . وقد تخلت عن كثير من أوهام قومها ومعتقداتهم ، وما زالت ترشد الغير إلى وجوب التعلم ، بعد ان أسلمت وتزوجت من طبيب سوري .

وفي « باعشيقا » عدة شبان من اليزيدية دخلوا مدارس التبشير المسيحية ، ثم التحقوا بالمدارس الأميرية وتخرجوا فيها ، وهم يدرّسون الآن في أهم معاهدها ، وقد تخلوا – بطبيعة الحال – عن الكثير من تقاليدهم وسننهم الاجتماعية . فلو أن الحكومة عممت التعليم بين هؤلاء تعميماً إجبارياً ، ومكنت شبانهم من الارتشاف من مناهل العلم المترعة ، والاطلاع على أسرار الديانات المختلفة ، لقضت على أوهامهم ، ولاتخذت منهم عناصر هامة في المجتمع العراقي .

ولماذا نذهب بعيداً في تعداد فضائل التعليم والتهذيب في هذا المقام ؟ فقد انخرط لفيف من شبان اليزيدية في أفواج الجيش الليفي الذي جندته الحكومة البريطانية إبان احتلالها الأول للعراق فصالوا ، وجالوا ، وتخلوا عن الكثير من العادات والآداب التي لا تتفق مع أساليب الخدمة العسكرية : فكانوا يدخلون الحمامات للاغتسال ،

والمراحيض للتغوّط ، ويستخدمون الأفراس في حمل الأثقال ، ويأكلون أنواع اللحوم والخضروات التي قيل ان الشريعة اليزيدية حرمت أكلها عليهم ، ولا يتقيدون بسننهم في الزواج ، والعماد ، والجناز ، واللباس إلى غير ذلك مما ذكرناه .



السيد عبد الرزاق الحسني

مؤلف هذا الكتاب

يحيط به يزيديان من يزيدية سنجار بلباسهما البلدي

اخذت الصورة في ١٨ آذار ١٩٦١

إن فتح مدرسة واحدة في منطقة اليزيدية ، وإلزام المتنفذين والرؤساء بإلحاق ابنائهم فيها للتعلّم ، ينقذ الحكومة من تكاليف حملة عسكرية واحدة لحملهم على إطاعة النظام ، وتنفيذ القانون ، فكيف بعد أن أصبح التعليم إلزاماً بفضل قرار الجمهورية العراقية الحبيبة القضاء على الأمية في العراق قضاءً مبرماً .

— ٢ —

عثرنا على رسالة باللغة الكردية طبعت في « مطبعة الترقي » بدمشق سنة ١٩٣٣ م بعنوان « صلوات اليزيدية » قيل لنا أنها بقلم السيد جلادة بدرخان ، فرجونا صديقنا

الأستاذ م. جميل بندي الروزبياني أن ينقلها إلى اللغة العربية ففعل ذلك مشكوراً . ولما كان الرؤساء اليزيديون الروحيون قد أيدوا صحة هذه الصلوات ، حين أطلعناهم عليها ، فقد رأينا أن نثبت نصوصها في هذا الكتاب مع المقدمة التي وضعها السيد بدرخان لها .

« كان الأكراد فيما مضى من الزردشتيين ، وكانوا يتبعون دين زرادشت في عباداتهم وصلواتهم ، فلما ظهرت الديانات الأخرى ، أخذوا يتحولون اليها عن معتقدهم القديم وذلك بالتدريج ، فدان بعضهم بالمسيحية ، واعتنق آخرون الاسلام ، وتمسك الباقون بعقائدهم ، ومهما كان الأمر فان الأكراد بدلوا في معتقداتهم كثيراً حين خضعوا للأديان الأخرى . ولا تنحصر صلوات اليزيدية في هذه المجموعة حسب ، بل هنالك غيرها على كل حال . فقد كانت صلوات الزردتشية تؤدى خمس مرات في كل يوم .

أما صلوات اليزيدية الأربع في الوقت الحاضر فهي هذه :

١ ـ « صلاة الفجر »

باسم الله « يزدان » المقدس الرحيم الجميل .

إلهي لعظمتك ولمقامك ولملوكيتك .

يا رب أنت الكريم الرحيم الإله . مَلَكٌ مُلْك الدنيا . مملكة الأرض والسماء . مَلك العرش العظيم .

يا رب إنك ازلي قديم . يا رب انك حتى الأبد امنية الروح .

يا رب انك ملك الانس والجن ، ملك الكرسي والعرش . يا رب انك الصمد صاحب الرحمة والشفقة .

يا رب انك انت الصمد الحي المجيد ، الواحد الوحيد ، الذي لا مثيل له ، انك انت الجدير بالثناء والمديح .

يا رب انك رب السماء، رب الشمس والقمر ، رب الأنهر والوديان ، يا رب انك رب العطاء .

يا رب انك انت الغوث وانت المدد . انت الصدى ، انت اللون . انت الصوت ، انت المقبض .

يا رب لا يدري احد كيف انت ؟

يا رب ! انت خالق الحوت ومعطي القوت انت الحليم والملكوت . يا رب انت خالق الفقراء والملوك .

يا رب انت الدائم الموجود . انت دائم الوجود . انت الدائم الموجود .

٢ - « صلاة الاشراق »

باسم الله « يزدان » الرحمن الرحيم الجميل .

يا رب ! انك انت الموجود وانا المعدوم ، انت الغافر للذنوب . انت الإله الحق مالك الكم والكيف . لا قامة لك لكنك رفيع . لا صوت لك لكن صوتك معروف . مكانك في كل مكان . انت خالق العالم كله . انت الذي وهبت آدم . انت الذي خلقت الفصول والمواسم . انت لا تتكلم يا رب كما نتكلم نحن . ولا تعمل مثلما نعمل .

يا رب ! انت ولي فروض الصلاة . يا رب إنك تميز روحاً عن روح ، وانت تنتزع الأرواح من الرؤوس .

يا رب ! انت لست قليل الإدراك مثلنا نحن . إنك توحي بالأرواح فتحل الأجساد .

يا رب إنك انت الإله . انت الملك . انت اعلم العلماء ملك الملوك ، انك لا تأكل ولا تنام ولا تصيح . انت رب الحرم ورب الحجاب . مكانك في كل مكان . انت الإله وانا المبتلي بالاسقام ، إنك تشفي المرضى لأنك كفوء للمديح والإجلال . لا يعرف أحد كيف انت .

انت الداء وانت الدواء . انت ملك الملوك والفقراء . انت ملاك العرش والكرسي يا رب وانت خالق الثور والحوت بحق اسمك يا رب تفقّد أمور كردستان وتفقّد اليزيديين في الشرق والغرب .

٣ - « صلاة الاموات »

يا ابن آدم ايها المسكين ، يا ابن آدم الفقير ، ما هذه الدنيا إلا دار للسكارى ، انها مثل حلم الليالي . مثل الفلك مثل ظل الأشجار يلقى كل يوم جديداً . اين سليمان الذي كان يسود ؟ اين بلقيس التي ذاع اسمها ؟ لك البقاء . انهم تركوا الدنيا . اين سليمان الانبياء ؟ اين بلقيساً المحلاة بالذهب ؟ اين الياس ؟ اين درويش حامل

المسبحة والرقاص ؟ لك البقاء . هؤلاء في التراب يعملون القياس [1] .

يا ابن آدم لا تكن طماعاً في هذه الدنيا ، لا تجمع المال والذهب جمعاً ، لم تدم الدنيا حتى لرسول الله .

إن هذه الدنيا أرض الدراويش فهم الذين يستقرون فيها جميعاً فلا يطمع في الرقي من له كبرياء النفس .

اين حمزة ؟ اين علي ؟ اين الأولياء ؟ اين الأنبياء ؟ انهم يرقدون في قبورهم كالمومياء ما أكثر بيت القبر عمقاً وظلاماً وامتلاءاً بالنمل والأفاعي .

يا رب انت القادر على التفريق بين عاشقين . هلموا هلموا جميعكم ايها الأقرباء . ليكن الآن موعد بكائنا . يا للحسرات والويلات والثبور على عدم خلود ذوي الأخلاق الفاضلة والشفاه المعسولة لكي يحدثونا . لتنهمر دموعنا بغزارة ، فالحزن والبكاء لا يفيدان ، والكفن والقبر هما المقدران لنا . لا تبكي ولا تجزع . امسح الدموع من محياك فإن هذه الدنيا لم تدم حتى لرسول الله . تعالوا تعالوا جميعاً لنبكي اليوم كثيراً فقد مات أهل المرح . كلما يفعله الأمير مغفور ، إن الخير والشر يزيلان الهموم من القلوب .

٤ ـ « دعاء ما بعد الصلوة »

آمين آمين آمين . يا إله معين الدين . يا إله إمنح الخير واطرد الشر .

شمس الدين ، فخر الدين ، عماد الدين ، ناصر الدين .

ايها الحق انت ملك ! مالك الشمس والقمر ، رازق الانس والجن ، رب عالم القدس ، خالق الانس والجن .

يا شرف الدين صاحب الحدائل المقصوصة تعال إلى كردستان بالبشرى ، انشر سجل الايمان ، شيخ شمس يوم الايزدية . شرف الدين امير في الديوان .

لتتبعهم كردستان ولتسدد طلقات المدافع صوب توركستان فليرفعوا العرش إلى كردستان وليقع البلاء على عربستان ـ كذا ـ .

ـ ٣ ـ

لعل خير ما نختم به هذا الكتيب ، النبذة الناقصة الآخر الملحقة بنسخة المغفور له احمد تيمور باشا من كتاب (حسن التصرف) لعلاء الدين القونوي شرح بها

---

(١) الكلمة محرفة عن الغياث .

التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي لأن فيها شيئاً من العقيدة اليزيدية فرأينا أن ننقله هنا عن رسالة المشار اليه (اليزيدية ومنشأ نحلتهم) ص ٧ – ٩ لما فيه من الفائدة وإن كنا نخالف بعض ما فيه قال :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه تستعين رب يسر . اللهم الهمنا الصواب وفصل الخطاب ، وجنبنا العي والغي والارتياب ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك (انت) الوهاب . أما بعد فهذه كلمات في بيان مذهب الطائفة اليزيدية وحكمهم ، وحكم الأموال الكائنة بأيديهم ، إعلم إنهم متفقون على أباطيل من اعتقادهم وعقائد وأقاويل كلها مما يوجب الكفر والضلال . منها إنهم ينكرون القرآن والشرع ويزعمون إنه كذب ، وان مثل هذيانات وأقوال الشيخ فخر [1] هي المعتمد عليها والتي يجب أن يتمسك بها ، ولهذا يعادون علماء الدين ويغضبونهم ، بل لو ظفروا بهم يقتلونهم اشنع قتل ، كما وقع غير مرة ، وإن وقعت الكتب الإسلامية في ايديهم يلقونها في القاذورات ، بل يمزقونها ويتغوطون ويبولون عليها ، وذلك مشهور لا سترة له . ومنها انهم يحلون الزنا إذا جرى بالتراضي . اخبرني من اثق بخبره انه رأى ذلك مسطوراً في كتاب ينسبونه إلى الشيخ عدي . ومنها انهم يفضلون الشيخ عدياً على الرسول (عليه الصلاة والسلام) بمراتب ، بل يقولون انه لا مناسبة بينهما . ومنها انهم يصفون الله تعالى بصفات الأجسام كالأكل والشرب والقيام والقعود وغيرها ، ومنها انهم يحكون حكايات في شأن الله تعالى ورسوله والشيخ عدي تشتمل على تذلل الله تعالى ورسوله بين يدي الشيخ عدي ، وعلى تحقير شأنهما والاستهزاء بهما وتضجره من ترددهما إليه واستغنائه عن صحبتهما وملاقاتهما وغير ذلك مما يجب تنزيه شأن الله تعالى ورسوله عنه . ومنها انهم يمكنون شيوخهم من زوجاتهم ومحارمهم ويستحلون ذلك ويعتقدونه ، ومنها انهم يصرحون بأن لا فائدة من الصلاة ولا بأس في تركها وهي ليست واجبة بل الواجب طهارة القلب وصفاؤه ، ومنها انهم يعتقدون ان اللالش [2] افضل من الكعبة ، وان لا فائدة من زيارتها لمن يقدر على زيارة اللالش ، ومنها إنهم يسجدون للالش ولكل مكان شريف بزعمهم وخصوصاً لمقام الشيخ

---

(١) لعله الشيخ فخر الدين المذكور في كتابهم الاسود المسمى « بمصحف رش » واسمه نورائيل المخلوق يوم السبت وهو بزعمهم خالق الإنسان والحيوان والطير والوحوش .

(٢) لالش قرية بالهكارية سكنها الشيخ عدي والظاهر ان المراد بها في هذه النبذة معبد بها .

عدي فإنهم يدعون ان من لا يسجد له كافر ، ومعلوم ان هذا السجود كالسجود للصنم والشمس . ومنها انهم يعتقدون ان الشيخ عدياً يجعل امته يوم القيامة في طبق ويحمله على رأسه ويذهب بهم إلى الجنة . فهذه بعض أقوالهم وأفعالهم القبيحة ، وقد تواترت عند من خالطهم وخبر أحوالهم . ثم اني سمعت غير واحد ممن كشف عن مضمرات صدورهم الخبيثة يقول انهم ثلاث فرق إحداها غلاتهم الذين قالوا ان الشيخ عدي بن مسافر هو الله نفسه ، والثانية يقولون إنه ساهم الله في الإلهية فحكم السماء بيد الله تعالى وحكم الأرض بيد الشيخ عدي ، والثالثة الذين يقولون انه ليس الله تعالى ولا شريكاً له ولكنه عند الله تعالى بمنزلة الوزير الكبير لا يصدر من الله تعالى أمر من الأمور إلا برأيه ومشورته . والظاهر ان مذهبهم يؤول إلى الحلول وهم يوالون النصارى ويصوبون بعض عقائدهم » — انتهى ببعض تلخيص وبأكثر لفظه —

وقد ذكر الأستاذ العزاوي في صفحة ٨٦ من كتابه « تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم » انه عثر في الاستانة في المكتبة السليمانية من كتب اسماعيل حقي بلك الأزميري على فتوى للشيخ عبد الله الرتبكي المتوفى سنة ١١٥٩ هـ (١٧٤٦ م) تتعلق بالديانة اليزيدية ، ولما فحصنا هذه الفتوى وجدنا أن نصفها الأول لا يختلف عما جاء ملحقاً في كتاب حسن التصرف المنشور فويق هذا إلا ببضع كلمات . أما نصفها الثاني فهذا نصه :

ولا خفاء في ان هذه المذكورات كلها مما يوجب أشنع الكفر وأقبحه فهم إذن كفرة أصلية كما نقل عن بعض كتب المذهب ونسب إلى أصل المذهب فإنه نقل عن كتاب « المتفق والمختلف » إن الظاهر من مذهب مالك ، أنه إذا ظهرت أحكام الكفر في بلدة تصير دار حرب ، وهو مذهب الشافعي وأحمد (رض) واتفقوا على اموالهم . وفي الصغير عن ابي حنيفة (رض) ان البطن الأول مرتدون والبطن الثاني كفار أصليون وإما مرتدون بارتداد آبائهم الأولين وبقوا على ذلك قرناً بعد قرن ، ومن لم يكفرهم إما لجهله بحالهم فمعذور وشفاء العي السؤال ، وإما لعدم التمييز بين أسباب الكفر والإيمان ، أو لخوفه منهم ، أو لطمع فيما في أيديهم ، أو لرضاه بمذهبهم ، أو لمراء جبل عليه فأمره ان يخفي حالهم في قانون الشرع . ثم انهم قد يظهرون الاسلام ويتلفظون بالشهادتين ويصلون تقية وستراً لمذهبهم عند أهل الحق فهل يصيرون بمجرد ذلك مسلمين ويعصمون دماءهم ؟ ام لا بد من الرجوع عما اعتقدوا من الأباطيل كلها والندامة عليها والاقرار ببطلانها ؟ والجواب ان الظاهر

من عبارة الفقهاء في باب توبة المرتد وإسلام الكافر اعتبارها وعدم قبول التوبة بدونها . قال في الأنوار « توبة المرتد وإسلام الكافر ان يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويتبرأ من كل دين يخالف الاسلام ويرجع من كل اعتقاد هو كفر » ، هذا ومعلوم لو أنهم أجبروا وأكرهوا وأوعدوا بكل مكروه لم يتبرأوا عن معتقدهم في عدي ويزيد ولالش وغير ذلك من شيوخهم ، ومنه رأيهم على انهم زنادقة وتوبة الزنديق لا تقبل في وجه « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم » – الآية – قال في الصغير ، وعليه مالك وأحمد وأبو حنيفة في إحدى روايته قال في الروضة : قال الروياني في الحلية والعمل على هذا ، وعلى التقديرين لا نزاع في حرمة مناكحتهم وأكل ذبيحتهم وتقريرهم في الديار الاسلامية في الجزية وغيرها ومباشرة أنكحتهم وفي وجوب قتلهم ومقاتلتهم حيث لهم شوكة وفي إهدار دمائهم وغير ذلك ، وأما حكم الأموال الكائنة في أيديهم فإن قلنا انهم كفرة أصليون فعلى ما نقل من (المتفق والمختلف) وإن قلنا بارتدادهم فما تلقاه صغيرهم عن كبيرهم بالموت فهو فيء إذ لا توارث بينهم كما لا يخفى . وما اكتسبوه بالمعاملات من البيع والشراء والاجارة وغيرها وبالغصب والنهب والسرقة ونحوها فإن كانت هذه التصرفات صادرة منهم مع بعضهم فهو تصرف إما في الفيء وإما في المال الضائع إذ ما في أيديهم لا يخلو عن هذين القسمين كما سينكشف ، وليس لهم التصرف فيهما وإن كانت صادرة منهم مع المسلمين والذميين فما عرف المأخوذ منه وجب رده إليه عند القدرة لفساد معاملتهم كما تقرر في باب الردّة ، وإن لم يعرف المأخوذ منه فهو من الأموال الضائعة فاعلم أنه لا يتصور لهم مال في الغالب ويحتمل أن يجعل موقوفاً على رجوعهم أو قتلهم ، وأما ما اشتهر في الكتب من مال المرتد يكون موقوفاً فذلك يتصور في مرتد من كان مسلماً زماناً وحصل بيده حال إسلامه مال هو له بحكم اليد والمقابلة ثم شقي أو قطع الإسلام فإن تاب استمر ملكه ، وإن مات او قتل على كفره صار فيئاً او ضايعاً ، وأما الذين نحن بصددهم فليسوا كذلك . فإنهم لو فرض إسلامهم وحسن حالهم كان حكم الأموال الكائنة بأيديهم على ما ذكر فكيف حال إصرارهم على كفرهم وهذا مما لا ينبغي أن يناقش فيه عند الانصراف وترك المراء فإن قيل صبيانهم محكوم عليهم بالإسلام فما حصل لهم من الأموال حال صبائهم يجب أن يكون موقوفاً فلم قلت لا يتصور لهم . قال يكون موقوفاً ؟ قلنا القول بإسلام صبيانهم مرجوح زيفه صاحب الروضة وجزم بأنهم أيضاً مرتدون كآبائهم ، وبتقدير التسليم تكون تصرفاتهم أيضاً باطلة لكونهم غير

مكلفين ، ولا ولي لهم يمكنهم من التصرفات ، ويتصرف لهم أو يقبل لهم شيئاً بالإيهاب والوصية وغير ذلك . وحال إرثهم كما ذكر فلا يتصور لهم أيضاً مال يجعل موقوفاً كالبالغين . وأما القول بأنه يحتمل أن يكون فيهم من ليس منهم من المسلمين والذميين أو يكون بأيديهم مال مسلم بغصب أو بسبب غير ذلك وتارة يقال مال الفيء والغنيمة يجب قسمته والمال الضائع يجب أن ينظر فيه الإمام فمسلم لا ينكره أحد لكنه غير مختص بما في أيدي هؤلاء ولا ما يؤخذ منهم إذ يتصور ذلك في سائر الكفار الحربيين مثلاً يمكن أن يكون في الكرج مسلم أو يكون بأيديهم مال مسلم بل هو واقع فإن أوجب ذلك الكف عنهم وعما بأيديهم أوجب الكف عن الحربيين وعما بأيديهم ولا قائل به . على ان الكلام فيمن علم انه منهم ، وكذا وجوب قسمة الفيء والغنيمة ووجوب نظر الإمام في المال الضائع إن أوجب الاعراض عما بأيديهم أوجب الاعراض عن الأموال المأخوذة من أهل الذمة في زماننا هذا فانها إما مال ضائع وإما فيء مع أنه لا يقع فيها قسمة اصلاً . ولا ينظر الأئمة كما هو حق النظر . ثم انها تؤخذ بالباطل ، بل مع انواع الظلم وأكثر فقهاء النواحي لا يتحاشون من تعاطيها ولا يبحثون عنها انها كيف أخذت بل لم يتطرق ببالهم شبهة في ذلك فضلاً عن الحرمة ، وإذا سئلوا عن حكم هذه الأموال وأموال أمثالهم من المشركين فتارة يقولون انهم مسلمون ويتكلمون بالشهادتين ، وتارة يقولون اموالهم موقوفة على قتلهم إلى غير ذلك من الاعتذارات الباردة الصادرة من غير تأمل وأعمال روية والحال أنا مأمورون بأن نقول الحق أنّى كنا ولا نخاف في الله لومة لائم ، وفقنا الله لما يحب ويرضى » إ هـ .

فهرس الاعلام

(حرف الباء)

(حرف التاء)

(حرف الجيم)

(حرف الحاء)

(حرف السين)

(حرف الشين)

(حرف الصاد)

(حرف القاف)

(حرف الكاف)

(حرف اللام)

(حرف الميم)

مراد المختار ١٢٢
مروان بن الحكم ٢١

(حرف النون)

(حرف الواو)

(حرف الهاء)

(حرف الياء)

فهرس الاماكن والبقاع

(حرف التاء)

(حرف الثاء)

(حرف الجيم)

(حرف الحاء)

(حرف الخاء)

(حرف الدال)

(حرف الراء)

(حرف الزاي)

(حرف السين)

(حرف الشين)

(حرف الصاد)

(حرف الطاء)

(حرف العين)

(حرف الفاء)

(حرف القاف)

مضامين الكتاب

الفصل الثاني عشر

اليزيديون

في حاضرهم وماضيهم

الطبعة العاشرة

رقم الايداع في المكتبة الوطنية

١٢٧٧ لسنة ١٩٨٤